جرجي زيدان

١٨٦١ – ١٩١٤

ترجمة حياته

مراثي الشعراء والكتاب

حفلات التأبين

أقوال الجرائد والمجلات في الرجل وآثاره

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر

سنة ١٩١٥

obeikandl.com

جرجي زيدان

لحقتَ بمن أرَّختهم فكأنكم ... لداتٌ لعهدٍ لم تفرّقهُ أدهرُ
على الحيّ دون الميت تحسب أحقبٌ ... توالت وتحصى في التعاقب أعصرُ
وربّ عليم لم يجئ متقدماً ... أتمّ عـــلاه أنه متـــأخرُ

خليل مطران

للذكرى

اي والدي

عرفتك كما عرفك الناس لا تعبأ بامور الدنيا ومجدها الكاذب . عرفتك تتحاشى الظهور والاعلان عن نفسك . عرفتك تؤثر الجوهر على العرض وتهتم بالحقيقة دون الوهم

هكذا عرفتك وعرفك الناس في حياتك

فهل تحتاج اليوم وانت نزيل الثرى الى من ينشر فضلك ويبين مناقبك ويمتدح اعمالك ؟

وهل يحتاج الى مثل ذلك من كانت آثاره في كل يد وآياته في كل صدر ومحبته في كل قلب ؟

لا . ليس هذا الكتاب لك وانما هو لنا نحن الذين تركتنا من بعدك . هو لنا لكي نتعزى ونقتدي ولكي نعتبر ونتذكر

اميل

obeikandl.com

obeikandl.com

ترجمة الفقيد

اسرته

جاء في مذكرات للفقيد [١] عن اصل اسرته ما يأتي :

« حدثني والدي وانا غلام عن اصل عائلتنا فقال ان اباه كان يسمى زيدان مطر (او زيدان يوسف مطر) وكان خولياً عند الست حبوس والدة الامير مصطفى ارسلان وكانت تحكم عين عنوب وما يليها في اوائل القرن الماضي أي كان وكيلا على املاكها واشغالها. فلما حمل ابراهيم باشا على سوريا وفتح عكا واراد الاستيلاء على الجبل كانت الست حبوس من جملة الذين لا يريدونه وخافت سطوته فحدثتها نفسها بالفرار من وجهه فعزمت على ذلك وطلبت الى جدي زيدان ان يرافقها في هذا الفرار فابى لانه رأى بعين البصيرة ان الدولة المصرية غالبة لا محالة وله اطفال وعائلة لا يطاوعه قلبه على فراقهم ولا على حملهم وهو هارب . فالحت عليه بمرافقتها فاعتذر بما تقدم فتركته وقد وجدت عليه وسافرت . فدخل ابراهيم باشا الجبل بمساعدة الامير بشير سنة ١٨٣٢ م وظلت الست حبوس مختفية الى ان ضعف امر ابراهيم فرجعت الى بلدها عين عنوب وقد حقدت على زيدان وصادرته باملاكه واموالها وتعمدت الحط من شأنه . فشق ذلك عليه واثر في صحته فمات قبل اوانه وترك امرأة واثنين وصبيين احدهما واكبرهما والدي ولم تكن سنه تجاوز العاشرة من العمر وهو كبير العائلة . ولم تقدر والدته على البقاء في عين عنوب فنزلت باولادها الى بيروت وليس لهم معين الا الله . وبيروت يومئذ صغيرة لا مرتزق فيها غير الاتجار وصنع ضروريات الحياة كالاطعمة والالبسة ونحوها أو خدمة الحكومة في الكتابة أو الجندية »

وجاء في مكان آخر منها :

« اما اصل عائلتنا فليس له خبر مدون لان والدي بارح بيت ابيه مع سائر العائلة اشبه بالهاربين وهو طفل لا يعرف شيئاً وربي في بيروت امياً فقيراً وشغل باعالة العائلة فلم يهتم بالبحث عن اصل ارومتنا

« فلما شببت واردت البحث عن ذلك كاتبت بعض اهل عين عنوب عما يعلمونه عن

(١) للفقيد مذكرات كتبها بخط يده تحوي فوائد جمة سننشرها قريباً ان شاء الله

عائلة مطر هناك واصلها فجاءني جواب على لسان شيخ من اهلها انه يذكر ان بضعة من آل مطر اتوا عين عنوب غرباء اشداء لا يعلم اصلهم وان احدهم زيدان تقدم في خدمة الست حبوس

« وسمعت من رجل آخر ان عائلة والدي توالى منها في عين عنوب بضعة اعقاب وقال آخر غير ذلك . ويغلب على ظني ان اصل عائلتنا من حوران مثل اكثر عائلات الطائفة الارثوذكسية في الشوف وقد هاجرت موطنها الاصلي على اثر الضنك والفقر والاضطهاد مما كان يلاقيه عرب تلك البلاد . والغالب في اعتقادي ان اكثر اهل جنوبي لبنان الروم من عرب حوران ولعلهم من الغساسنة »

تاريخ حياته

نشأته في بيروت

ولد الفقيد في مدينة بيروت في ١٤ دسمبر (ك١) سنة ١٨٦١ وتلقى مبادىء العلوم في بعض مدارسها الابتدائية حتى قضت عليه الاحوال بترك المدرسة صغيراً ومساعدة والده في اشغاله وهو لم يبلغ الثانية عشرة من عمره . غير ان ميله الغريزي الى العلم والادب جعله ان لا يدع فرصة لا يستفيد منها اما بمطالعة ما تصل اليه يده من الكتب أو بتقربه من رجال العلم . وقد كان مولعاً في اثناء ذلك بالرسم والتصوير حتى تكاد لا تجد كتاباً من كتبه الا عليه شيء من رسمه فكان كلما تعب من الدرس يتشاغل بمثل ذلك حرصاً على وقته ان يضيع بلا عمل

ودرس اللغة الانكليزية في مدرسة ليليلة في مدة لا تجاوز خمسة اشهر مع ممارسة شغله طول نهاره وبعض ليله وكانت اكثر اوقات دروسه في اواخر الليل وهو لا يعرف التعب ولا يكل من العمل وكثيراً ما كان يصل ليله بنهاره

ثم انتظم في سلك جمعية شمس البر في بيروت وهي جمعية ادبية اكثر اعضائها من تلاميذ المدرسة الكلية الاميركانية فكان وجوده في هذه الجمعية باعثاً على تضاعف رغبته لما آنسه من ارتياح اعضائها الى صحبته والرغبة في محاضراته . وكثيراً ما كانوا يدعونه لحضور الاحتفالات السنوية للمدرسة الكلية الاميركانية وسماع الخطب والمباحث فكان اذا حضر احتفالاً وسمع ما يتلى فيه من الخطب والمباحث العلمية والادبية خرج حزيناً يكاد يتقد قلبه غيرة وحمية

وفي سنة ١٨٨١ صمم على ترك شغله وطلب العلم فلاح له ان الطب خير وسيلة

تقربه من العلم وتساعدة على الكسب . فاستشار بعض اصدقائه من تلاميذ المدرسة الكلية فاشاروا عليه بالعدول عن هذا المسلك الصعب لانه يقتضي وقتاً طويلاً لدرس العلوم الاعدادية لا يقصر عن سنتين فضلا عن اربع سنوات أخرى لدرس الطب . لكن ذلك لم يكن ليوهن عزمه فدرس العلوم الاعدادية كلها على احد اصدقائه في نحو شهرين ونصف حتى آن افتتاح المدرسة فتقدم للامتحان وجازه

جرجي زيدان
في الثامنة عشرة

جرجي زيدان
في الحادية والعشرين

وقد كان في السنة الاولى من الطب مثال الاجتهاد مكباً على دروسه برغبة ولذة عظيمتين ونال في الامتحان السنوي شهادات الامتياز على تلاميذ صفه مع انه كان يتعاطى اشغالاً خاصة تساعده على النفقات . ومع ما حازه من الفوز على اقرانه لم يرَ منهم ما يشاهد عادة بين الاقران من الغيرة والحسد بل كانوا يسرون لنجاحه ويتخذونه مثالاً للذكاء والاجتهاد لما يؤانسونه به من دماثة الاخلاق ولين المعاشرة والاخلاص في صداقتهم

ولما كانت السنة الثانية عاد الى المدرسة ولم يمض شهران حتى كان الاختلال المشهور في داخلية المدرسة الكلية الذي انجلى عن خروج معظم تلاميذها وكان صاحب الترجمة في جملتهم . وقدم بعد خروجه امتحاناً بالعلوم الصيدلية مع بعض رفاقه امام لجنة من اشهر اطباء سوريا في جملتهم الكولونيل مراد بك حكيمباشي العسكر والمرحوم الدكتور فانديك وغيرهما فنال الشهادة بالعلوم الالية وهي اللغة اللاتينية والطبيعيات والحيوان

والنبات والجيولوجيا والكيمياء العضوية والمعدنية والتحليل الكيمي والمواد الطبية والاقرباذين العلمي والعملي

سفره الى مصر والسودان والكلترا

وشخص على اثر ذلك الى الديار المصرية عقب الحوادث العرابية لتكملة الطب في مدرسة قصر العيني غير ان طول المدة لنيل الشهادة الطبية حوّل عزمه عن صناعة الطب فاشتغل بالعلم وتولى تحرير جريدة الزمان — وهي حينئذٍ الجريدة اليومية الوحيدة في القاهرة — مدة سنة او تزيد حتى كانت الحملة النيلية الى السودان سنة ١٨٨٤ لانقاذ غردون باشا فسار برفقتها مترجماً بقلم المخابرات وترك صناعة القلم موقتاً رغبة في استطلاع احوال تلك البلاد . فقضى فيها نحو عشرة اشهر شهد في اثنائها اعظم الوقائع الحربية مثل واقعة ابي طليح والمتمة وغيرهما . ولا تسل عما قاساه من الاهوال في تلك السفرة فقد رأى مواقع الحرب رأي العين تحت اطلاق المدافع وصفير القنابل وشاهد القتلى مئات وألوفاً الى ان عاد بعود الحملة بعد مضي عشرة اشهر فنال ثلاثة اوسمة مكافأة له على خدمته وشجاعته

لكن ميله الى العلم كان يزداد مع الايام فلم يستقر في الديار المصرية بعد عودته من الحملة بل سافر توًا الى بيروت سنة ١٨٨٥ وبعد وصوله اليها بقليل انتدبه المجمع العلمي الشرقي ليكون عضواً عاملاً فيه . فمكث في بيروت حوالي عشرة اشهر يطالع اللغات الشرقية فدرس العبرانية والسريانية واخواتهما ووضع على اثر ذلك كتابه في الالفاظ العربية والفلسفة اللغوية

وفي اثناء ذلك الف احد معارفه رواية دعاها رواية « البطلين » جعل صاحب الترجمة احد بطليها والجنرال غردون باشا البطل الثاني وقد بين المؤلف في سرد حوادث الرواية نتيجة الاجتهاد والمواظبة مع المحافظة على الاداب كما هو شأن صاحب الترجمة

وفي صيف سنة ١٨٨٦ زار عاصمة بلاد الانكليز وكان في اثناء اقامته هناك يتردد على اندية العلم ومجتمعات الآثار ولا سيما المتحف البريطاني الشهير . ثم عاد في الشتاء الى مصر فطلبت اليه مجلة المقتطف أن يتولى ادارة اشغالها ففعل حتى اوائل سنة ١٨٨٨ فاستقال وانصرف الى الكتابة والتأليف فألف تاريخ مصر الحديث في مجلدين كبيرين وقد عانى في تأليفه صعوبات جمة . وفي سنة ١٨٨٩ الف تاريخ الماسونية العام وهو اول كتاب كتب في العربية من هذا النوع . ثم الف التاريخ العام وهو مختصر تاريخ ممالك آسيا وافريقيا القديمة والحديثة

وفي اواخر سنة ١٨٨٩ انتدبته المدرسة العبيدية الكبرى لطائفة الروم الارثوذكس بمصر ليتولى ادارة التدريس العربي فيها فتولاها سنتين وفي اثناء ذلك الف رواية الملوك الشارد وهي اول رواياته فصادفت اقبالاً غريباً حتى طبعت غير مرة . وكان صاحب الترجمة قد استحضر بعض الادوات المطبعية فتنحى عن التدريس وثابر على الكتابة والتأليف فاصدر الهلال في اواخر سنة ١٨٩٢ وكان في اول نشأته يتولى كل اموره بنفسه من ادارة وتحرير ومكاتبات وغير ذلك مما لا يستطيعه الا نفر من الرجال ولكنه كان يواصل العمل بلا ملل ولا اهمال توصلا الى النجاح حتى اذا اتسع نطاق المجلة عهد

جرجي زيدان
في الرابعة والعشرين

جرجي زيدان
في الثامنة والعشرين

بادارتها الى شقيقه واستخدم آخرين للاشغال الاخرى وانقطع هو الى التأليف والتحرير فكتب بعد نشأة الهلال مؤلفات عديدة سنأتي على بيانها . وقام في اثناء عطلات الهلال الصيفية بعدة رحلات اهمها رحلته الى الاستانة على اثر الدستور والى اوربا منذ سنتين ورحلته في الصيف الماضي الى فلسطين

وفاته

في مساء الثلاثاء في ٢١ اغسطس سنة ١٩١٤ حوالي الساعة الحادية عشرة — لا كان ذلك الليل ولا كانت تلك الساعة — وافت المنية فقيدنا بغتة ولم يكن يشكو علة ولا اصيب بمرض . وما هي الا دقيقة شهق فيها الفقيد شهقة اقامت اهل بيته مذعورين حتى

فاضت روحه الى خالقها وانتقل من دار الفناء الى دار البقاء . وكان الى آخر ساعة من حياته على تمام الصحة يشتغل كبضعة رجال من غير ان يعرف الكلل او الملل

وما ذاع نعيه حتى عم الاسف لفقده واقبل الاصدقاء والفضلاء والاعيان والعلماء والادباء على منزله في القاهرة وتقاطرت الرسائل البرقية والبريدية من محبيه في جميع الجهات يشاطرون اهله الاسى ويذكرون آثاره ومناقبه الحميدة وخدمه الجليلة للعلم والادب والتاريخ

واحتفل بتشييع جنازته احتفالاً يليق بقدره فسار موكب الجنازة من منزله في شارع الظاهر يتقدمه رجال البوليس الفرسان والمشاة وحملة الاكاليل الكثيرة التي بعث بها

جرجي زيدان — حوالي الاربعين

الاصدقاء ولفيف الكهنة الارثوذكس وبساطا الرحمة يحملهما ثمانية من الوجهاء ومركبة النعش يجرها ستة من الجياد ثم نجلا الفقيد واخوته واصدقاؤه وجمهور المشيعين وساروا على هذا النمط الى ساحة الاوبرا حيث ركبوا المركبات وساروا الى المدفن في مصر العتيقة . وبعد ان اقيمت صلاة الجنازة في الكنيسة لحظ اهله ان هيئة الموت لم تبد على وجه الفقيد بل صارت علامات الحياة اظهر فيه مما كانت في الصباح ففحصه الاطباء فقالوا ان كل الدلائل تدل على حدوث الموت . لكن اهله ظلوا مرتابين فعدلوا عن دفنه وعزموا على ابقائه الى الصباح . ولما كان الصباح خاب املهم الضعيف فدفنوا فقيدهم وهم يتمنون لو يفدونه بارواحهم

ولما بلغ نعي الفقيد عطوفة حسين رشدي باشا القائمقام الخديوي في الاسكندرية انفذ من قبله سعادة وكيل محافظ مصر الى منزل الفقيد لتعزية اهله وابلاغهم مشاركة عطوفته لهم في حزنهم

الرجل واخلاقه

كان الفقيد ربعة ممتلىء الجسم اسمر اللون متوقد العينين تظهر عليه ملامح الصحة والنشاط . وكان رحمه الله بسيطاً في جميع اعماله ثابتاً صادقاً لطيف الحديث قريباً الى الناس لا يأنف من مجالسة من هم دونه ولا يلقى الا والبشاشة تملأ وجهه

جرجي زيدان في الثانية والخمسين

ولعل الصفة الغالبة في اخلاقه كبر النفس . ولله در المطران حيث قال « ما عرفت رجلاً اجمع منه للنقيضين — الكبر والاتضاع » فقد كان متساهلاً في جميع اموره لا يعبأ بالصغائر ولا يلتفت الى ما يقال عنه في معرض الذم . وكثيراً ما كانت تنشر الانتقادات الشديدة على مؤلفاته فلا يجيب عليها في الغالب او اذا فعل كان رده مختصراً مفيداً يشف عن نفس كبيرة وخلق رضي . من ذلك ما نشر في المجلد العشرين من الهلال في

صفحة ٥٦٢ رداً على سؤال قارىء عن الباعث على الانتقادات المنشورة في بعض الصحف على مؤلفاته فاجاب : « ولا جواب عندنا على المطاعن غير المواظبة على العمل الذي وقفنا له حياتنا بما يطمئن له ضميرنا في الخطة التي رسمناها لنفسنا منذ وضعنا يدنا على المحراث لا يهمنا الا خدمة جمهور القراء ورضى نخبة الادباء وخاصة العلماء وهذا ميسور حاصل والحمد لله فحسبنا ذلك »

ومن امثلة ذلك ايضاً ما كتبه في المجلد ١٩ من الهلال صفحة ١٧٧ تحت عنوان « نحن والجامعة المصرية » على اثر الضجة التي حصلت عند تعيينه استاذاً لتاريخ الامم الاسلامية فيها ثم عدولها عنه فكان جوابه بسيطاً واضحاً شرح فيه كيف طلبت اليه الجامعة ان يلقي تلك الدروس فيها وهو انما قبل حباً بخدمة ابناء العربية وقد وقف حياته لهذا الغرض . وبالاجمال فان مقالته هذه تنم عن اخلاقه الراقية ونفسه الكبيرة

وقد كان مخلصاً في عمله نزيهاً عن الاغراض لا يهمه الا الوقوف على الحقيقة والتمسك باذيالها . ومن اقواله المأثورة « لا يصح الا الصحيح ولا يبقى الا الانسب » وتجد اخلاصه هذا واضحاً في كل عمل شرع فيه وفي كل حرف خطه قلمه

وكان رحمه الله يعرف اللغات العربية والانكليزية والفرنساوية والسريانية والعبرانية مع الملم بسائر اللغات الشرقية وغيرها . واكثر ما عرفه انما عرفه باجتهاده الشخصي ودرسه على نفسه باثبات وصدق العزيمة فكان اذا رأى الحاجة الى علم او لغة اكب عليها حتى يناها كما فعل منذ عشر سنوات لما اخذ في درس المواد الشرقية فرأى حاجة الى الاطلاع على ما الفه الالمانيون في آثار العرب وآدابهم من نتائج مباحثهم وتنقيبهم فدرس هذه اللغة بنفسه وبعد بضعة اشهر اصبح قادراً على فهم ما يقرأه منها وقس على ذلك

وكانت له منزلة كبيرة عند العلماء المستشرقين في اوربا فكان يعرف كثيرين منهم شخصياً وكان يكاتبهم جميعاً . فضلا عن منزلته في الشرق فقد كان له احباء ومريدون كثيرون وقراؤه يعدون بالالاف وكلهم معجب بما يكتبه مولع بمطالعته . ولذلك انتشر هلاله ومؤلفاته وروايته انتشاراً عظيما لم يبلغه غيرها في هذه البلاد

وكان رحمه الله يحاشى مواقف المدح . ولما كان سائحاً في جهات فلسطين في صيف سنة ١٩١٣ لم يقبل ان تقام له الاحتفالات لكن اهل القدس واهل نابلس اصرّوا على الاحتفال به بدون تعريفه علماً منهم برفضه اذا خبر فدعوه بعد ان اعدت المعدات فلم يسعه الا القبول

وكان الفقيد عضواً في عدة جمعيات علمية وشرقية نخص منها الجمعيات الاسيوية الايتالية والانكليزية والفرنساوية . واهدى اليه باي تونس وسام الافتخار من الدرجة الاولى فضلاً عن اوسمة حرب السودان وهي المدالية الانكليزية والنجمة المصرية والعروة المختصة بواقعة ابي طليح . وانعمت عليه الحكومة المصرية برتبة الممتاز الرفيعة اعترافاً بفضله على اللغة العربية وآدابها . وقررت عمدة الكلية السورية الاميركية في بيروت قبل وفاته ببضعة اشهر منحه لقب شرف من القابها العلمية

آثاره

جاء مستشرق مرة لزيارة الفقيد فلما رآه سأله « أأنت جرجي زيدان ؟ » فاجاب « نعم » فقال « ما ابعد صورة شخصك المرسومة في مخيلتي عن شخصك الحقيقي فاني كنت انتظر ان ارى رجلا شيخاً ذا لحية بيضاء لان من يطلع على مؤلفاتك لا يقدر عمرك باقل من ثمانين سنة ! » . فقد كان الفقيد رحمه الله مجتهداً لدرجة التفاني مثابراً منظماً في اعماله ولولا هذه الصفات ما قدر على انتاج تلك المؤلفات الضخمة والقيام بمشروعاته العظيمة

١ — الهلال

ومحور آثاره كلها « الهلال » الذي لم يكد يتم سنته الثانية والعشرين حتى فوجىء بوفاة منشئه . وهو منتشر انتشاراً عظيما في اربعة اقطار الارض يمتد انتشاره شرقاً الى الشام والعراق وفارس والهند واليابان وغرباً الى تونس والجزائر ومراكش وغربي افريقيا الى اميركا الشمالية والجنوبية وجزائر الهند الغربية وجنوباً الى جزائر الهند الشرقية واستراليا وزيلاندا واواسط السودان وجنوبيه وشرقيه وغربيه في زنجبار والترنسفال وشمالا الى اكثر مدائن اوربا . والخلاصة انك لا تجد بلداً في احدى القارات الخمس فيها قوم يقرأون العربية الا كان الهلال في جملة ما يطالعونه . والسبب في سعة انتشاره ان مواضيعه قريبة من حاجة القراء على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم وانه يتوخى العبارة السهلة في كل ما يكتبه مع توضيحه بالصور والخرائط العديدة

٢ — مؤلفاته التاريخية واللغوية والعلمية

كتب الفقيد في مواضيع مختلفة لكنه حاز شهرته الواسعة في الشرق والغرب بصفة كونه مؤرخاً مدققاً لا سيما وانه طرق مواضيع مهمة جديدة لم يسبقه اليها كاتب مع قلة المصادر التي يرجع اليها وافتقار اللغة العربية الى مثلها

واليك اهم مؤلفاته في التاريخ واللغة وغيرها

تاريخ مصر الحديث جزآن	طبع مرتين
تاريخ التمدن الاسلامي ٥ اجزاء	اعيد طبع الجزء الاول

تاريخ العرب قبل الاسلام

تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر جزآن طبع مرتين

تاريخ آداب اللغة العربية ٤ اجزاء

الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية	طبع مرتين

تاريخ الماسونية العام

تاريخ اللغة العربية

انساب العرب القدماء

علم الفراسة الحديث

طبقات الامم .

عجائب الخلق

وقد نقل تاريخ التمدن الاسلامي الى خمس لغات : الاوردية او الهندستانية والتركية والانكليزية والفرنساوية والفارسية . وترجم كتاب الفلسفة اللغوية الى التركية

٣ رواياته

كان غرض الفقيد الاول تحبيب المواضيع الشرقية والتاريخية الى جمهور القراء فرأى افضل سبيل لذلك ان يجعل التاريخ بشكل روايات من غير ان يشوه الحوادث التاريخية . وقد نجح في مشروعه هذا نجاحاً كبيراً فاعيد طبع رواياته مثنى وثلاث ورباع وترجمت الى عدة لغات شرقية وغربية مما لم يسبق له مثيل في هذه البلاد

وقد جعل رواياته التاريخية متسلسلة منذ ظهور الاسلام تتناول كل واحدة منها عصراً تاريخياً فتصف رجاله وعاداته وحوادثه مع المحافظة على الاصل بقدر الامكان . ورواياته تختلف من هذا القبيل عن روايات اسكندر دوماس فالفقيد كان يكتب الروايات للترغيب في التاريخ اما الثاني فكان يستعير الحوادث التاريخية ترويجاً لرواياته . وقد ظهر من سلسلة روايات تاريخ الاسلام ١٨ حلقة اليك اسماءها وعدد طبعاتها

١ فتاة غسان (جزءان) طبعت ثلاثاً
٢ ارمانوسة المصرية » »
٣ عذراء قريش » »
٤ ١٧ رمضان » مرتين
٥ غادة كربلاء » ثلاثاً
٦ الحجاج بن يوسف » مرتين
٧ فتح الاندلس » »
٨ شارل وعبد الرحمن » »
٩ ابو مسلم الخرساني » »
١٠ العباسة اخت الرشيد طبعت مرتين
١١ الامين والمأمون » »
١٢ عروس فرغانة » »
١٣ احمد بن طولون » »
١٤ عبد الرحمن الناصر » »
١٥ فتاة القيروان
١٦ صلاح الدين ومكايد الحشاشين
١٧ شجرة الدر
١٨ الانقلاب العثماني

وله اربع روايات خارجة عن السلسلة وهي

المملوك الشارد طبعت اربعاً
اسير المتمهدي » ثلاثاً
استبداد المماليك طبعت مرتين
جهاد المحبين » »

وقد نقلت هذه الروايات الى اهم اللغات الشرقية وبعض اللغات الاوربية . وعلى الاجمال فاللغات التي نقلت اليها حتى الآن بعضها او كلها هي اللغة الاوردية (الهندستانية) والفارسية والدرويدية والتركية الاذربايجانية والتركية العثمانية والفرنساوية والانكليزية والروسية والبورتغالية

ان سرد اسماء هذه الكتب وعدد طبعاتها واللغات التي ترجمت اليها ابلغ من كل ما يقال في مكانة الفقيد وخسارة اللغة العربية بفقده رحمه الله بقدر ما افاد الناس

الرجل وآثاره [1]

١ — كلمة اجمالية

انما يقدر صنيع زيدان من القى نظرة على خزائن كتبه عالماً بانه قد قتل كلا من تلك الكتب التي يصعب عدّها تنقيباً وبحثاً وانه قد سود الحواشي والهوامش وما بين السطور بالرموز والاعلام التي خرجت منها تآليفه بنظامها العجيب وبما زينت به من حسن التبويب

ثم يقدر صنيع زيدان من شهد غاراته على دور العالمة في الشرق والغرب ينهب فوائدها وينهم فرائدها غير محدود له طمع ولا منهم بري أو شبع

ثم يقدر صنيع زيدان من رقب عيشته الجافية عيشة التفكير الدائم والاستقراء المستمر عيشة الزهد الا في تصفح الاسفار واستطلاع طلع القديم من الاخبار لا يكل ولا يمل . مستعيناً بالمخطوط من سهل وممتنع او راجعاً الى مناجم الاعاجم في استخراج بعض الكنوز الدفينة التي جمعوها وصانوها من بقايا العرب

هذا بوجه عام فاذا اجيل الطرف في المسألة من وجوه خاصة :

فانما يقدر صنيع زيدان في جانب التاريخ من قرأ السير التي تركها قدماؤنا فغاص في لجج تلك المطولات التي لا يحلى منها بطائل الا بعد شق النفس ونفاد الصبر وضياع نفيس الوقت او راعه فراغ المختصرات من كل فائدة تطلب في مظنتها او تحقيق يلتمس من بابه . فهو عندئذ يتبين جلال المحصل الذي حصله فقيدنا فانزله من تاريخ آبائنا واجدادنا منزلة المتحف من آثار المتقدمين يحشد اليه كل ما يعثر عليه من تلك الآثار في كل بقعة دانية او نائية من بقاع الدنيا وتنظم فيه تلك البقايا محلولة عقدها جلية خفاياها مرتبة اشتاتها نيرة مظلماتها

وانما يقدر صنيع زيدان في جانب التأليف القصصي كل عارف انه لم يقم فينا الى الان كاتب غيره قدر على وضع سيرة واحسن تصنيف مشوقاتها وضبط سياق تقاريعها ومهر في الافضاء منها الى غايته المنشودة

وانما يقدر صنيع زيدان في جانب الاستقراء الراهن من استشفّ وهو يطالع فصوله في الهلال ما ضمنته تلك الفصول من خبرة بقلوب الناس ومعرفة باخلاق الامم

(١) نشرت هذه الاقوال في الجزئين الثاني والثالث من الهلال سنة ٢٣

وتشبث بالحق حيث اعتقده وصفاء نفس من الاحقاد وثبات عزم على نصر الفضيلة اولئك دون سواهم يقدرون صنيع زيدان احسن الله اليه بقدر ما كان له من الاحسان

خليل مطران

٢ — الفقيد رجلاً

عاشرت هذا الصديق الوفي طويلاً وعرفت فيه اخلاقاً عالية لا ارى الوصف بالنعوت كافياً لتصويرها فوددت ان اصفها بخواطر سانحة أراها تنطق بلسان حاله رحمه الله :

اذا عرفت قبل ان تمشي الى اين تصل وقبل ان تبتدىء كيف تنتهي فانت الرجل بل الرجل السعيد

لا تستطيع ان ترضي الناس كلهم ولكنك تستطيع ان ترضي ضميرك والشريعة

لا قيمة للقول تجاه عظمة الفعل

العمل وحده هو الذي يظهر قيمة العامل فكل مدح أو ذم يوصف به انسان ولا يسند الى عمله فهو من لغو القول

اتقن صنيعك فان اتقانه من اهم اركان نفعه وشهرته

انما الرتب والوسامات للدلالة على شرف الصدر الذي يزدان بها لا لتشريف ذلك الصدر . وان الصدر الذي يحمل الوسامات بغير استحقاق كاللوحة التي تحمل الحلى في مخزن الجواهر

اذا عاب الناس عملك الحسن فكأنهم نوهوا بمجده

انما يرد على الانتقاد ولكن القول الهجو لا رد عليه

خير لك ان تجتنب الوقوع في عادة من ان تضطر الى بذل الجهد في الخلاص منها

تأدية الواجب اهم من اقتضاء الحق

كن في الفضل دائماً دائناً لا مديناً

ضع في السرّاء عيلتك قبل نفسك . وضع في الضرّاء نفسك قبل عيلتك

ليكن ميراثك لبنيك الفضيلة فالعلم فالمال

كن بتربيتك نفسك خير مربٍ لأولادك

ابراهيم جمال

٣ — الفقيد صديقا

جلس مخارق — وهو المنشد الشهير — في مجلس هرون الرشيد وكان يختبر اياتاً يطرب بها الخليفة فانشد

واني لمحتاج الى ظلّ صاحب يروق ويصفو ان كدرت عليه

فطرب الرشيد وقال : — يا مخارق جئني بهذا الصاحب ولك نصف الخلافة

ولو انني عاصرت الرشيد لاخذت نصف خلافته . اذ اقدم اليه جرجي زيدان . فقد كان ضالة الامير . كان صديقاً كاملا في صداقته . كما كان كاملاً في جميع اخلاقه عرفناه أيام كان طالب علم في المدرسة الكلية . الى ثورة عقلاء الطلبة . الى قدومه القاهرة ففي جميع ادوار حياته كان صديقاً « يروق ويصفو » ان كدر الناس عليه . وعرفته الامة العربية في مشارق الارض ومغاربها نزيه القلم عفيف اللسان في ٢٥ سنة قضاها بين المحابر والاوراق كان فيها جميعها بشهادة مجلدات الهلال الضخمة ومباحثه الوعرة مثلاً صالحاً للمبدإ الشريف « مناظرك نظيرك » . كان رحمه الله صادقا في صداقته لذويه واصدقائه ومعارفه فهو على الاطلاق الصحافي الوحيد الذي عاش في شرقنا وليس له عدو بدليل واضح لا حاجة الى سواه : انك لا تجد بين جميع الذين وُفقوا الى صداقته من انقلب عليه . واعلم علم اليقين انه كان مستشاراً لعشرات من الذين كانت مشوراته الصادقة سبباً لنجاحهم المالي في التجارة والصحافة . على انه اخطأ من جهة واحدة فقط وهي انه كان صديقاً للجميع ثم كان عدواً لنفسه فلم يشفق على جسمه ولا رحم قواه فظلم نفسه وذهب شهيد العمل الشاق اذ حكم على نفسه بالاشغال الشاقة ولكنها اشغال استفاد منها العالم العربي رحمه الله عداد حسناته

سليم سركيس

٤ — الفقيد اباً

قيل « كل فتاة بابيها معجبة » فانا لا انكر اعجابي بوالدي رحمه الله ولكن ذلك الاعجاب ليس صادراً فقط عما يربطني به من العواطف البنوية بل هو اعجاب من عرف الفقيد حق المعرفة ودرس اخلاقه ادق درس

يعرف الناس الفقيد كاتباً ومؤرخاً وروائياً لكنه كان قبل كل ذلك اباً بتمام معنى الكلمة

لا تنتظر مني ايها القارىء ان اسرد عليك نعوتاً مبتذلة وصفاً لابوة الفقيد فاني اغنيك عن سماع المبتذل بذكر بعض اطواره ولعلها ابلغ من كل ما يقال في هذا المعنى :

كلما فكرت في اخلاق والدي رحمه الله تمثلت سعة صدره قبل سائر صفاته . فقد كان صبوراً لا يفوته شيء من واجباته صغيراً كان او كبيراً وطالما سمعته يردد القول المعروف : اعقل الناس اعذرهم للناس

وكانت تربيته لاولاده تربية استقلالية فاني ما زلت منذ الثانية عشرة اشعر انه يعاملني معاملة الرجال فكان لي صديقاً واباً في آن واحد لم استحي قط ان افتح له صدري في ساعة الضيق واشكو له متاعبي

وكان يصغى لاولاده بكل لذة ويظهر الاهتمام بآرائهم وان كان ما يقولونه سخيف المعنى لكي يزيد ثقتهم بانفسهم . وقلما اعترضهم في معتقداتهم وآرائهم

وكان يباحثهم كانهم زملاء له ويناقشهم في سلوكهم ويظهر لهم الطريق الصحيح ولا اذكر انه لجأ مرة الى الكلام الخشن

واذا رأى احداً من ذويه في ضيق او كرب اقبل عليه يرضيه ويخفف ما به

وكان رحمه الله يقلل من النصائح والارشادات مفضلاً ان يجعل سلوكه الشخصي مثالاً لاولاده — ونعم المثال

اميل زيدان

٥ الفقيد مؤرخا

من السهل ان يكتب الكاتب تاريخاً يلتقط اخباره من هنا وهناك ويأتي بها مجردة عن كل محاكمة واستنتاج ويلقيها كما يلقي الببغاء كلمات يتلقفها فيتلوها على المسامع . ولكن ليس من السهل ان يكتب تاريخاً يصور لك الحوادث في صورة من الحقيقة تكاد تلمسها باليد

ليست مهمة المؤرخ الذي يسمى مؤرخاً بالمعنى الصحيح بالمهمة الهينة بل هي مهمة تستنفد قوى الكاتب البصير اذا وجه اليها عنايته في ترتيب الحوادث وانتقاء الاخبار والتفريق بين صحيحها وفاسدها وبيان الرأي الصحيح فيها وربط بعضها ببعض على وجه لا تغيب فيه عن القارىء صورة من صور الحوادث الماضية

ومن اشق الامور على الكاتب ان يكتب تاريخاً خاصاً لموضوع من مواضيع التاريخ تبعثرت مواده في طيات الكتب وتفرقت بين ثنايا التاريخ ولا سيما تاريخ العرب الذي كتب فيه اكثر من تاريخ كل امة وبقدر ما ما كتب فيه تفرقت حوادثه وتشعبت سبل الحقائق

فيه فاستعصى على الناقد البصير الوقوف على ما يريد منه الا بعد الجهد الذي ما بعده جهد

ليس مرادنا الان ان نبين هنا صعوبة ما يلقاه طالب الحقائق ومريد بيانها من مؤرخي العرب اليوم . وانما المراد ان نعترف بفضل كاتب « تاريخ التمدن الاسلامي » و « تاريخ العرب قبل الاسلام » و « تاريخ آداب اللغة العربية » المرحوم جرجي بك زيدان

ان من يطالع كتب جرجي زيدان ويطالع كتب المؤرخين قبله لا يسعه الا الاعتراف بفضله على التاريخ والاقرار بانه عانى من المشاق في وضع كتبه هذه ما لم يعانه مؤرخ من قبل وانه اختط طريقاً خاصاً للمؤرخين من العرب في تقسيم التاريخ وترتيبه يشهد انه كان من خيرة مؤرخي العرب واطولهم باعاً في انتقاء المواضيع الاجتماعية التي لم يسبقه الى التخصص بمثلها احد من مؤرخينا الاقدمين .

انني عانيت من تاريخ العرب ما يعانيه المؤرخون وعرفت من صعوبته ما لم يعرفه الا من عانى ما عانيت من المشقة في انتقاء الحوادث والاخبار فلم ارَ احسن من الاسلوب الذي اتبعه في كتبه المرحوم جرجي زيدان ولا ادق ترتيباً للمواضيع واختياراً للحوادث خصوصاً فيما يتعلق بالمدنية الاسلامية . فحق على كل مؤرخ ان يعترف بان جرجي زيدان مؤرخ بالمعنى الصحيح وان له فضلاً على التاريخ العربي ببيان ما لم يسبق اليه من آثار المدنية العربية وتاريخها ينبغي ان يذكر له ما عرف التاريخ

ولقد كان بودي ان انبسط في بيان فضله على التاريخ وما عاناه من الصعوبة في استخراج الاخبار من غير مظانها بسبب فقد مزية الترتيب عند السالف من مؤرخي العرب ولكن رأيت ان في هذا تطويلاً يحسن ارجاؤه الى مقال خاص

رفيق العظم

٦ الفقير كاتبا

الكاتب كالمصور كلاهما ناقل وكلاهما حاك . الا ان الاول ينقل مشاعر النفس الى النفس . والثاني ينقل مشاهد الحس الى الحس

وكما ان ميزان الفضل في التصوير ان تكون الصورة والاصل كالشيء الواحد كذلك ميزان الفضل في الكتابة ان يكون المكتوب في الطرس . خيال المكنون في النفس

بهذه العين التي لا ازال انظر بها دائماً الى الكتابة والكتاب وأزن بها اقدارهم ومنازلهم كنت اقرأ ذلك الاسلوب العذب البديع الذي كان يكتب به المرحوم جرجي بك زيدان فاتخيله مرآة نقية صافية قد ارتسمت فيها صورة نفس الكاتب جلية واضحة لا غموض فيها ولا ابهام

وقليلاً ما كنت اجد في نفسي هذا الشعور عند النظر في كتابة كاتب سواه . لان الكاتب ان استطاع ان ينال ثناء الناس واعجابهم ببلاغة لفظه أو براعة معناه أو سعة خياله أو قوة حجته فانه لا يستطيع ان ينال الثقة من نفوسهم الا اذا كان من الصادقين المخلصين

كنت ارى عذوبة نفسه في عذوبة لفظه . وطهارة قلبه في طهارة لسانه . وصفاء ذهنه في وضوح اغراضه ومراميه . وجمال ذوقه في جمال ملاحظاته واستنتاجاته . وكان خير ما يعجبني منه ترفعه عن مجاراة المتكبرين من الكتاب في كبريائهم وتنزّله في كثير من مواقفه الى منازل العامة ليحدثهم بما يفهمون لانه كان من كتاب المعاني لا من كتاب الالفاظ ولانه كان يؤثر ان يتعلم عنه الجاهلون . على ان يرضى عنه المتحذلقون

ان كان الرجل هو الكتابة كما يقولون فلا اعلم احداً في هذا البلد كان اولى بهذا الوصف من المرحوم جرجي بك زيدان فوا رحمتاه له ووأسفا عليه

مصطفى لطفي المنفلوطي

٧ – الفقيد صحافيا

اثنان وعشرون مجلداً من الهلال صدرت في اثنتين وعشرين سنة متوالية بلا انقطاع ولا ارتباك كل جزء منها اوسع نطاقاً من سلفه واغزر مادة وادق بحثاً واعم فائدة واكثر اتقاناً وارعى للمطالعة واشهى . وشهرة بلغت اقصى المغارب والمشارق . ورواج قلما تجد له مثيلا في الصحافة العربية . كل ذلك يشهد بطول باع الفقيد في فن الصحافة وصحة نظره فيه ويحفظ له مقاماً رفيعاً بين اهله وذويه ولا سيما اذا نظرت الى رأس ماله المادي والاحوال المعاكسة التي تحدق بامثاله في هذه الديار والمجلات العديدة التي توافر لها من اسباب الارتقاء والرواج ما لم يتيسر للهلال . ومع ذلك ما كاد نجمها يطلع في سماء الصحافة حتى افل والهلال ينمو ويكمل

اما المزايا الصحافية التي امتاز بها فقيدنا وكانت السبب في هذا النجاح الباهر فهي حسن الادارة واختيار المباحث وسهولة الانشاء . والادارة ينطوي تحتها امور كثيرة مادية وادبية كضبط المواعيد وحسن الطباعة واتقان الوجه التجاري وحفظ النسبة اللازمة بين واجبات الصحافي واميال الجمهور فلا يجاريها مجاراة عمياء ولا يصدمها صدمة تبعد القراء عنه وتورثهم النفور . وتاريخ الهلال يدلك على ان فقيدنا برع في هذا الوجه

فان الهلال ما تأخر يوماً عن ميعاده ولا جاء سقيما في حروفه او رثا في ورقه ولا وقع بينه وبين الرأي العام نفور مع وعورة بعض المسالك التي سلكها ومحاولة بعض ذوي المارب ايغار الصدور عليه

ومباحث الهلال تمتاز بكون معظمها ذا علاقة بالحوادث التي شغلت الاذهان في الشهر الذي صدر الهلال فيه وبملائمتها لحاجة القراء في الشرق فان فيها تفكهة وفائدة . وكثيراً ما تسد النقص العلمي عند العامة . فالهلال من هذا القبيل يصدق عليه اسم كتاب مدرسي مشهور وهو كتاب مغني المستعلم عن العلم . ومما يذكر لفقيدنا في هذا المقام ان هناك مباحث في الدين والفلسفة اعتاد طرقها بعض الذين يريدون ان يوجهوا الانظار الى مؤلفاتهم طلباً للشهرة فامتنع عنها ولم يقدم عليها واكتفى بطلب الشهرة من الطرق المحمودة وان كانت ابعد منالا

وقد ادرك فقيدنا ان الانشاء انما هو في الحقيقة اداة تفاهم بين الكاتب والقارىء يراعى فيه ما يراعى في الادوات من المتانة والبساطة ولا سيما في الصحافة . فخالف بذلك الذين يعدون الانشاء غاية بحد ذاته فيصرفون قسما عظيما من وقتهم وعنائهم في اتقانه وحفظ وقته وعناءه لاتقان المباحث التي طرقها فعادت على قراء اللغة العربية بفائدة عظيمة وجعلت لمجلته مقاماً كبيراً نرجو لها المحافظة عليه باذنه تعالى وبما نعهده في خليفة مؤسسها من العلم والاجتهاد

يوسف الخازن

٨ — الفقيد روائيا

من عاش وعمل كزيدان يخلق به ان يوصف بعدة رجال كبار في رجل واحد كبير اقول كلمتي عن هذا الفقيد العزيز لا لاني كنت اعرفه معرفة الصديق للصديق فقط بل لاني كنت واحداً من قرائه . وكل قارىء لزيدان مهما بعد عن مزاره يعرفه معرفة الصديق للصديق . فعشرات الالوف من قراء العربية في جميع اقطار العالم الذين تردان مكاتبهم بعشرات من مؤلفات الفقيد النفيسة الخالدة يعرفونه كما يعرفه عشراؤه — يعرفونه عدة رجال في رجل واحد

زيدان كروائي رفايل التاريخ

رفايل رسم المكان وزيدان صور الزمان

صوّر زيدان نحو اربعة عشر قرناً مرت على الشرق مفعمة بتقلبات المدنيات الشرقية

وحوادث الاقوام العربية . فلا تقف عند صورة الا تستلذ الوقوف عندها مراراً . وكلما وقفت مرة رايت فيها جمالا جديداً

جمعت روايات زيدان دقة الحقائق التاريخية وجمال الحوادث القصصية وسلاسة الاسلوب وبلاغة اليراع

فاذا وقعت في يدك نسخة من اية رواية من رواياته وقرأت منها صفحة يشق عليك ان تتركها قبل ان تنتهي منها مهما كانت شواغلك

ولا يدري ان تأليف هذا النوع من الروايات يكاد يكون معجزة الا من استطاع ان يؤلف رواية من النوع نفسه تعجب جمهور القراء على اختلاف اميالهم واذواقهم

فالفقيد كقصصي كان يرتب القصة والحوادث فيها مدهشة وآخذة بعضها برقاب بعض ومتساقة كلها الى ملتقى واحد هو النتيجة التي تتهافت اليها عواطف القارىء ومدمجة اندماجاً يقررها في ذهن القارىء كحقائق راهنة . وما هي الا حقائق تاريخية راهنة اللهم الا النزر مما يختلقه من الاشخاص والحوادث تتمة لترتيب القصة

وهو كروائي مؤرخ يتناول جميع الحقائق التاريخية من مصادر التاريخ الموثوق بها وينسقها في قالب الرواية بحيث لا تستطيع ان تميز بين ان تقرأ قصة فكاهية او تاريخاً مسجلاً . وفي حواشي رواياته مسندات المصادر التاريخية الامر الذي يصور للقارىء القليل من معاناة التأليف لهذا النوع من الروايات

وهو كروائي وصاف يوهمك وهو يصف المدن والمنازل والمضارب والقوافل والمجتمعات والعادات والاخلاق انه كان مخالطاً للقوم ومشاهداً للحوادث

وهو كروائي حكيم يقف عند كل عبرة معتبراً ويتدفق فلسفة اجتماعية وحكمة

فالذي يطالع روايات الفقيد يطلع على تاريخ الشرق لعهد الاسلام ويستلذ هذا التاريخ ويستوعبه من غير ان يعنت ذهنه

نقولا الحداد

حفلات التأبين

نشبت الحرب الاوربية الكبرى بعد وفاة الفقيد بايام قليلة فحالت دون اقامة الحفلات حينئذ . وليس لدينا الآن الا خبر حفلتي مصر وزحلة . الا ان جرائد سوريا لا سيما في بيروت وحيفا تحدثت عن اقامة حفلات مختلفة ولا نعلم الآن هل اقيمت تلك الحفلات او لم تقم بسبب انقطاع المواصلات

١ — حفلة الاتحاد السوري

الدعوة

رأت لجنة « الاتحاد السوريّ » ان قد حان الوقت الموافق لاقامة حفلة تأبين للعالم الكبير والمؤرخ الشهير المرحوم جرجي بك زيدان منشىء « الهلال » الذي خدم العلم والادب في الشرق عامةً ، وفي بلاد العرب خاصةً ، فاستعانت على تخليد ذكره بلسان افاضل الكتاب والشعراء في مصر ، وعزمت على اقامة هذه الحفلة . وقد تفضل حضرة صاحب المعالي **عمر لطفي باشا بكمن** وزير المعارف فجعل هذه الحفلة تحت رعايته . وقررت اللجنة ان يكون الاحتفال في مركز الاتحاد السوري الساعة الخامسة ونصف من مساء يوم الجمعة الواقع في ٢٨ مايو سنة ١٩١٥ فنرجو التشريف

عن الاتحاد السوري

الرئيس

ميشيل لطف الله

مصر في ٢٤ مايو سنة ١٩١٥

برنامج الحفلة

ميشيل بك لطف الله	رئيس الاتحاد السوري	كلمة الافتتاح
احمد شوقي بك		قصيدة
رفيق بك العظم		خطاب (خدمة الفقيد للادب)
حفني بك ناصف	المفتش الاول للغة العربية في وزارة المعارف	قصيدة
نعوم بك شقير	مدير قلم التاريخ في حكومة السودان	خطاب (الفقيد كصديق وأب عائلة)
ولي الدين بك يكن		قصيدة
الخطيب الصامت		[redacted]
انطون افندي الجميل	منشئ مجلة « الزهور »	خطاب ، مؤلفات الفقيد
الدكتور شدودي		قصيدة
داود افندي بركات	رئيس تحرير « الاهرام »	خطاب ، حياة الفقيد
خليل افندي مطران		قصيدة
حافظ بك ابراهيم	رئيس القسم الادبي بدار الكتب السلطانية	قصيدة
اميل افندي زيدان	صاحب مجلة « الهلال »	شكر

وصف الحفلة

ما ازفت الساعة الخامسة والنصف من اليوم المذكور حتى كانت قاعة نادي الاتحاد السوري قد ازدحمت بكرام الزائرين والزائرات من علية القوم ووجهائهم وعدد من الوفود الذين قدموا العاصمة لحضور هذه الحفلة بالنيابة عن جمهور الادباء في سائر انحاء القطر المصري . وكان يتقدم القوم صاحب السعادة اسماعيل باشا حسنين وكيل وزارة المعارف نائباً عن صاحب المعالي وزير المعارف وفضيلة الاستاذ الشيخ سليمان العبد شيخ السادة الشافعية نائباً عن فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر لانحراف صحته وفضيلة الاستاذ العلامة الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية وسيادة مطران الروم

الارثوذكس ومندوبو بطاركة الطوائف المختلفة واصحاب السعادة عثمان باشا مرتضى وعثمان باشا راغب وعبد الخالق باشا مدكور واسماعيل باشا اباظه وعزيز باشا كحيل وسعيد باشا شقير وقليني باشا فهمي والشيخ محمد الخضري وكيل مدرسة القضاء الشرعي والشيخ محمد المهدي الاستاذ في الجامعة المصرية ومدرسة القضاء الشرعي والدكتوران صروف ونمر صاحبا المقطم والمقتطف والدكتور شبلي شميل وتادرس بك المنقبادي صاحب جريدة مصر والكونت ميشيل زغيب والسيد رشيد رضا صاحب المنار فضلاً عن عدد وفير من السيدات الكريمات والكاتبات الاديبات وجمهور غفير من افاضل القوم الذين يضيق المقام عن ذكر اسمائهم وعددهم يزيد عن الخمس مئة من اطباء ومحامين ومهندسين وكتاب واساتذة وموظفين الخ . . وكان رئيس الجمعية الهمام ميشيل بك لطف الله واعضاء لجنتها الادارية يقابلون المدعوين حتى اذا ما تم عقد نظامهم ارتقى رئيس الجمعية منبراً قد علقت فوقه صورة الفقيد ووضعت عليه مؤلفاته وجلس الشعراء والخطباء وعائلة الفقيد الى يمين المنبر ووفود الاقاليم الى شماله فافتتح الرئيس الحفلة بكلمات جامعة استرعت الاسماع . وتلاه بقية الخطباء والشعراء فجعل حضرة الكاتب الفاضل سليم افندي سركيس منظم هذه الحفلة يقدمهم واحداً واحداً الى الجمهور

وكانت القصيدة الاولى لامير الشعر احمد بك شوقي الذي اعتذر عن الحضور فتلاها حضرة الشاعر الكبير حافظ بك ابراهيم فوقعت الفاظها العذبة ومعانيها الشائقة اعظم وقع في النفوس فصفقوا له مراراً

وتلاه حضرة الكاتب البليغ والمؤرخ الشهير رفيق بك العظم فخطب في خدمة الفقيد للتاريخ وافاض في بيان فضله وعلمه

وجاء بعده حضرة الشاعر الفاضل حفني بك ناصف المفتش الاول للغة العربية في وزارة المعارف فالقى قصيدة بديعة الاسلوب

ثم تلا انطون افندي الجميّل منشىء مجلة الزهور قصيدة عصماء لحضرة الشاعر المبدع والكاتب البليغ ولي الدين بك يكن كلها غرر ودرر

وبعد ذلك وقف حضرة سليم افندي سركيس فقال جاء دور « الخطيب الصامت » (على ما كان مذكوراً في بروجرام الحفلة) ثم اشار الى صورة الفقيد وقال « هذا هو الخطيب الصامت وخطبته هي مؤلفاته المعروضة أمامكم على هذه المائدة فهل بين خطب الخطباء ما هو ابلغ من هذه الخطبة ؟ » ثم طلب من الحاضرين ان يقفوا احتراماً لهذا الموقف المهوب فوقفوا جميعاً

وعاد الخطباء والشعراء الى القاء خطبهم وتلاوة قصائدهم فخطب حضرة الكاتب الفاضل انطون افندي الجميّل في مؤلفات الفقيد فذكرها كلها وبين خدماته العلمية الجليلة واسترسل في الوصف والتشبيه بافصح لسان فاثرت اقواله في النفوس

وتلاه حضرة الخطيب الفاضل نعوم بك شقير مدير قلم التاريخ في وزارة الحربية فخطب في الفقيد صديقاً واب عائلة فوفى هذا الموضوع حقه من البيان وابدى في اقواله من الاخلاص وصدق الوداد ما اجمع الحاضرون على استحسانه والاعجاب به

والقى حضرة الشاعر المجيد الدكتور شدودي قصيدة بديعة من السهل الممتنع نالت اعجاب السامعين فصفقوا له تكراراً واستعادوه مراراً

وخطب حضرة الكاتب الفاضل داود افندي بركات رئيس تحرير الاهرام في حياة الفقيد فكان لكلامه احسن وقع في النفوس

وتلاه شاعر مصر والشام خليل افندي مطران فتلا قصيدة غراء حركت الاحزان واثارت الاشجان

والقى حضرة الشاعر الكبير حافظ بك ابراهيم قصيدة عامرة الابيات رشيقة المعاني قابلها الحاضرون بالتصفيق الشديد

وفي الختام قام على المنبر اميل افندي زيدان نجل الفقيد والقى كلمات الشكر لنادي الاتحاد السوري وجمهور الحاضرين والخطباء

ثم انصرف المدعوون وهم يشكرون الاتحاد السوري لاقامته هذه الحفلة الاكرامية الشائقة ويعددون مناقب الفقيد ويستمطرون عليه المراحم

وسننشر في ما يلي القصائد والخطب حسب ترتيب البرنامج المنشور سابقاً :

خطبة الافتتاح لميشيل بك لطف الله

أصحاب السيادة والفضيلة . سادتي وسيداتي

لقد كانت حياة المرحوم جرجي زيدان حياة عصامي مجتهد اعتمد على نفسه في جميع اعماله النافعة وفي جميع ادوار حياته قضى ايامه باحثاً في ظلمات التاريخ الغامضة واستخرج الحقائق التي تستلزم البحث والتنقيب حتى الف ما تفرق من شمل الحوادث التاريخية والعربية بتقلبات الزمان وعوامل الاهمال . وقد اجمعت الآراء على ان العامل

الاعظم في تمدين الشعوب هو اذاعة تاريخها وتعميم أخبار ماضيها وتسهيل الوصول اليه خصوصاً متى كان ماضي الامة مجيداً كماضي الامة العربية الكريمة . وقد انصرف الفقيد كل حياته الى نشر هذه الفكرة فعمم نشر التاريخ العربي وسهل تناوله علينا وعلى ناشئتنا اذ استخلصه من المجلدات الضخمة والمصادر المتفرقة . لذلك سيبقى جرجي زيدان مهذباً لعقول الناشئة ومدرساً للشعوب الشرقية

فالاتحاد السوري يفتخر باشتراك هذه الهيئة الموقرة معنا في اكرام الفقيد وتشجيع اميل افندي زيدان على الاقتداء بابيه فتتصل به سلسلة الخدمة النافعة . ويفتخر الاتحاد السوري انه اقام هذه الحفلة التكريمية لعالم سوري قضى حياته عاملا على انماء فكرة الاخاء والصفاء والتضافر مع الامة المصرية الكريمة ولذلك تفضل حضرة صاحب المعالي وزير المعارف فجعل هذه الحفلة تحت رعايته واشترك نخبة ادباء الامة المصرية وشعرائها معنا في اكرام الفقيد

فباسم الاتحاد السوري اقدم الشكر الى حضرة صاحب المعالي وزير المعارف والى حضرات الشعراء والخطباء الذين تزدان حفلتنا بمحاسن اقوالهم والى حضرات الافاضل والفاضلات الذين تكلفوا المجيء الى القاهرة من الاسكندرية وطنطا والمنيا وفوداً من قبل الجمعيات السورية المختلفة والى هذه الهيئة الموقرة التي اتمت بتشريفها جلال هذا المقام واسأل الله ان يديم الائتلاف المصري السوري عميم الخير والبركة في ظل عظمة مولانا السلطان الكامل حفظه الله

قصيدة احمد شوقي بك

ممالك الشرق ام ادراس اطلال ... وتلك دولاته ام رسمها البالي
اصابها الدهر الا في مآثرها ... والدهر بالناس من حال الى حال
وصار ما نتغنى من محاسنها ... حديث ذي محنة عن صفوه الخالي
اذا جفا الحق ارضاً هان جانبها ... كأنها غابة من غير رئبال
وان تحكم فيها الجهل أسلمها ... لفاتك من عوادي الذل قتال
نوابغ الشرق هزوه لعل به ... من الليالي جمود اليائس السالي
ان تنفخوا فيه من روح البيان ومن ... حقيقة العلم ينهض بعد اعضال
لا تجعلوا الدين باب الشر بينكمو ... ولا محل مباهاة وادلال

ما الدين الا تراث الناس قبلكمو ... كل امرىء لأبيه تابع تال
ليس الغلو أميناً في مشورته ... مناهج الرشد قد تخفى على الغالي
لا تطلبوا حقكم بغياً ولا صلفاً ... ما ابعد الحق عن باغ ومختال
ولا يضيعن بالاهمال جانبه ... فرب مصلحة ضاعت باهمال
كم همة دفعت جيلا ذرى شرف ... ونومة هدمت بنيان اجيال
والعلم في فضله أو في مفاخره ... ركن الممالك صدر الدولة الحالي
اذا مشت امة في العالمين به ... أبى لها الله ان تمشي باغلال
يقل للعلم عند العارفين به ... ما تقدر النفس من حب واجلال
فقف على اهله واطلب جواهره ... كناقد ممن في كف لآل
فالعلم يفعل في الارواح فاسده ... ما ليس يفعل فيها طب دجال
ورب صاحب درس لو وقفت به ... رأيت شبه علم بين جهال
وساهر بين قرطاس ومحبرة ... يسقي العقول بعذب منه سلسال
وتسبق الشمس في الامصار حكمته ... الى كهول وشبان واطفال
(زيدان) اني مع الدنيا كعهدك بي ... رضى الصديق مقيل الحاسد القالي
لي دولة الشعر طول الدهر وائلة ... مفاخري حكمي فيها وامثالي
ان تمش للخير أو للشر بي قدم ... اشعر الذيل او اعثر باذيال
وان لقيت ابن انثى لي عليه يد ... جحدت في جنب فضل الله افضالي
واشكر الصنع في سري وفي علني ... ان الصنائع تزكو عند امثالي
واترك الغيب لله العليم به ... ان الغيوب صناديق باقفال
كارغن الدير اكثاري وموقعه ... وكالاذان على الاسماع اقلالي
رثيت قبلك احباباً فجعت بهم ... ورحت من فرقة الاحباب يرثى لي
وما علمت رفيقاً غير مؤتمن ... كالموت للمرء في حل وترحال
أرحت بالك من دنيا بلا خلق ... أليس في الموت اقصى راحة البال
طالت عليك عوادي الدهر في خشن ... من التراب مع الايام منهال
لم تأته بأخ في العيش بعد اخ ... الا تركنا رفاتاً عند غربال
لا ينفع النفس فيه وهي حائرة ... الا زكاة النهى والجاه والمال
ما تصنع اليوم من خير تجده غداً ... الخير والشر مثقال بمثقال
قد اكمل الله ذياك (الهلال) لنا ... فلا رأى الدهر نقصاً بعد اكمال

ولا يزل في نفوس القارئين له كرامة الصحف الاولى على التالي
فيه الروائع من علم ومن ادب ومن وقائع ايام واحوال
وفيه همة نفس زانها خلق هما لباغي المعالي خير منوال
علمت كل نؤوم في الرجال به ان الحياة بامال واعمال
ما كان من دول الاسلام منصرماً صورته كل ايام بتمثال
نرى به القوم في عز وفي ضعة والملك ما بين ادبار واقبال
وما عرضت على الالباب فاكهة كالعلم تبرزه في احسن القال
وضعت خير روايات الحياة فضع رواية الموت في اسلوبها العالي
وصف لنا كيف تجفو الروح هيكلها ويستبد البلى بالهيكل الخالي
وهل تحن اليه بعد فرقته كما يحن الى اوطانه الجالي
هضاب لبنان من منعاتك اضطربت كأن لبنان مرمي بزلزال
كذلك الارض تبكي فقد عالمها كالام تبكي ذهاب النافع الغالي

خطبة رفيق بك العظم

ايها السادة . ايتها السيدات

اننا نجتمع اليوم لتأبين مؤرخ كبير فقدناه وفقده الشرق كما تعلمون

الا ان قولنا انه مؤرخ كبير وأنه كتب كذا وكذا من الكتب لا يكفي لاثبات فضل رجل ترك فراغاً كبيراً في الشرق الله اعلم متى يملاه سواه وصدع فقده صدعاً في الامة العربية يصعب التئامه . ولهذا رأيت ان أتلو على مسامعكم شيئاً عن التاريخ العربي تعلمون منه ان الذي نؤبنه اليوم حقيق بان يكون في الصف الاول بين المؤرخين وانه كان ذا فضل كبير على التاريخ

عني العرب بالتاريخ عناية عظيمة وكتبوا في تاريخ الاسلام والعرب كتباً تعد بالالوف استقصوا فيها اخبار الدول وحوادثها استقصاء كبيراً وبالغوا في عنايتهم بامانة النقل حتى نقلوا التافه وما لا ينبغي ذكره من الاخبار في التاريخ وحتى بلغ بهم الشغف والعناية بالتاريخ ان كانوا السابقين على ما نعلم الى وضع فن التراجم المعروف بتاريخ الرجال وكتبوا المعاجم التاريخية كما كتبوا معاجم اللغة فترجموا فيها الرجال والمشاهير من اهل كل طبقة وفن

لكن مع كل هذا هل صار هذا الفن عندهم كاملاً من كل الوجوه أو لم تفتهم امور كثيرة تعد من مهمات التاريخ

لا يسع المنصف ان يجيب على هذا السؤال الا بان سلفنا من المؤرخين تركوا نقصاً ظاهراً في التاريخ وفاتهم امور تعد في نظرنا اليوم من مهمات هذا الفن وضرورانه لو اعتنوا بها عنايتهم بنقل الاخبار وجمعها وتدوينها لكان لهم فضل عظيم في التاريخ ولتفوقوا على كثير من مؤرخي الامم

ان من اهم هذه الامور هو الترتيب وفلسفة التاريخ . واعني بالترتيب التمييز بين اقسام التاريخ وجعل كل قسم على حدة غير مختلط بغيره من الاقسام أو مبعثر في ثنايا الكتب الاخرى مما لا علاقة له بفن التاريخ . واعني بفلسفة التاريخ المحاكمة والاستنتاج وبيان رأي المؤرخ واراء من سبقه من المؤرخين في الاخبار التي هي مظنة المناقشة والحكم لتكون بهذا قضايا التاريخ مبنية على اسس منطقية محضها البحث وقربها التمحيص من متناول العقول والافهام

اننا اذا استثنينا بعض الكتب التاريخية التي لها علاقة بالاختلافات المذهبية وتبسط فيها مؤلفوها في الفلسفة الجدلية والتمحيص التاريخي لا نجد فيما وصل الينا من كتب التاريخ تاريخاً استعمل فيه صاحبه شيئاً من الرأي والمحاكمة والاستنتاج الا فيما ندر

اما الاقسام التاريخية التي قلنا انهم لم يفردوا لها كتباً خاصة فهي التاريخ الاجتماعي وفلسفته والتاريخ الاقتصادي والتاريخ السياسي فانهم لم يعنوا باستقاء اخبار كل موضوع من هذه المواضيع وافراده بكتب خاصة بل خلطوا بين هذه الاخبار جميعاً حتى ان احدنا لو اراد معرفة الحالة الاجتماعية في اي عصر من العصور الاسلامية وما هو مبلغ مدنية اهله وما هي عاداتهم ومعايشهم وما شابه ذلك مما يتعلق بالحالة الاجتماعية لكل قوم او عصر ما تيسر له ذلك الا بعد عناء كثير وبحث في طيات الكتب والدفاتر طويل

وعلى هذا تقاس ايضاً معرفة التاريخ الاقتصادي اي معرفة جباية كل دولة ونفقاتها بالضبط ومتاجر البلاد ومصانعها وموارد رزق اهلها وماذا كان يصدر عنها ويرد اليها

نعم ان العلامة ابن خلدون عني جداً بفلسفة التاريخ والاجتماع بل هو يعتبر اول واضع لهذا الفن بين مؤرخي العرب الا انه بسط آراءه في مقدمة تاريخه دون ان يعلق من آرائه شيئاً على الاخبار في تاريخه نفسه . ثم انه انفرد بهذا الفن ولم يحذ بعده احد من المؤرخين حذوه لتكون لنا سلسلة من كتب الاجتماع تناسب كل حلقة منها حالة العصر الذي وضعت فيه

وبعد فانه لا ينبغي ان ينكر فضل بعض المؤرخين المتأخرين كالمقريزي والقلقشندي وابن فضل الله العمري وما كتبوه من الكتب الحافلة بالفوائد الاجتماعية والحقائق التاريخية ككتاب الخطط للمقريزي وصبح الاعشى للقلقشندي والتعريف لابن العمري الا ان هذه الكتب وامثالها جاءت قاصرة على اخبار بعض العصور والدول بما لا يغني عن الحاجة كما يعلم ذلك كل من تتبع الاخبار في كتب العرب

وهكذا بقي تاريخ العرب ناقصاً من بعض الوجوه مشوش التقسيم والترتيب لا يستطاع الرجوع الى بعض المواضيع الاجتماعية فيه بالسهولة التي يتمناها محبو التاريخ والعلماء والمؤلفون لهذا العهد ولا سيما مع فقد كثير من كتب التاريخ التي تمر علينا اسماؤها في الكتب ولا نرى مسمياتها

من هذه المقدمة ايها السادة تظهر لكم وجوه النقص في التاريخ العربي وان المؤرخ في هذا العصر اذا اراد ان يضع تاريخاً خاصاً بقسم مخصوص من اقسام التاريخ تضم فيه الاشباه والنظائر بعضها الى بعض احتاج الى اطلاع واسع ورأي سديد وجلد شديد ولقي صعوبة عظيمة وعقبات جمة اذا اجتازها عد مبتكراً بين مؤرخي العرب قليل النظير

ولهذا كان لنا ان نقول بحق وعدل ان المرحوم جرجي زيدان الذي نجتمع لتأبينه اليوم من المبتكرين في التاريخ وله في النهضة العربية لهذا العهد فضل تشهد له به كتبه التاريخية التي كان لها في الامة أثر كبير محمود

ان المرحوم منذ اشتغل بالتاريخ اخذ يشعر بصعوبة التاريخ العربي وما اجتمعت به مرة الا شكا من صعوبة استخراج الاخبار التاريخية عن الاحوال الاجتماعية في العصور الاسلامية الماضية وعدم عناية العرب بكتابة تاريخ خاص للمدنية العربية التي كان لها أثر عظيم في الوجود

على انه ليس كل من شعر بهذا النقص تسمو به الهمة الى سده وصرف شطر كبير من الحياة في العمل لاجله . أما جرجي زيدان فقد نهضت به العزيمة الصادقة الى سد هذه الثلمة وتذليل الصعاب التي تقوم دونه فاتجه بكليته الى هذه الغاية وحصر معظم وقته بالمثابرة على البحث في تاريخ العرب والاسلام واستطلاع ظواهره وخوافيه فوضع لنا الكتب الممتعة التاريخية الموافقة لروح العصر وحاجة الطالعين ورتبها على اسلوب جديد يصح ان يكون نموذجاً نافعاً للمؤرخين بعده

من هذه المؤلفات تاريخ التمدن الاسلامي وتاريخ العرب قبل الاسلام وتاريخ آداب اللغة العربية وكلها تشهد بما عاناه الفقيد من مشقة وعناء في سبيل خدمة ابناء العربية وخدمة العلم والتاريخ

جمع في هذه الكتب معظم ما يحتاج اليه المؤرخ من اخبار النهضة العربية والحضارة الاسلامية مرتبة ترتيباً جامعاً في فصوله وابوابه كل ما يهم المؤرخ الوقوف عليه فيتناوله من هذه الكتب على اهون سبيل ويكفي مؤنة البحث في طيات عشرات من الكتب للعثور على خبر واحد يريد الوقوف عليه سواء كان مما يتعلق بنشوء الدول او ثروتها أو قوتها . وقد علق على هذه الكتب من ارائه الخاصة وتبسط في فلسفة التاريخ تعليقاً وتبسطا يدلان على ذكاء نادر وقوة استنتاج عظيمة تدعو المنصف الى الاعتراف بفضل الفقيد على التاريخ وخدمته المشكورة للعربية والامة والعلم

نعم ان بعض الناقدين آخذوه على اشياء بدرت منه في التاريخ . منها ما يرجع الى آرائه الخصوصية . ومنها ما يرجع الى تسامحه في نقل بعض الاخبار الضعيفة التي لا يوثق بصحتها ولا يعتمد على رواية كاتبيها

اما ما انتقد عليه من ارائه الخصوصية فيكفي ان يقال عنه انه راي ارتآه اداه اليه الاجتهاد في الاستنتاج فقال ما اعتقد صحته وتوصل الى استنتاجه فان اصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر وما على الناقد اذا قام عنده دليل على خلاف ما ارتآه المنتقد عليه الا ان يعمل برأيه ويعتقد بدليله وما القضايا التاريخية الا ككل القضايا العلمية تفتقر دائما الى التمحيص والاستقراء فما رآه في قضية زيد من الناس قد لا يراه عمرو وكلاهما يحكم في المسألة بالادلة التي قامت لديه وكلاهما على ما اعتقد معذور مأجور

اما تسامحه في نقل بعض الاخبار الضعيفة فانه لا ينقص من قيمة عمله العظيم ذرة لانه ناقل وما الناقل بمسئول عن خطأ سواه ولم يكن في وسع الفقيد ان يمحص كل الاخبار التي تمر على نظره تمحيص الرواة والمحدثين مثلاً لان العمل الذي قام به في تدوين تاريخ المدنية الاسلامية والحضارة العربية وجمع شتات اخبارها من مئات الكتب المتنوعة المباحث والفنون والاساليب عمل شاق اذا ظفر بخبر يتعلق بالمبحث الذي يكتب فيه لا يمكنه ذلك العمل من تركه للبحث عن سواه مع تفرق الاخبار المتشابهة في غير مظانها من الكتب العربية وصعوبة البحث عنها خصوصاً فيما يتعلق بتاريخ الحضارة الاسلامية ويستغرق البحث منه زمناً اكثر مما حدده لنفسه في اصداره كل سنة كتاباً او جزءا من كتاب . هذا مع انفراده بكتابة مجلة الهلال

فقيدنا اذن معذور في الوجهين مأجور على عمله العظيم في الحالتين . وحسبه من الفضل الموجب لشكره الرافع لمكانته بين المؤرخين انه انتهج لقومه منهجاً جديداً في التاريخ لم يسبق اليه يفيد الباحثين ويكون أحسن مثال للمؤرخين من ابناء العربية

على ان آثاره الخالدة وتآليفه الكثيرة التي سيتكلم عنها زميلي الفاضل جميّل افندي تشهد انه من نوابغ الرجال الذين يستحقون كل اعظام واجلال فلا حاجة بي على ما اظن لاكثر من هذا البيان فالعربية وابناؤها تذكر فقيدنا بالفخر والشكر ويسجل له التاريخ احسن الذكر

وهل فينا كزيدان كثير ... مناط المجد عندهم الثبات
يقضّون الحياة لنفع قوم ... على اجفانهم غلب السُبات

قصيدة حفني ناصف بك

بربك يا زيدان هل كنت تعلم ... بان أديم الارض يصبغه الدم
وان صنوف الموت تملأ وجهها ... فلا موضع الا به النار تضرم
فابغضت ظهر الارض واعتضت بطنها ... ألا ان بطن الارض انجى وأسلم
وعفت قصوراً بالمصابيح زينت ... وراقك قبر في البلاقع مظلم
وما حسن قصر كل من فيه خائف ... بجانب قبر فيه بيت محرم
أنست بمن تحت الثرى حامد السرى ... وألهاك عنا عبد ضحم وجرهم
أزيدان ما انصفتنا اذ تركتنا ... عليك بكياً بينما انت تبسم
نسيت ولم ننس الوداد واننا ... عليك لفي بؤسى وانت منعم
ففارقتنا عمداً ونحن بحاجة ... لمن ينصف التاريخ فينا ويحكم
تعال فأرخ للانام حوادثاً ... تشيب لها الولدان هولاً وتهرم
وارهف يراعاً للكتابة ماضياً ... فقد جاء عصر بالحوادث مفعم
لئن كان ما أرخت في زمن مضى ... عظيما فما نستقبل اليوم اعظم
مدافع تستك المسامع دونها ... وتخرج من افواههن جهنم
اذا فغرت افواهها لكريهة ... تدك الرواسي والحصون تحطم
وسفن تبارت في المسير اراقماً ... اذا زال منها ارقم صال ارقم
اذا انساب منها بضعة نحو معقل ... فلا شيء مما ينفث الموت يعصم
وغواصة كالحوت تسبح خفية ... تطيح بمرماها سفائن عوم
وطيارة لا يبلغ النسر شأوها ... تدل على جيش العدو وترجم
فتنقضّ منها كالصواعق تارة ... كرات واحياناً تسدد اسهم

وانبوبة تنساب منها سوائل ترد هواء الجو يعمي ويبكم
متى فارقت انبوبها صرن صرصراً اذا اشتم منها القوم فالقوم جثم
ففي الجو تصعاق وفي البحر مارج وفي البر اعضادٌ تطير ومعصم
وفي كل ناد رنة وتحسر وفي كل دار اينما سرت مأتم
فلم يخل هم من بكاء ويافع ولم تخل منه ذات بعل وأيّم
فياويح شبان تخوض غمارها وياويل شبان عن الموت احجموا
لك الحق فانعم حيث انت مع الاولى تحب وخيم بينهم حيث خيموا
وفاخر بدار ليس فيها تباغض ونافس بحكم ليس فيه تحكم
وان غبت عنا كان في ابنك سلوة وان عز نطق فالهلال يترجم

خطبة نعوم بك شقير

ايها السيدات والسادة الكرام

« أفي كل يوم لي خليل مودع لقد كدت ان ابقى بدون خليل
ولا بدّ يوماً ان تجيء منيتي ويذهب عني صاحبي ودخيلي »

ما ارهب الموت وما احقه وما امره وما اقساه !

يخفنا الدهر حبيباً فنحدّه افئدتنا . ونملكه جوارحنا . ثم ينتزعه منا فجأة بلا شفقة ولا حنان . وحكمه قاطع ابدي لا يقبل شفاعة ولا فداء . فنبقى على احر من الجمر . لا رجاء لنا ولا شبه رجاء في اللقاء الى ان ينقضي العمر !

فلينظم الشعراء المجيدون عقود المدح والثناء على فقيدنا الكريم . وليخطب الخطباء المفوّهون فيه مؤلفاً ومؤرخاً وصحافياً . وليثبت المؤرخون سيرته للملأ بماء الذهب . فان سيرة العصامي « جرجي زيدان » من افضل السير التي يقتدي بها الشبان في كل زمان ومكان ! وليسمحوا لي ان اذكر الفقيد صديقاً . وزوجاً . واباً . وابناً . وشقيقاً . واديباً . واسكب الدمع على ذكره

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفي نحيَّ البلابل

﴿ عقل الفقيد ﴾ سادتي : نبكي في الفقيد « عقله الراقي » نبكي علو الهمة . وحدّة الذكاء . ورصانة العقل . وسداد الرأي . وبعد النظر — الهبات التي صرفها الى تحصيل العلم وبث انواره في قومه وبلاده

﴿ اخلاق الفقيد ﴾ نبكي في الفقيد على الاخص « خلقه الراقي » . نبكي الحياء . والحلم . والحنان . والاتضاع . والصبر . والبشر . وطلاقة الوجه . ورحابة الصدر . وعزة النفس . وصدق الوداد . وحب الالفة والسلام والاتحاد

نبكي هذه الصفات وهذه الهبات التي متعنا بها في حياته وتركها قدوة للاجيال في مماته . نبكي هذه الصفات وهذه الهبات التي اكسبته من الاصحاب والمحبين من يعدون بالمئات

﴿ الفقيد واصدقاء القلم ﴾ وهذه الصفات وهذه الهبات قد تجلت بكل بهائها في هلاله ومؤلفاته المنتشرة بين الناطقين بالضاد انتشاراً عظيماً في الشرق والغرب . فكان اصحاب قلمه اكثر جداً من اصحابه . وكان كل بريد يحمل اليه منهم عشرات الكتب يثنون فيها عليه ويبثونه اعجابهم به وحبهم له

﴿ الفقيد صديقاً ﴾ أما اصدقاؤه فقد كان لهم به ولعٌ شديد . لانه كان يعطف عليهم عطف الاخ الشقيق على اخيه الشقيق حتى كانوا معه يشعرون أنهم مع قريب صميم او حبيب كريم . فما مرض احد منهم الا كان اول من عاده . ولا نكبَ نكبة الا اقبل عليه وهوّن مصابه . ولا سرَّ لامر الا اسرع يهنئه ويشاركه في سروره

وكان مستودع سر الاصحاب ومستشارهم ومشكى ضيمهم. فما استشاره احد في امر الا رأى الصراحة والاخلاص ورجاحة العقل بادية في رأيه

وقد كان رحمه الله حريصاً على الوقت لا يترك برهة تذهب سدى واحب الاشياء اليه العمل . ومع ذلك فكان اذا جاءه صديق في ساعة العمل رحب به واقبل عليه يحدثه كأن لا شغل له سواه . وكان من احب الامور لديه ان يرى صديقاً له يتناول الطعام على مائدته ويحدثه . وما مرَّ يوم لم يزره صاحب او جماعة من الاصحاب . ولا دخلت منزله في اليوم المخصص للزيارة الا وجدته حافلاً بالاصدقاء والخلان يتحدثون في شؤون اجتماعية ادبية . او يتسلون بالعاب فكاهية فكرية . وكان اكره الالعاب عنده لعب الورق . أما القمار فكان يعده ضربة على الاسرات ولعنة على الانسانية

﴿ الفقيد زوجاً ﴾ وكان الفقيد رحمه الله مولعاً جداً بالعيشة المنزلية . وقد وفقه الله الى زوجة فاضلة كانت له اكبر عون في جهاد الحياة . وكان يحبها محبة يضرب بها المثل وقد طالما سمعته يقول : « ان امرأتي اصل سعادتي واساس نجاحي . لانها بحكمتها وحسن تدبيرها قد اراحت بالي في منزلي فتفرغت لشغلي بكل قواي »

﴿ الفقيد أباً ﴾ وقد منحه الله ثلاثة اولاد صبيين وبنتاً هم غاية في النجابة والذكاء

قرباهم اجمل تربية وعودهم استقلال الفكر والحرية في ابداء الآراء

وكان اذا اخطأ ولد له رده الى الصواب برفق ومحبة كأنه يخاطب اخاً او صديقاً

وكان يقول : « ان الاب ليفيد اولاده بقدوته اكثر مما يفيدهم بوعظه وتوبيخه »

ومن شدّة حنوّه كان اذا مرض احد من افراد عائلته لازم سريره ومرّضه بنفسه بصبر واناة حتى يشفى

وكان من احب الاشياء لديه بعد الفراغ من الشغل ان يجمع اسرته حوله ويحدثهم في الاخلاق الراقية وحسن السلوك وعمل الواجب . وسيظهر لكم فضل تربيته اذ يقف ابنه شاكراً في آخر الجلسة

وهذا الشاب قد اتم الحادية والعشرين من عمره في الليلة التي قضى بها ابوه في اوائل الصيف الماضي . وهو الآن صاحب الهلال وقائم به وبسائر اعمال ابيه في المنزل والمطبعة والمكتبة خيرَ قيام

﴿ الفقيد ابناً وشقيقاً ﴾ سادتي : ان التربية الراقية التي رُبّي بها الفقيد اولاده قد كان اساسها التربية التي نالها على يدي ابويه الصالحين

نعم كان الفقيد نابغة قومه وكان جميع آله — والداه واخوته واخواته وزوجته واولاده وسائر اقربائه من طريق الاب والام والزوجة — يجلونه ويتعشقون خصاله ويباهون به . ولكنه كان عصامياً بالطبع وهذا الطبع موروثٌ عن ابويه فكان يفاخر بفضل ابيه وأمه عليه ويبالغ في اكرامهما

وكان الفقيد اكبر اخوته والمرشد الناصح الحكيم المعين لهم . وقد لبّاه اخوته كلهم فقام كل منهم معه او مستقلاً عنه بعمل كبير مما دلّ على فضل التربية الاصلية كما دلّ على كرم العنصر وطيب الاصل

﴿ الفقيد اديباً ﴾ وكان اروعُ خُلقٍ في الفقيد « حب الاستقلال ». وأحب خلق اليه « الصدق »

وكان يكره التظاهر والمباهاة . ويبعد عن الخصام بُعده عن الافعى . وقد عاش ثلاثاً وخمسين سنة وعرفته في كلية بيروت الاميركية ثم في مصر منذ خمس وثلاثين سنة وكنت له جاراً وصديقاً . فما اعلم انه في حياته كلها تقاضى احداً او نازع احداً او كدر صفاء انسان بل كان يسالم جميع الناس. وما حسد احداً على نعمة . ولا حقد على احدٍ في امر ما . وقد قام له بعض الحسّاد فانتقدوا بعض ما كتب فاغفل انتقادهم أو ردّهم رداً جميلاً

وأهم موضوع كان يشغله في ساعات الفراغ « اسرار الوجود والازلية » . وكثيراً ما قال جادًا « لقد اكتفينا في هذه الحياة علماً بعجزنا وقصورنا عن ادراك اسرار الكون فلتعجل بنا الحياة الاخرى لعلنا ندرك من تلك الاسرار ما يشفي الغليل »

ومن العجيب انه قال مراراً : « أود ان اكون جالساً فتفارقني الحياة فجأة » وكان ما تمناه طيب الله ثراه

وكان اعتقاد الفقيد « بوجود الله . وخلود النفس » راسخاً في وجدانه . وله في هذا الشأن مباحث نفيسة في هلاله . ومما قاله : « اني لاعجب كيف يستطيع امرء ان يجد لذة او معنى في الحياة اذا خلا قلبه من الايمان بالله وخلود النفس » واثباتاً لذلك قلت :

عجباً لجور الملحدين فهل رأوا يوماً على الحادهم برهانا
أأذا ثوى الانسان منا تنطوي منه الحياة كأنه ما كانا
فعلامَ يبقى ذكره بقلوبنا حياً ولقياه اعز منانا
وعلامَ تشعر بالخلود نفوسنا وتود في دار البقاء مكانا
والمرء يحيا بالرجاء فان خلا منه الرجاء فقد قضى حرمانا
والمرء بالايمان يهدأ باله فاذا انتفى منه غدا حيرانا

* * *

ما عاد من دار المنية راحل فنفى الشكوك وثبت الايمانا
حكم رشادك في معادك واتعظ واذا عجزت فحكم الوجدانا
واحرص على رأي الجدود فانه رأي تقلب في الحجى ازمانا
لو لم يكن دين النفوس طبيعة ما كنت تلقى في الورى اديانا
والدين دين الله مصباح الهدى فاذا اطرحناه فاين هدانا
والدين دين الله اصل عزائنا فاذا انتزعناه فاين عزانا

* * *

واذا جحدنا العلة الاولى فمن منا يعلل هذه الاكوانا
الله اكبر كيف نطفىء نوره ونسير في هذا الورى عميانا
الله اكبر ان سر وجوده ووجودنا قد حير الاذهانا
ولئن نبت افهامنا عن سره فلقد بدت آياته اعلانا
فهي المنار لمن اراد هداية وهي اللسان لمن اراد بيانا
والنفس خصت بالخلود كرامة فعلام نلبسها الفناء هوانا

أجل أيها الكرام آل الفقيد العزيز

ان فقيدكم لم يمت . انه حيٌّ في السماء . وحيٌّ في الارض — حيٌّ في السماء بنفسه وحيٌّ في الارض بذكره

انهُ وان كان عمرُه في الارض قصيراً فان ذكره في الارض سيبقى طويلاً

انه باق في القلوب . انه يعيش في هلاله . ان المؤلفات التي احيا بها الليالي تحييه

فانتزعوا الحزن من قلوبكم واشكروا الله انه نبغ منكم من خلد اسم زيدان في عالم الادب والتاريخ مدى الازمان

* * *

أي زوجة الفقيد الصالحة

اني لا أعجب من غيابك في حفلة غاب فيها قرينك !

كنت وكنا بانتظار تكريمه في عيده الفضي . ثم في عيده الذهبي . ونحن الآن نحتفل بتكريمه في مأتم ابدي !

نحن الآن ننشر ازهار المدح والثناء على ذكره . وكنت تودين وكنا نود ان نضفرها اكليلاً على رأسه !

أجل ايتها الزوجة الفاضلة

أن خطبك جسيم ومصابك أليم

فقد فقدت زوجاً كانت تغبطك عليها لزوجات !

فقدت رجلاً كان راحتك في الشدة وعونك في الملمات !

فقدت من كان يرفع الرأس ويفتح العين ويشرح الصدر ويملأ الدار !

فقدت اخاً واباً وخلاً وزوجاً احبك حب الابد !

فحقك ان تبكيه . وحقك ان ترثيه . وحقك ان يعظم مصابك فيه !

أي زوجة الفقيد الحزينة . لستِ وحدك تبكين هذا البكاء !

ان الآلاف وآلاف الآلاف من الزوجات الآن يذقن حسرتك ويتألمن تألمك

بل ان الآلاف وآلاف الآلاف من الزوجات يتمنين ان يكون لهن العوض بالانجال الذين لك

فاشكري الله أنه ما كسر حتى جبر . ولا سلب حتى وهب . ولا أخذ حتى اعطى

ان من عوّضها الله عن زوجها ثلاثة فتيان كأنهم ثلاث وردات في بستان يحرم عليها الجزع وهجر السلوان

وعلامَ الجزع وتعظيم البلاء — عشية وضحاها نكون نحن والفقيد سواء — فما لمخلوق في هذه الدنيا بقاء

واني اعلم ايمانك بالله وحياة الابد . فان كنت قد احرزت هذا الايمان لوقت فهذا وقته . وان كان للدين في القلب فائدة فلتظهر هنا فائدته . فاعتصمي بوجه الله الكريم واسأليه ونحن نسأله سبحانه وتعالى ان يصون منزلك من كل كارثة سليما . ويقيض إسلامة انجالك عوضاً كريماً ويجعلهم الخلف الصالح للسلف الصالح . وليفرغ في قلبك الطاهر صبراً جميلا وعلى من فقدت عفواً عميما برحمته ولطفه

***

وانت ايها الراحل الكريم والعصامي البطل !

لقد جاهدت الجهاد الحسن . واكملت السعي . وطلبت الراحة . فاعطيت راحة الابد !

لقد كنت المثل الطيب والقدوة الصالحة لابناء هذا الجيل والاجيال المقبلة فلتطوبك جميع الاجيال !

ايها الوطنيّ الغيور

لقد كرّمت قومك في مصر فحق لقومك في مصر تكريمك . لقد اعليت اسم الشرق في الغرب فحق على الشرق اعلاؤك . لقد اظهرت فضل العرب الكرام في التاريخ . فحق للعرب الكرام في التاريخ اظهار فضلك

ايها الصديق الحميم

كلما مر بنا يوم من بعدك ازددنا تحسراً وتأسفاً على فقدك !

ان فقدك احدث فراغاً كبيراً في جوّ اخوانك !

وهدّ ركناً عظيماً في بناء قومك !

واطفأ نجماً ساطعاً في سماء بلادك !

وقطّع اوصالا متينة في قلوب احبائك !

ولولا الامل بلقاء الاحباء في سماء الابدية لكان العزاء عن فقدك من المستحيلات !

ولكن ايماننا بحياة الابد وطيد كايمانك . وانا لراجون لك الراحة والهناء في دار البقاء . وذاكرون اسمك بالتبجيل والاكرام والاطراء الى يوم اللقاء !

فما الناس الا راحل بعد راحل الى العالم الباقي من العالم الفاني

قصيدة ولي الدين بك يكن

نادوا بالسنة الرثاء فاسمعوا جهد الحزين تذكر وتوجع
يا ساهراً والليل يعثر بالكرى عجباً هجعت وما عهدتك تهجع
بين المحابر والدفاتر مجلس هو للمعارف والمعالي موضع
خسف الهلال به عشية تمه من بعد ما قد كان منه يطلع
هي ضجعة ما اعقبتها نهضة فقضى الضجيع كما اقضّ المضجع
لو امهلتك لكي تودع معشراً سبقت قلوبهمُ اليك تودع
استودعوك مثابة مأمونة لم يحسبوا فيها النفيس يضيع
وتطلبوك غداً فقابل جمعهم هول الردى والمنزل المتخشع
ثم اثنوا واليأس ملء قلوبهم هيهات من يمضي مضيك يرجع

* * *

زيدان فضلك ليس يحجبه الثرى الفضل من تحت الجنادل يسطع
كالرَّذيم الوهاج الا انه أمضى شعاعا في العيون وابدع
ولك المآثر خالدات كلها ذكراك من اثنائها تتضوع
كتب تضمنت الزمان وشرحه فيها فصول كالوجود واوسع
قصص وآداب وجمع معارف رفعت بلادك للسهى وسترفع
احييت ذكر السالفين اولي النهى ان الكريم لمثله يتشيع
ليدم سليل شمائل لك حرة يقتص أثرك للعلاء فيتبع
هو سلوة للثاكلين ومطمع للآملين . يدوم ذاك المطمع
انا نساجله الدموع تحسراً حتى تجف من العيون الادمع
وتظل في الاكباد منا غلة بالصبر نتقعها وليست تنقع

خطبة انطون افندي الجميّل

ايها السادة الكرام

ما ابلغ هذا الخطيب الصامت وما افصح بيانه . . ! بل ما اصعب اعتلاء المنبر للكلام بعد هذا السكوت الناطق ، فقد تقف دونه بلاغة الخطباء وتقصر عن مداه قرائح الشعراء. فمن كان يا ترى اقدر على تأبين الفقيد من مؤلفات الفقيد ، وحفيف كل ورقة من ورقاتها

يرتل آيات محامده ، ودبيب الحروف في كل سطر من سطورها ينشد جميل مآثره . وما كنت بالذي يختار لنفسه هذا الموقف الحرج بعد ذلكم الخطيب البليغ ، لولا انني استوحي من سكوته الهاماً لجناني ، واستمدُّ من صمته روحاً لبياني

هذه المصنفات الجليلة - وقد تناولت مجمل مواضيع التاريخ والادب والفلسفة والاجتماع — مدار خطابي ، فانّى لي ان اوفّيها حقها من التقريظ وكل منها يتطلب درساً مستفيضاً . على انني استعين بهذه المؤلفات — وقد أربت على الستين مجلداً — لتعداد مآثر من اجتمعنا لتكريم ذكره

* * *

ايها السادة ، اذا كان معنى التأليف جمعَ المسائل وتنسيقها ، وتدبر المعاني وتمحيصها لاستخراج الفوائد وادراك الحقائق وابرازها في قالب شيق طلي فما احرى منشىء الهلال بان يطلق عليه اسم المؤلف — وما كل كاتب يطلق عليه هذا اللقب

في هذا الجمع الموقر الذي التف حول الهلال كثيرون هم زملاء الفقيد ورصفاؤه في معاناة صنعة القلم ، فهم ادرى من سواهم بما يكابده المؤلف في الشرق من العناء في جمع موادّه وتأليفها في اي فن من فنون الكتابة . لذلك يدرون كم كانت لغتنا مدينة لجامع اشتات تاريخها وتاريخ آدابها وتاريخ شعوبها ، فيشعرون بان وفاته هي اشبه شيء بقطع شريان حي ممتلىء دماً زكياً كان يحمل الحياة الى جسم النهضة الادبية الحديثة ، لذلك شعرنا اننا

« لم نرزَهُ لما رُزينا وحده وان استقل به المنون وحيدا »

بل فقدنا به اكثر من فرد : فقدنا كاتباً مؤرخاً ، ومنشئاً قصصياً ، وباحثاً اجتماعياً ، ومنقباً لغوياً ، وفيلسوفاً عمرانياً ، لان قلمه طرق ابواب كل هذه العلوم ، فانفتحت له على مصراعيها ، ودخل حديقة كل هذه الفنون ، فجنى منها الأثمار الناضجة الشهية

اجل ، قد تختلف مؤلفات جرجي زيدان قيمة باختلاف مواضيعها ، غير انها كلها شاهد عدل على ما اتصف به من الجلد في التنقيب ، والثبات على العمل ، والرغبة في الافادة ، والسعي وراء الحقائق ارضت ام اغضبت

هذه بعض مزيات هذا المؤلف الذي استحقّ ما احرزه من سمعة طيبة وصيت بعيد ، وان كانت يد الموت قد عاجلته دون ان تفسح له الاجل لابراز مكنونات صدره الرحب

* * *

عمد الى التاريخ — والتاريخ رسول الماضي وعبرة الآتي — فاستطلع دخائله

واستجلى غوامضه ، فلما توافرت لديه موادُّه ، ودانت له اشتاتها ، عمل على تعميم فوائده بين قراء العربية ، فاتحفنا بكتب « تاريخ مصر » و « تاريخ العرب قبل الاسلام » و « تراجم مشاهير الشرق » و « انساب العرب » . وقد جمع المستندات والحوادث من موارد مختلفة ومظانّ شتى يقعد عنها الا الهمة الناهضة ، ويضيع فيها الا الفكرة النيرة . فصور تلك العصور الخوالي تصويراً جمع الى الحقيقة والامانة الوضوح والجلاء ، فلم يتجاهل محامدها — وهي كثيرة ، ولم يغض الطرف عن عيوبها — واي الشعوب خلوٌ من العيوب ؟ فقام على هذا الوجه بواجب الوطني يذيع مفاخر قومه الغابرين ، ليعدّهم لمستقبل مجيد ، وقام كذلك بواجب المؤرخ يدون الحوادث ويردها الى اصول عامة ، ليستخلص منها الحقائق . عرف ان التاريخ في عصرنا لم يبقَ مقتصراً على ايراد الوقائع ، بل هو يجمع الى سرد الحوادث نقدها ، والى وصف العادات تقدير الافكار والمبادىء ، والى رواية اعمال الرجال درس اخلاقهم ، مبيناً تأثير الرجل في زمانه ، وتأثير الزمان في الرجل : وهذه هي فلسفة التاريخ

* * *

ولم يكن نصيب لغة العرب من اهتمامه اقل من نصيب تاريخهم . فقد اتحفنا في هذا الباب بكتاب « الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية » و « تاريخ اللغة العربية » و « تاريخ آداب اللغة العربية » . وهذا الكتاب الاخير اخصه بالذكر ، فاذا كان مسيس الحاجة يزيد في قيمة مؤلفات الاستاذ زيدان ، فان هذا الكتاب ذو فائدة جلى بنسبة حاجتنا القصوى اليه وبالنظر الى ما وسع من الفوائد الثمينة . اذ انه لم يكن لدينا كتاب جامع يُرجع اليه في تاريخ الادب العربي منذ نشأته حتى يومنا ، بل كان جميع ما يتعلق بذلك مبعثراً في مئات من الكتب بين مطبوعة وخطية ، وهذه الكتب موزعة في مكاتب الشرق والغرب (١)

* * *

كتب زيدان في شؤون الاجتماع والعمران ، فلم يقتصر على العموميات ، بل درس الاصول والفروع واضاف غالباً الى الحقائق الراهنة المشاهدات والملاحظات التي ارشده اليها البحث والاستقراء ، فاهدى تباعاً الى العالم العربي « تاريخ التمدن الاسلامي » في خمسة اجزاء وكتاب « طبقات الامم » و « عجائب الخلق » و « علم الفراسة » وكل هذه المصنفات تنطق بسعة الاطلاع ووفرة المعارف . ولو لم يكن له الا « تاريخ

(١) راجع ما كتبناه بهذا الشأن في مجلة الزهور (سنة ٢ صفحة ٢٧٣ وسنة ٣ صفحة ١٧٣)

آداب اللغة » و « تاريخ التمدن الاسلامي » لكفاه بهما مرقاة يصعد عليها الى اول طبقة بين الباحثين في الشرق

* * *

رأى ان التاريخ يصعب تعميم فوائده اذا اقتصر نشره على كتب التاريخ . فعمد الى صوغ حقائقه في قالب روائي ، فكان فارس الميدان الذي لا يلحق غباره في تأليف الروايات التاريخية . وقد كتب منها اثنتين وعشرين رواية نالت شهرة واسعة ، لما وجد فيها القراء من الفائدة والفكاهة ، وكان في نيته ان يزيد حلقاتٍ جديدة على هذه السلسلة الجميلة ، لولا ان غاله غائل المنية

* * *

أقف في تعداد مؤلفات الفقيد عند ذكر « الهلال » فان اسم زيدان في تاريخ الادب لن يزال مقروناً باسم الهلال . وقد كانت هذه المجلة مبدأ حياته الكتابية ، ومجلداتها الاثنان والعشرون تؤلف اكليلاً منيراً ساطعاً يُضفَر على جبهة صاحبها ، ويجعل له مقاماً ممتازاً بين المنشئين . راجعت منذ أيام العدد الاول الصادر في شهر سبتمبر سنة ١٨٩٢ ، وقرأت فيه بيان خطة هذه المجلة ، ثم دارجتها في سيرها فلم أجدها حادت عن الخطة التي رسمها لها منشؤها بيد ثابتة منذ صدورها ، الا للتدرّج من الحسن الى الاحسن . وهكذا ظلت تهلّ مع هلال كل شهر مدّة تناهز ربع قرن ، وهي حافلة بالمباحث المستوفاة في كل فن وخبر

* * *

هذه نظرة سريعة في مؤلفات الفقيد وقد عدَّدت منها ولم أعدها

وقد سعى في جميع ما كتب والف الى مزج الفائدة باللذة : فكان روائياً في تاريخه، مؤرخاً في رواياته ، مجاهراً دائماً بأن ما لا نعلم اكثر مما نعلم : وهذه مزية العالم الحقيقي

وقد كان رجل سلم لا رجل تسليم : أعني بذلك انه لم يكن يتهجم على احد في كتاباته ، ولكن اذا برز له في ميدان البحث قرنٌ كفؤٌ ، نازله بأشرف سلاح ، وناضله بأصدق لهجة : يشهد له بذلك موقفه تجاه بعض الناقدين وردوده الدالة على رسوخ في العلم واذعان للحق وترفع عن المهاترة

ايها السادة

قبل ختام الكلام عن مؤلفات الفقيد ائذنوا لي أن اعمد الى تشبيه قد يبين شأنها واسلوب صاحبها في الكتابة :

من الكتاب من هم كذلك السيل الجارف ذي المنظر المروّع ، يتدفق مرغياً مزبداً ، فيثب وثبات عظيمة ، ويتحدَّر شلاّلات فخمة ، يقف عندها المرء متهيباً

وفريق منهم يشبه ذلك الجدولَ المترقرق على الحصباء ، العاكس في قاعه الصافي زرقة السماء ، يتغاغي على ضفتيه الزهر الندي ، ويطرب الاسماع بخريره الشجيّ ، فيحييه الصفصاف المنحني ، ويقف عنده المرء ضائعاً في بحار الاحلام

ليس زيدان ذلك السيل الجارف ولا هذا الجدول المترقرق ، بل هو يشبه النهر الهادئ — كنهر النيل مثلاً في واديه — يسير بكل سكون ووقار ، يحمل في طيات مياهه الحياة والثروة يلقيهما على شاطئيه ، فيحول الجدب خصباً والترب تبراً . . . .

بل ان من المنشئين من يشبهون شجرة الأرز ، وقد نشبت منها الجذور في الصخور ، وبسقت منها الفروع الى كبد الجوزاء حاملة اوكار النسور ، فقامت هناك على قمّة الجبل العالي ضاحكة من العواصف مقهقهة من الصواعق ، تدارج العصور ماضيها وحاضرها ، وتراقب الامم قديمها وحديثها

ومنهم من يشبه الوردة الجميلة النابتة في الحديقة تحت ظل الخميلة ، تتغذّى من ضياء الشمس فتعكسه في زهرتها الحمراء ، وترتوي من ندى السماء ، فتحوله اريجاً ممسّكاً يعطر الارجاء ، فتسكر بشذاها النحلة والفراشة

ليس زيدان بتلك الارزة ولا بهذه الوردة ، بل هو سنبلة القمح الملآنة حباً ، تملأ اهراءك قمحاً ، وتدر عليك الخير والبركات ، ومع ذلك يغرد عليها العصفور في الربيع ، ويتغنى في الحقل الذي تنبت فيه النسيم البليل ...

أيها السادة

اجتمعنا لاحياء ذكرى فقيدنا الكريم . فتجدّدت في القلوب لواعج الحسرة عليه . على اننا نشعر في آن واحد بعامل غبطة وعامل افتخار :

نغتبط ونتعزى . لان فضل الفقيد لم يغمط — شأن أغيره من ادباء الشرق — بل راجت مؤلفاته وتلألأ هلاله وعُرف قدره . وقد سألت مجلة « الزهور » قراءها سنة ١٩١٢ تعداد النوابغ في مصر . فجاء اسم صاحب « الهلال » في مكان حسن

نغتبط ونتعزى . لان حكومتنا عرفت ايضاً خدماته للعلم . فكافأته برفيع رتبها اقراراً بانه لم يعش الا ليؤلف ولم يؤلف الاّ ليفيد

نغتبط ونتعزى . لان الامتين الشقيقتين قامتا اليوم لاكرامه . بعد ان اصبح تحت أطباق الثرى جسداً هامداً ورفاتاً سحيقاً

تتعزى من اجل كل ذلك — ونفتخر ايضاً — لان مؤلفات الفقيد شرفت اسم المشارقة لدى المغاربة . فترجم معظمها الى لغات الفرنجة وكان لنا في ذلك مدعاة فخر وعزّ

نتعزّى — وتتعزّى معنا روح الفقيد — بان لدينا خلفاً له . يحيي اسمه ويسير على آثاره المجيدة لاتمام عمله ...

فسر يا ابن زيدان ترعاك روح انجب والد . واحذُ حذو اكرم مثال امامك . واحتفظ بالوديعة التي اودعك اياها جامعاً الى نشاط الشباب حكمة الشيوخ . وفي ساعة اليأس أو الملل أدر لحظك . يا اخي . الى هذه الكتب تجد فيها اكبر منشط . ونحن اليوم جميعاً نحيطك بأبصارنا منشدين :

واذا رأيت من الهلال نموّه أيقنت ان سيصير بدراً كاملاً

قصيدة الدكتور ابراهيم شدودي

مقامك فوق العلا صاعد وجسمك تحت الثرى راقد
وصيتك يجتاز عرض البحا ر وانت طويل الكرى هامد
وجيل يبيد وجيل يجي ء وذكرك ما بينهم خالد
وفضلك بين بني الشرق رغ م تباين اديانهم واحد
ولستَ بمفتقر للشهو د ففي كل مكتبة شاهد
وما حسدوك واي فتى نظيرك ليس له حاسد
ولا جحدوك وكل امرىء اتى المعجزات له جاحد
وذاك لانك جزت الحيا ة وما لك خصم ولا حاقد
وسالمك الكل في ذا الورى وصافاك حتى الردى الحاصد
كفاك الشعورَ بوقع القضا فجاء وانت ضحى هاجد
اتاك سراعاً لكي لا تسا م عذاباً كان الردى راشد
صرمتَ بجهدك حبل الحيا ة كذا يحدث الناقص الزائد
ولو مثل جهدك طالت سنو ك لطال بها نفعك العائد
طموح الى غاية الصالحا ت وعن غيرها راغب زاهد
غنيٌّ بعلم وعقل رزيـ ن فذاك الطريف وذا التالد
ولستَ فتى فخره الوالدا ن ولكن به يفخر الوالد

فما ماجد وارث المكرما ت ولكن كاسبها الماجد
قعدنا وسرت لنيل العلا ولا يبلغ الذروة القاعد
ونمنا فماتت معالي الجدو د وانت لاحيائها ساهد
ترود . حقائق أحوالهم كما يطلب النجعة الرائد
وتبحث عن كنه اخبارهم فما فاتك الغامض الشارد
وكالنحل تجني لنا ما استطا ب وكالشهد ينهله الوارد
ومالك غير الدجى مؤنس ولا لك غير الحجى عاضد
عزاء محبيك ان فتا ك لما شدته داعمٌ عامد
فما مائت كل اصيد به جب كابن الفقيد ولا بائد

خطبة داود افندي بركات

رهط من ابناء هذا الشرق بل من ابناء اللغة العربية كان مثله كمثل الحبة الطيبة كمنت في تربة خصبة انقطع ريها وحرمت السقيا فلم تفقد جوهرها ولكنها لم تلق ما ينشر فيها الحياة وما يبعث قوتها الكامنة من الرقاد . فلما اصابها رشاش من العلم وقطرة من مزن التربية والتهذيب نشرت وبعثت . بل نبتت وانمت وبسقت اغصانها واورقت وارسلت بجذورها الى مواطن الحضارة والمدنية فاستمدت ثم اثمرت ثمراً طيباً جناه الشرق وحنت الى ما حولها فتعهدته بالحيا والسقيا ليحيا فقال الشرق في هذا الرهط من ابنائه انه خيرهم « وخير الناس من نفع الناس »

هذا الرهط كشف عن الابصار غشاوة الجهل وروج العلم وارسل نور مصابيحه الى قصر الامير وكوخ الحقير . والعلم اذا انتشر كنور الشمس اذا استفاض يستنير به كل حي

العلم يحيي قلوب الميتين كما تحيا البلاد اذا ما مسها المطر

هذا الرهط الذي نبت اكثره منذ نصف قرن ونبغ بجده وجهده . هو ابكار المدنية الشرقية الناشئة الآن . ففي كل يوم نودع منه راحلاً الى ربه خالداً فينا بآثاره .

وفي كل يوم نقف على جدث راحل منشدين

انت احسنت في الحياة الينا احسن الله في الممات اليكا

* * *

من هذا الرهط المبارك منشىء الهلال وصاحب تاريخ مصر الحديث وتاريخ التمدن

الاسلامي وتاريخ العرب قبل الاسلام وتراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر وتاريخ آداب اللغة العربية والفلسفة اللغوية والالفاظ العربية وتاريخ الماسونية العام وانساب العرب القدماء وعلم الفراسة الحديث وطبقات الامم وعجائب الخلق

وصاحب فتاة غسان وارمانوسة المصرية وعذراء قريش و١٧ رمضان وغادة كربلا والحجاج بن يوسف وفتح الاندلس وشارل وعبد الرحمن وابو مسلم الخرساني والعباسة اخت الرشيد والامين والمأمون وعروس فرغانة واحمد بن طولون وعبد الرحمن الناصر وفتاة القيروان وصلاح الدين ومكايد الحشاشين وشجرة الدر والانقلاب العثماني والمملوك الشارد واسير المتمهدي واستبداد المماليك وجهاد المحبين

* * *

مؤلفات يكفي ذكرها اليوم ويكفي ذكرها غداً وبعد غد والى الابد في ارقى الامم علماً واسماها حضارة حتى يكون اسم جرجي زيدان عنوان النشاط والجد وعنوان الادب والفضل وحتى يمثل هذا الاسم كمنارة من المنائر التي قامت في مصر وارسلت اشعتها الى العالم العربي بل الى العالم الشرقي كله . ولم يجهل الغرب جرجي زيدان وفضله فترجم بعض مؤلفاته بلغاتهم وعين عضواً في جمعياتهم العلمية فاحسن الى امته بترويج العلم فيها واحسن اليها ببعث ذكرى مجدها القديم في ذاكرة الغرب

* * *

جرجي زيدان يبتدىء فضله بانه علم نفسه . ويتضاعف هذا الفضل ويعظم ويفخم ويسمو بانه كان في مدى حياته كلها معلماً لغيره . ويدوم هذا الفضل غير منته الى حد ولا منقطع الى مدى بهلاله وهو وحده مكتبة ضخمة لا ينقصها علم ولا يفوتها فن او موضوع نافع حتى يصح ان يقال لكل طالب « عد الى الهلال تلق ضالتك » وبتآليفه التي تستنفد قراءتها شطراً كبيراً من عمر القارىء اذا قرأ فكيف بعمر المؤلف اذا كتب

يدوم فضله ويخلد بكل هذا ويدوم ويخلد بالسنة التي سنها بنفسه للناشئة في طلب العلم . وبالسنة التي سنها بعد ذلك للكتاب والمؤلفين في الكتابة والتأليف وبالطريقة التي انتهجها في ترويج العلم فلم يعل عليها العالم ولم يحقر دونها المتعلم . وبر الابناء الاباء وبتنزيه العلم والادب عما ليس علماً ولا ادباً حتى يكون العالم الانسانية وحتى يكون العلم للجميع

فنحن من فضله الخالد فينا امام علم العالم وامام حياة العالم العامل

* * *

نشأ جرجي زيدان في بيروت وابوه بحاجة الى ذراعيه الضعيفتين في طلب الرزق

ونفسه الثابتة كبيرة في صدره طموحة الى ما يرضيها من العلم . والى ما يرضي والديه من العمل فلم يهمل الواجب المفروض على الولد لوالديه ولم يهمل الواجب المفروض على النفس الكبيرة لصاحبها فرأيناجرجي زيدان ابن الثانية عشرة يشتغل لعائلته نهاراً ويشتغل لنفسه ليلاً ويجمع مع نبضات قلبه ودقائق حياته كلها بين الحسنيين ويجمع بقوة الارادة بين نشاط الشباب ومدارك الشيوخ فكأنه ولد شيخاً : « والنبت الطيب يأتي اكله طيباً في كل حين »

وبعد ان كان لنفسه ولابويه في صباه صار لامته وللانسانية في الشباب والكهولة وحاله تنشد فينا

نفس عصام سودت عصاما

احتاج الفتى جرجي الى متنزه يروض فيه فكره ويشرح صدره . فلم يبحث عن متنزهه في الملاعب ولم تجده نفسه في الملاهي بل في جمعية ادبية علميةهي جمعية شمس البر فاندمج في مسلكها فزادت في خطبها العلمية والادبية ومباحثها الراقية نفسه نشوطاً الى العلم وعشقاً للادب. وهكذا فعل البيات في الامم تطبع الناشيء بطابعها فاذا كان ذلك الطابع حسناً كان اثره في نفس الناشيء حسناً وعن ذلك درج المثل القائل « ارني عشيرك ارك من انت »

كان عشير الفتى جرجي الادباء والعلماء فنشأ عاشق الادب والعلم الى ان سار اديباً عالماً . ومثل جمعية شمس البر في كل الامم . سلم الرقي والتهذيب لانها تكون حولها محيطاً يهذب ما في دائرته ويرسل عرفه الطيب وشذاه الى ما حوله حتى قالوا ان معيار ترقي الامم الجمعيات الادبيـة والعلمية والخيرية فيها لان هذه الجمعيات ثمرة شعور الافراد بالتساند والتعاضد والتآزر فكلما كان هذا الشعور قوياً كان دليلاً على يقظة النفوس وكلما كان قليلا كان دليلا على الضد

انمـا هذه الجمعيات التي نبتت في سوريا بعد نهوض الرهط المبارك من ابنائها بفضل العلم لم تعش طويلا

فلما حرمت على الناس الخطابة وضربت حدود ضيقة للكتابة تفرق المتعلمون او فرقوا حتى قال العالم الشهير فانديك احد مربي سوريا « عجبي لسوريا كيف تحيا ودم العلم والشباب يستنزف منها »

على ان ذلك الدم المستنزف من سوريا لم يضع كله فظل بعضه في هذا القطر المبارك فظل في وطنه وفي اهله وذويه ولغته . والعلم في الامم المشتركة باللغة الواحدة وبالوطن

كتيار الكهرباء اذا تناول طرفاً امتدت قوته الى سائر الاطراف ومصر من البلاد العربيـة كالقلب من الجسم فكل نبضة تنبض في هذا القلب تتناول الامة العربية كلها حرس الله هذا القلب وصانه

* * *

كان الشاب جرجي ممن هجروا سوريا الى مصر (سنة ٨١) فلم يقصد مصر عالماً فقط بل قصدها طالباً للعلم مع ما في صدره منه « واثنان لا يشبعان طالب علم وطالب مال »

ذكر جرجي عند حلوله في هذه الديار واليد خلو من المال والنفس تواقة الى العلم ان المغفور له ابراهيم باشا كافأ السوريين واللبنانيين خاصة الذين امتزج دمهم بدم اخوانهم المصريين تحت قيادته بان يعلم في المدارس العالية في مصر دائماً ابداً ٢٥ طالباً سورياً ولبنانياً مجاناً وان يكتب نص امره الصادر بذلك في شهادة كل طالب يتم علمه حتى يطلع اهل سوريا ولبنان عنـد عودة كل طالب اليهم عالماً على امره وليعرفوا المكافأة الطيبة الابدية التي كوفئوا بها

فتقدم الشاب جرجي الى المدرسة الطبيـة المصرية وهو حامل شهادة علم الصيدلة من بيروت فلم يفز ببغيته لا لان امر ابراهيم باشا الغي ولا لان العدد الذي عينه ابراهيم باشا كان موجوداً في المدارس العالية بل لان الامر الذي نفذ من سنة ٤٨ الى سنة ٨١ اهمل

وهب جرجي زيدان نفسه لمصر الكريمة مصر محمد علي وابراهيم وعباس وسعيد واسمعيل والامة العظيمة تستنفد دم كل فتى يزيدها نشاطاً وقوة وعلماً وادباً . والامة العظيمة اقرب الى نسب الانسانية العام منها الى نسب الخؤولة والعمومة فمن انتسب اليها كان لها ومنها

وما يعده الافراد مزاحمة يكافحونها ويكرهونها تعده الامة الراقية مسابقة في خدمتها تنشطها وتشجعها « والسابق السابق فيها الجواد »

وهب جورجي نفسه لمصر فكان باراً بها فبرت به ولقي عطفها عليه حتى آخر نفس من حياته

* * *

اوصدت المدرسة الطبية المصرية بابها في وجه جرجي فلم يعرف اليأس الى نفسه سبيلاً فتسنى له التحرير في جريدة الزمان ولـكن نفسه كانت تواقة الى ما هو ارقى مع

فقدان النصير وقلة المال وانهيار سلم الصعود فعاد الى نفسه النشيطة يستعين بها على بلوغ قصده

وانما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل

رأى الحملة السودانية بحاجة الى مترجمين (سنة ٨٤) فدخل في خدمتها مترجماً مستسهلاً الصعب في سبيل الغاية الشريفة وجمع من وراء الخدمة بعض المال عاد به الى بيروت لا للاستيطان وقد وهب نفسه لمصر بل لاتمام درس اللغات الشرقية كالسريانية والعبرية وقصد اوربا ليرى بعينه آثار مدنيتها وعاد الى مصر ليستعين بالعمل على اتمام العلم فدرس في المدرسة العبيدية وخطر له وقتئذ ان يجس نبض قلمه ويسبر غور القراء فالف المملوك الشارد وهي رواية تتناول حوادثها حكم الامارة اللبنانية على عهد الامير بشير الشهابي حليف محمد علي وابنه ابراهيم فتخاطفت الايدي روايته وراجت رواجاً دل المؤلف على ان الجمهور حكم له بما لم يحكمه هو لنفسه فنشط الى العمل والف مطبعة صغيرة اصدر بها الهلال (سنة ٩٢) فكان هو الكاتب والطابع والناشر والمدير حتى اوصل الهلال بجده الى ما هو عليه من كثرة العمال والموظفين والمساعدين والكتاب والمكاتبين ولو قيل سنة ٩٢ ما يكون عليه الهلال سنة ٩١٥ لقالوا هذا مستحيل ولكن حيثما وجدت الارادة والحزم وحسن القصد لا يوجد المستحيل

بسط في الهلال خطته فقال « خطتنا الاخلاص في الغاية والصدق في اللهجة والاجتهاد في ايفاء الخدمة حقها »

فكان هذا القول اساس اعماله في حياته العملية وهكذا كان جرجي الناشىء عنوان الجد والنشاط فصار جرجي العامل عنوان الاخلاص وحسن القصد

ثم بين غايته من عمله فقال « وغايتنا اقبال السواد الاعظم على ما نكتب والرضا عنا بما نحتسب والاغضاء عما نرتكب »

فهل حاد في ٢٢ سنة عن خطته وهل قصر دون غايته ؟ سلوا هلاله الذي انتشر في المشارق كلها وفي كل قطر تقال فيه كلة عربية وسلوا تآليفه التي يعاد كل سنة طبعها بل سلوا دقائق حياته كلها تقل : انه درج على تلك الخطة الى تلكم الغاية من المهد الى اللحد

ادخل التاريخ على اذهان الجمهور بفكاهة الرواية وسهل تناول العلم بالسهل الممتنع وترقى بالكتابة والتأليف ترقيه في جميع ادوار حياته فمن المملوك الشارد في تاريخ منبته جبل لبنان الى ١٨ حلقة في تاريخ الامة العربية ومدنيتها وحضارتها في بغداد والشام

ومصر والاندلس . ومن رسالته في فلسفة اللغة العربية الى كتاب آداب اللغة العربية في اربعة مجلدات . ولو لم يكن له غير هذا الكتاب النفيس لكانت العربية مدينة له باعظم فضل

المؤرخون الروائيون استعاروا التاريخ للترغيب في رواياتهم وجرجي زيدان استعار شكل الرواية للترغيب في التاريخ

انصرف جرجي زيدان الى التأليف والتصنيف فرأيناه في ربع قرن كامل عاملاً لا يكل ومؤلفاً لا يمل يحاسب نفسه عن كل دقيقة فكانه لا يملك دقائق حياته فهي ملك لامته وقرائه . ففي كل رحلة من رحلاته مؤلف في ما رآه وعرفه وفي كل عطلة من عطلات الصيف كتاب في ثمار جده طول العام حتى فاجأته المنون وهو بين المحابر والاقلام

ذهبت روحه الى ربها — وكلنا اليه راجعون — فكان نعيه في الشرق كوقع الضربة القاسية اجفل لها الشرق وحزن واسف لجمود يد لم تجمد لحظة عن التحبير والتحرير ولانقطاع نفحة والت الملايين بنفحاتها في كل يوم مدة ربع قرن كامل . فاذا كان جرجي زيدان قد عمر ٥٣ سنة فقد ملا ذلك العمر عملا وجداً فهو فينا خالد لم يمت « وانما الميت ميت الاحياء ». وهذا نجله الكريم الذي ربي على يديه واقتبس فضائله ونهج نهجه يسير سيرته عضد الوالدين وابا الاخوة وخادم الامة حتى ينشد قول الشاعر الغساني لكل متسائل عنه

اما سألت فانا معشر نجب الازد نسبتنا والماء غسان

قصيدة خليل افندي مطران

أعن سبق احساس بما كان يضمر زمانك آثرت النوى حين تؤثر
فبنت ولما يرهق الناس دهرهم بنكباء لا يحصي اذاها التصور
أم الاجل المحتوم حل ولم تكن بمماطل حق يقتضي فتؤخر
فوليت لم يعصمك مدخر القوى ولم يمنعك حلمك المتوقر
ولم يغن منك العلم والفضل ساعة فيا عذر من بالعلم والفضل يكفر
الا انني غاليت فيما شكوته ولكن في نفسي اسى يتفجر
لقد ارخص الغالين موت جموعهم وفقدك مهما يعظم الخطب يكبر
قف الان وانظر ما بأثرك من سنى كذاك تشع الشهب اذ تتكور

قف الآن واسمع وقع منعاك شائماً كرجع الصدى عن شامخ يتهور
لقد عثر البناء عن اوج صرحه لدن كان من اعلاه بالنجم يظفر
فواراه قبر لا بعيد قراره ولا سقفه فوق الثرى متكبر
وكان ابر الناس بالاهل والحمى وبالقوم لا يجفو ولا يتغير
ونعم الاخ الوافي اذا ما تنكرت لصاحبه الايام لا يتنكر

* * *

لحقت بمن ارختهم فكأنكم لدات لعهد لم تفرقه ادهر
على الحي دون الميت تحسب احقب توالت وتحصى في التعاقب اعصر
ورب علم لم يحيَ متقدماً انم علاه انه متأخر
لئن عاقهم عن شكرك اليوم عائق وتدريه فالاعقاب للفضل تشكر
لقد بت منهم في المقام الذي به اذا ذكر الافراد في الخلق تذكر
ألا في سبيل الله حكمتك التي جلاها هلال مالئ الكون مقمر
وجدّ به رضت الصعاب فما كبا الى أن دهاه جدك المتعثر
وآداب نفس لو توازع حسنها عراء لاضحى وهو كالروض مزهر
واخلاق احسان وعفو ورقة روائع يخفيها اتضاع وتظهر
واشتات تخريج تحار بها النهى وآيات تدبيج تروع وتبهر
عليك سلام الله قد بت هانئاً واكبادنا من حسرة تتسعر

قصيدة حافظ بك ابراهيم

دعاني رفاقي والقوافي مريضة وقد عقدت هوج الخطوب لساني
فجئت وبي ما يعلم الله من اسى ومن كمد قد شفني وبراني
مالت وقوفي بينكم متلهفاً على راحل فارقته فشجاني
أفي كل يوم يبضع الحزن بضعة من القلب اني قد فقدت جناني
كفاني ما لاقيت من لوعة الاسى وما نابني يوم « الامام » كفاني
تفرق احبابي واهلي واخرت يد الله يومي فانتظرت اواني
فمالي صديق ان عثرت اقالني ومالي قريب ان قضيت بكاني
اراني قد قصرت في حق صحبتي وتقصير امثالي جناية جاني

فلا تعذروني يوم « فتحي » فانني لاعلم ما لا يجهل الثقلان
فقد غاب عنا يوم غاب ولم يكن له بين هالات النوابغ ثان
وفي ذمتي « لليازجي » وديعة واخرى « لزيدان » وقد سبقاني
فيا ليت شعري ما يقولان في الثرى اذا التقيا يوماً وقد ذكراني
وقد رميا بالطرف بين جموعكم ولم يشهدا في المشهدين مكاني
أيجمل بي هذا العقوق وانما على غير هذا العهد قد عرفاني
دعاني وفائي يوم ذاك فلم اكن ضنيناً ولكن القريض عصاني
وقد تخرس الاحزان كل مفوه يصرف في الانشاد كل عنان
أأنساهما والعلم فوق ثراهما تنكس من اعلامه علمان
وكم فزت من رب « الهلال » بحكمة وكم زنت من رب « الضياء » بياني
أزيدان لا تبعد وتلك علالة ينادي بها الناعون كل حسان
لك الاثر الباقي وان كنت نائياً فأنت على رغم المنية داني
ويا قبر زيدان طوبت مؤرخاً نجلي له ما اضمر الفتيان
وعقلاً ولوعاً بالكنوز كأنه على الدر غواص ببحر عمان
وعزماً شآمياً له اينما مضى شبا هندواني وحد يماني
وكفا اذا جالت على الطرس جولة تمايل اعجاباً بها البلدان
اشادت بذكر الراشدين كأنما فتى القدس ممن ينبت الحرمان
سألت حماة النثر عد خلاله فمالي بما اعيا القريض يدان

كلمة شكر لاميل افندي زيدان

سيداتي وسادتي

كان اولى بي ان اكون خطيباً صامتاً آخر بعد ما القي على مسامعكم من الدرر المنظومة والمنثورة التي يكفي في وصفها ان تنسب الى خطباء الليلة الكرام — لاسيما وان الكلام اذا كان خارجاً من القلب فانه يقع في القلب

يمر الانسان احياناً باقوال لا يفهم معناها جيداً لانه لم يقع في مثل الاحوال التي قيلت فيها تلك الاقوال . ولكنه اذا قدر له ذلك فحينئذٍ يدرك قيمتها ويقدرها حق قدرها . اذكر اني قرأت مرة جملة لاحد الكتاب الغربيين مؤداها « ان ليس بين

الناس من يشعر بفقر اللغة وضيق معانيها كعارف الجميل » . لم ادرك كنه هذا القول عند ما قرأته لاول مرة . اما اليوم فاقول : ما اصدق ذلك الكاتب ! وما اصدق هذا القول !

حقاً اني عاجز عن تأدية ما يكنه قلبي في هذا الاجتماع فاقبلوا عواطفي الصامتة بدلا من اقوالي . فرب خطبة صامتة تكون ابلغ من ابلغ الخطب

كان احرى بي ان اقصر كلامي على اداء فريضة الشكر لمن قام بهذه الدعوة ومن لباها . الا انني ارى نفسي مدفوعاً بدافع لا يرد لاقول كلمتي في من اجتمعنا الليلة لاحياء ذكره

سيداتي وسادتي

لا بد لظهور الفضل من شرطين : رجل فاضل واناس يقدرون الفضل . فقد ينبغ في الامة الواحدة رجل او رجال من خيرة الناس ولكنهم اذا جاءوا في غير اوانهم او اذا لم يكن بين مواطنيهم من يميز الفضل ويقدر الاعمال حق قدرها ما ذكر اسمهم ولا عرف جميلهم . فلا يعرف فضل الرجل الفاضل الا اذا كان بين قوم يعرفون الفضل — والفضل يعرفه ذووه

ان اجتماعاً حافلاً كهذا الاجتماع لهو برهان ساطع على أن الشرق اصبح يقدر رجاله وانه لا يريد ان يدع فرصة للاعتراف بفضل من يخدمونه خدمة صادقة بدون ان ينتهزها ويظهر فيها ما يكنه من الاعجاب والشكر

ولد الفقيد سورياً . وقضى الجزء الاكبر من حياته في هذه الديار الرحبة الكريمة . وقد كانت كتاباته تجمعه بكل قطر فيه قوم يتكلمون العربية . فهو ابن الشرق اجمع وآثاره ملك للشرق

يعرف الناس الفقيد مؤرخاً وروائياً وكاتباً وصحافياً وغير ذلك . وقد يختلف المقدرون في تقديره فيميزه البعض بكتبه التاريخية ويميزه آخرون بروايات أو بهلاله أو أو بمؤلفاته اللغوية أو العلمية . اما انا فاقول انه كان رجلاً قبل كل شي

ما الذي ينطوي تحت الرجولة ؟

هل اعني بها جسماً صحيحاً وعضلا قوياً ؟ كلا

هل اقصد الذكاء والعلم ؟ كلا

هل اريد المال والجاه ؟ كلا

فمن هو الرجل اذن ؟ اني مجيب عن لسان احد أعاظم الرجال اذ قال : كما ان

لانسان اعظم ما في العالم كذلك أعظم ما في الانسان الاخلاق الراقية

لست مفيضا في تعداد اخلاق والدي العزيز واوصافه وانما اكتفي بترديد اربع جمل طالما رددها امامي . فهي افضل وصف لشخصيته :

اولها : ان اعقل الناس اعذرهم للناس

وثانيها : علم ابنك الصدق والصدق يعلمه كل فضيلة

وثالثها : الاعتراف بالخطأ صواب والاقرار بالعجز قوة

ورابعها قول المتنبي :

خلقت الوفا لو رجعت الى الصبى لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

فالسماحة والصدق وسعة الصدر والالفة هي الصفات التي تمثل امام عيني كلما فكرت في الفقيد العزيز

واذا اردت ان اضيف شيئاً اليها قلت انه كان وديعاً وقد كان على وجهه ابتسامة لم تفارقه في احرج الاوقات ولازمته حتى القبر . فكانت تقرب منه اقصى الناس وترفع اليه اوضع الناس

سيداتي وسادتي

تأتي هذا العالم غير مخيرين ونتركه غير مخيرين . ثم اننا لا نختار والدينا ولا الوسط الذي نربى فيه ولا المزاج الذي يرافقنا طول حياتنا . فلعمري لا ادري ما الذي بقي لخيارنا . وما هو معنى الحياة وما لذتها ؟ لم اجد افضل من جواب فولتير على هذا السؤال اذ قال : لذته بالعمل عن التفكير في هذا الكون العجيب فهذه هي الطريقة الوحيدة التي تمكن بها من احتمال الحياة

وقد كانت لذة فقيدنا العظمى العمل للعلم

ولا ارى بداً من تحديد العلم . فمن هو العالم الحقيقي ؟ ليس العالم من جمع في دماغه معلومات كثيرة . ولا من اطلع على اقوال المتقدمين والمتأخرين . ولا من تلقن العلوم على انواعها فحوى من كل فن خبراً . ان الروح العلمية الحقيقية هي حالة عقلية تعد صاحبها لاكتساب المعارف بعد تمحيصها وتجعله ينظر في كل رأي أو انتقاد بعين الاخلاص معتبراً الحقيقة فوق الاهواء والمارب الشخصية — وليس هذا الامر بالسهل

سيداتي وسادتي

يؤثر عن بيرن الشاعر الانكليزي انه ذهب لزيارة شلالات نياغرا الشهيرة انه وقف امام ذلك المنظر البديع الذي تمثل فيه عظمة الطبيعة وهيبتها فلم يتمالك من ان صاح

ثلاثاً : نياغرا نياغرا نياغرا . فكانت هذه الكلمات الثلاث كل القصيدة التي كان ينوي نظمها هناك . فكاني هذا المساء في موقف ذلك الشاعر ارى العواطف تتدفق امامي ببياضها الناصع وبهيبة ووقار يفوقان هيبة ذلك المكان ووقاره . فاحرى بي ان اردد مثله كلمات ثلاثاً هي : الشكر الشكر الشكر

رسالة احمد زكي باشا

(لم يتسن لحضرة صاحب السعادة العالم الفاضل احمد زكي باشا سكرتير مجلس الوزراء حضور هذه الحفلة فارسل الى حضرة رئيس الاتحاد السوري التلغراف الآتي :)

حضرة ميشيل لطف الله بك رئيس الاتحاد السوري بمصر

تغلبت مشاغلي الرسمية على عواطفي القلبية فحالت دون ما حاولته من القيام بما يفرضه علي نسب الادب عن الحضور بشخصي لمشاركة اخواني في احتفالهم بذكرى جرجي زيدان ذلك الرجل الكريم الذي كان له نصيب كبير في التذكير بما كان للاسلام وللعرب الكرام من جلائل الآثار في ترقية الحضارة ورفع منار العمران . ولما كانت بطائق الحمام غير متداولة في هذه الايام فانا استعير جناح البرق وسلك الكهرباء للاعراب عما يكنه فؤادي من آيات الاعجاب نحو الفقيد العظيم مؤكداً لكرام السوريين ولسائر الناطقين بالضاد انني حاضر بالروح والوجدان بين الافاضل الملتفين حول الخطيب الصامت الذي ستبقى آثاره ناطقة بقلمه شاهدة على عمله فلقد كان جرجي زيدان وسيبقى الى ما شاء الله من اكبر اركان النهضة الشرقية بل كان هو وحده نهضة قائمة بذاتها في فرع من فروع الادب العربي وقف عليه قلمه وذكاءه بحيث كانت حياته الطيبة خير مثال للجهاد الصحيح فان الجهاد في شرقنا انما يقوم في رأيي بخدمة الادب والعلم ولقد نال هذا المجاهد اكبر نصيب المجتهدين وهو تقدير المتأدبين له في حياته وبعد مماته تقديراً لا دخل فيه للزلفى ولا للجاه

فلمثل زيدان يحق ويجب الاكبار والاجلال . كلما بزغ في سماء الشرق الهلال

احمد زكي

٢ – حفلة زحلة

الدعوة

ندعوكم لحضور الحفلة التأبينية التي ستقام في قهوة البورصة الكبرى تكريماً لفقيد الامة واللغة والوطن العالم الكبير والمؤرخ الشهير «جرجي زيدان» منشئ مجلة «الهلال» الساطعة وذلك نهار الاحد القادم في ٢ آب الساعة الثالثة بعد الظهر وسيحضر هذه الحفلة حضرة الاديب الفاضل اميل افندي زيدان نجل الفقيد الكريم الذي دعي خصيصاً من بحمدون الحلقة الادبية

برنامج الحفلة

موسيقى

مفتتح الحفلة : ندره افندي الوف

تأبين : شبل افندي دموس

موسيقى

مرثاة : حليم افندي دموس

تأبين : عيسى افندي اسكندر المعلوف

موسيقى

تأبين : ابراهيم افندي دياب المعلوف

تأبين : راجي افندي الراعي

موسيقى

ختام : يوسف افندي نعمان البريدي

موسيقى

وصف الحفلة

ما ازفت الساعة المضروبة حتى كان الناس يتقاطرون افراداً وافواجاً الى نادي البورصة الكبرى . وكان عدد المدعوين يناهز الاربعمائة من سيدات وسادة زحلة

والمعلقة وفئة راقية من كرام المصطافين الذين قدروا قدر الفقيد وشعروا جميعهم بالخسارة الفادحة التي اصابت اللغة العربية بفقد أحد اقطابها رجل الهمة الناهضة وعنوان العصامية والاجتهاد

وكان في مقدمة الحضور حضرة حاكم المدينة ابراهيم بك ابو خاطر ويوسف بك بريدي عضو قضاء زحلة في مجلس ادارة لبنان والسيد روفائيل نمر مطران حلب ونزيل المدينة حالاً وابراهيم باشا المعلوف واسعد افندي المطران وغيرهم من مأموري الحكومة ووجهاء المدينة واطبائها وصيادلتها واعيانها وتجارها وادبائها وطلبة المدارس فيها

وقد علق وراء الخطباء رسم الهلال بلون اسود اشارة الحداد والحزن ونُضدت على منبر الخطابة طائفة كبيرة من آثار الفقيد وكتبه وتآليفه امامها رسمه العزيز يوم شروعه بانشاء مجلة « الهلال » وكتب تحته هذا التاريخ لحضرة الاستاذ عيسى افندي اسكندر المعلوف منشىء « الاثار »

جرجي بن زيدان بريك هلاله بالطبع رسماً لم يكن منسوخا
مات الذي آثاره ابقت له عيناً تؤرخه اذاً تاريخا

٧٠٢ ١٢١٢

وجلس الخطباء الى جانب المنبر واصطف قبالتهم جوق من الموسيقى الآلية

ولما اوشك عدد المدعوين أن يكتمل ووزع نظام الحفلة على الجميع نهض حضرة الاستاذ يوسف افندي نعمان البريدي ورحب بالقوم ثم قرأ التلغراف الوارد من دولة متصرف لبنان الى حاكم المدينة وهذه صورته :

قائمقامية زحلة

نوبوا عنا بحضور الحفلة التي تقيمها الشبيبة الزحلية نهار الاحد تكريماً للمرحوم جرجي زيدان اوهانس

ثم قرأ رسالة الاعتذار الواردة من نجل الفقيد اميل افندي زيدان الذي تخلف عن الحضور لاسباب صحية وهذا نص رسالته :

حضرة الاخ حليم افندي

يسؤني جداً والله ان اكتب هذه الاسطر معتذراً عن السفر الى مدينة زحلة العامرة وذلك لمرض اصابني والزمني الفراش وقد امرني الطبيب ان لا اخرج من غرفتي قبل

يوم الاثنين او الثلثاء فلا حول ولا قوة الا بالله . هذا واني اكرر شكري وامتناني لما اظهره الزحليون من الغيرة جزاهم الله خيراً واطال بقاءهم

اميل زيدان

وقرأ ايضاً برقية وردت منه قبيل بداية الحفلة هذه صورتها :

شدة اسفي لملازمتي الفراش الى الآن بقدر امتناني لغيرتكم . بلغوا الزحليين شكرنا القلبي . سأحضر اليكم قريباً زيدان

ثم توالى الخطباء والشعراء في مجال الكلام نظماً ونثراً فاجادوا ايما اجادة حتى لم يتركوا زيادة لمستزيد . وكانت الالحان الموسيقية المؤثرة تتخلل اقوالهم فتزيد المكان رهبةً وجلالاً

وفي الختام خرج القوم وهم يستمطرون سحائب الرحمة على الفقيد ويثنون على من قاموا بتلك الحفلة الشائقة

وهاك الخطب والقصائد نوردها حسب ترتيب الحفلة :

خطبة ندره افندي الوف

ما ارهبته الظلمة ولا اخافته الوحدة والانفراد بل اكب على مجلداته مداعباً قلمه ودواته ، سائلا الاشباح الرامقة المحيطة به الوحي والالهام

في تلك الساعة الرهيبة من الليل وذلك الحر المفزع المخيف . في تلك الساعة التي يتهادى بها ابناء الشرف وامراء الذهب بين الحانات والملاهي ويطوفون حول معاهد الصبوة ومقاعد القمار . في تلك الساعة التي يأنس بها الطفل الى احضان امه ويعشش البلبل في وكره ويغمض بها الصانع والعامل اجفانه مرسلا روحه الى حيث تأخذ نصيبها من الراحة بعيداً عن ضوضاء المدنية وضجيجها . في تلك الساعة الرهيبة من الليل بعيداً عن اهله وولده جلس الى قلمه ودواته والعرق يتصبب من جبينه منقباً باحثاً غير عالم بما تخبئه له الاقدار . وفي تلك الساعة جاء ملاك الموت واختطف روحه وطار بها الى ما وراء الشفق . فجأة وبدون ان يلفظ كلمة وداع . اف للموت ما اقسى فؤاده ! وما هي الا ساعة حتى اهتزت اسلاك البرق حاملة للعالم النبأ الصادع المفجع مرددة مات جرجي زيدان مات رجل الادب العصامي

ويلاه اية حكمة اودى بها ريب الزمان واي ركن زعزعا
لو تعلم الايام ما سلبت به قنعت بذاك وحقها ان تقنعا

سلوا عنه من شئتم يا سادة من وادي النيل . من مكة والعراق الى بر الشام الى اقصى مدينة في العالم ينطق فيها بالعربية . سلوا الفتاة في خدرها والشاب في مكتبه والفلاح في حقله والصانع في معمله . سلوا هذه السماء الصافية وهذه المياه النقية . سلوا من شئتم يجبكم قد عرفناه وهل يخفى القمر ؟

جرجي زيدان يا سادة هو الرجل العصامي الذي مزق حجب الجهل وسار من مهد الفقر الى اريكة الادب العالية . جرجي زيدان هو النابغة الذي افهم العالم الغربي بمؤلفاته وكتاباته ان في الشرق رجالا . جرجي زيدان هو العالم الذي بحث عن لآلىء العربية المتبعثرة في الاتفاق المظلمة وابرزها للوجود بثوبها القشيب الجميل . جرجي زيدان هو التاريخي الذي حبب الشعب بتاريخ آبائه واجداده باسلوبه الرقيق اللطيف . جرجي زيدان هو الروح المتمردة التي ابت ان تخضع لفولاذ الشرائع الفاسدة فانطلقت ترفرف في فضاء اللانهاية . هو الكسندر دياس الشرق فمن منا يا سادة لم يقرأ رواية من رواياته او كتاباً من مؤلفاته ؟ من منا من لم تكن فتاة غسان وارمانوسة المصرية والعباسة اخت الرشيد مؤنسته في بؤسه وسميرته في وحدته ؟

هذا هو الرجل الذي فقدناه يا سادة بل فقدته الانسانية جمعاء . وهذا هو الرجل الذي اجتمعنا اليوم لنحيي بذكره الادب الدامي الفؤاد والتي احبت الحلقة الادبية ان تدعوكم باسم المدينة لاكرامه واكرام العلم الممثل به . فهل بقي منا من يجهله ولا يعرفه ؟

ويل يد الموت هل عرفت اي غصن قصفت واي قمر كسفت واي حسرة ابقت في القلوب واي لوعة تركت في النفوس ؟

لا يا سادة ما رحمت دموع الارملة ولا اشفقت على فؤاد الاولاد فجرجي زيدان قد مات واغمضت جفونه الى الابد ، مات وحجبته اللانهاية في قبر مظلم ضيق . وذلك الرجل الذي حارب تقاليد الاجيال المظلمة وداس الاشواك الغليظة وقطع السلاسل الفولاذية التي نتألم نحن منها الآن حمل الى مصر القديمة ودفن في التراب

بالامس كان بلبلاً صداحاً تتناقل الاندية صدى نغماته العذبة واليوم جثة هامدة في حفرة ضيقة معتمة . بالامس كان ينشد العالم قصائد واليوم اجتمعنا لننشده قصائد التأبين ولكن هل يكفي ان نقيم الحفلات وننظم القصائد والمراثي لتخليد ذكر فقيد الادب ؟

لقد جمعنا مؤلفات ادبائنا السابقين وطبعناها ونعتهم صحفنا ونظمنا لهم التآبين والمراثي ولكن هذا لا يكفي . لان تلك الكتب التي طبعت والتآبين التي نظمت لا تقرأها سوى طبقة خاصة . وانما يجب ان نقيم لهم التماثيل في الشوارع والطرقات حتى اذا مرَّ ابن الشعب من امامها وابصر احد هؤلاء واقفاً وهو ممسك قلمه بيده يسأل عن تاريخ حياته فيعلم انه قضى شهيداً في سبيل خدمته فيعمل على تكريمه واحيـاء ذكره . اقيموا التماثيل للادباء يا قوم فهم النور السماوي الذي بعثته الآلهة لهدى بني الانسان

عفواً يا سادة لقد تفجرت عواطفي وسارت بي الى حيث لا اشاء وانا الآن في موقف حزن وتأثر وبكاء

وما كنت لاخرج عن موضوع انتدبت اليه وهو افتتاح الحفلة بدمعة اذرفها على الفقيد العزيز . وكلمة أعزي بها نجله الحبيب على مصابه الفادح . وشكر أقدمه لسيداتي وسادتي لمشاركتنا بعواطف الحزن وقبولهم دعوتنا . ولاشكر خصوصاً حضرة الوطني الهمام عزيز افندي المعلوف لما أظهر من الغيرة والحمية في سبيل هذه الحفلة ولتبرعه لنـا بناديه مجاناً . ما كنت لاخرج عن هذه الحدود لو لا ما اشعر به من حالة الادب التعسة في هذه البلاد ونكراننا جميل الادباء فعفواً ومعذرةً . وانت يا روح الفقيد المحلقة في سماء اللانهاية هنيئاً لك لانك ابتعدت عن هذا العالم المملوء بالعقارب والحيات السامة . هنيئاً لكِ حيث كنت الآن والف تحية وسلام

ويا نيل ان لم تجر بعـد وفاته دماً احمراً لا كنت يا نيل جاريا
ويا اهل مصر ان جهلتم مصابه ثقوا ان نجم السعد قد بات هاويا

خطبة شبل افندي دموس

ايها الوطنيون

نحن نقوم الان في هذا الاجتماع بفرض توجبه الوطنية . لا بل نحن نقوم بواجب مقدس تدعونا اليه أمنا الانسانية

وما ذلك الا واجب معرفة الجميل لرجل خدم أمته بكل ما اعطاه الله اياه من القوى العقلية والجسدية

اذن نحن الان في موقف مهيب

نحن الان واقفون تجاه الخسارة الفادحة وجهاً لوجه

الخسارة التي لا تعوض . الخسارة الكبرى التي لحقت بالامم الساكنة على شواطئ بحر الروم في القارتين آسيا وافريقيا وما وراء هذه الشواطئ من الاراضي التي يسكنها المتكلمون باللغة العربية

نحن الان تجاه الفراغ الهائل الذي احدثه الموت في جامعتنا الادبية ساعة اخرس الموت لسان القائل الكبير وشل ساعد الكاتب النحرير واطفأ شعلة العلم المتوقدة في دماغ جرجي زيدان المؤرخ الشهير

نحن واقفون امام ظلمة القبر الذي دفنت فيه العصامية وذوت زهرة الاداب الشرقية فيا لله من هول الخسارة الفادحة ويا لله من هول هذه البلية

ايها الوطنيون

تجل الخطوب في الناس بالنسبة الى الخسارة اللاحقة بهم من جراء الخطب النازل

والناس يتفجعون للخسارة اللاحقة بهم وقلما يتفجعون لامر آخر فاذا ما رأينا الناس على تباعد امصارهم واختلاف بلدانهم يستكبرون المصاب وتشتد اللوعة في نفوسهم اثر موت رجل من الرجال نستطيع ان نعرف مقدار تلك الخسارة اللاحقة بهم بما نراه من ظواهر التفجيع والالتياع

وهذا خطب الكاتب الكبير والمؤرخ الاكبر لهو خسارة فادحة بدليل انه

مادت له مصر وناء بثقله قطر الشام وشيخه لبنانُ
وجرى صداه في العراق فاجفلت من هوله في المغرب السكانُ

نعم ان المصاب عظيم بفقيد الادب والتاريخ وفلسفة الاجتماع . وشديد الوطأة في نفوس طلاب العلم في هذه الاصقاع فما والله مصيبة قوم شادوا القصور فخمة وانشأوا المدينة عظيمة وجعلوا دورهم بالحدائق الناضرة ومدينتهم بالرياض الزاهرة وسكنوا حول نهرهم الصافي المورد العذب المنهل آمنين حادثات الزمان واستسلموا الى القدر متنعمين بما لديهم من اسباب المسرة والهناء ثم فاجأهم القدر العصيب بان غاض نهرهم وجف الماء وقضي على آمالهم باشد هولاً في النفوس واعظم وقعاً في الخواطر من مصيبة طلاب العلم وقد فاجأهم النبأ القائل ان مداد زيدان قد جف وان قلمه قد كسر وايقنوا ان لم يبق لهم مؤنس من رواياته ولا سمير من هلاله وجميل مؤلفاته وانهم عدموا مهذباً ومروضاً لافكارهم من بنات فكره ومخترعاته

ايها الوطنيون

ليس من الحكمة في شيء ان نخذ لانفسنا في هذا الاجتماع موقف النادبات وليس

من الحكمة في شيء ان نحب ونحن العاقلون على امر فات لاننا نعلم علم اليقين ان البكاء والندب لا يعيدان الموتى الى الحياة . انما نحن الآن نقوم بواجب معرفة الجميل فيليق بنا وقد مات صانع ذلك الجميل ان نصوغ له الكلام جميلا ونلقيه على ذكراه الخالدة باقات من زهر جميلة المنظر عابقة النشر فيكون لنا مما نحن فاعلون الآن صنيع شريف ذو نتيجتين محبوك الطرفين . اولهما صدق الولاء لرجل خدم امته ووطنه الخدم الجليلة النافعة وعاش لمعاصريه وللذرية وجمع الثروة الطائلة من المعارف الغامضة فاودعها طيات هذه الكتب فاذخرها الناس لهم كنوزاً في مكاتبهم وفي طيات صدورهم ينتفعون بها وينفعون

وثانيهما تشجيع الاحياء من الذين يسلكون المسلك الوعر الذي سار فيه الفقيد فلا ييأسون ولا يقنطون بل يكون لهم من اجتهاده رائد . ومن ثباته قائد . ويعلمون ان الناس يغبطون الرجال المجتهدين في اعمالهم فيعظمونهم احياء ويكرمونهم امواتاً ويحفظون كرامة الآباء في الابناء الى الجيل الثالث والرابع من احفادهم

اذن فليكن لنا من هذا الاجتماع عبرة وذكرى . ليكن لنا منه عبرة ان في الناس من يعرفون الجميل والجميل اولى بالانسان صنعه ما استطاع اليه سبيلا . وليكن لنا منه ذكرى ان الاعمال النافعة للانسانية التي يقوم بها العامل المجتهد في حياته يذخرها الناس لهم كنوزاً بعد مماته فيحيا في اذهانهم كأنه لم يمت ويخلد في ذريتهم ما بقيت الذرية وما دام للعلم في صدور الناس بقية

وليكن للناس مما نقوم به نحن الآن من معرفة الجميل امثولة يتعلمون منها كيف يعترف بالفضل لذويه وكيف يرد الجميل الى اصحابه

رحم الله الفقيد وعزانا جميعاً على فقده اننا شربنا من موارد فضله كثيراً . وجنينا من ثمار علمه وفيراً . واسكنه فسيح جنانه . بقدر ما جنيناه من يانع علمه وبيانه

قصيدة حليم افندي دموس

جزع الصليب مع الهلال ... اسفاً على رب « الهلال »
وممالك التاريخ وال ... آداب دالت حين زال
واصاب مصرعه القلو ... ب كانه وقع النصال
فابكي أيا لغة البيا ... ن فكوكب العلم استحال

سحي الدموع سخينة ما بين وكف وانهمال
حلي الشعور أسى على من غاله الدهر اغتيال
وادعي بنات العرب من خلف البراقع والحجال
واستنجدي القرآن وال إنجيل في الخطب العضال
وتخيري ما شئت من سور ومن درر غوال
وارثي « الهلال » وربه من كان منقطع المثال
فاليوم لا زيدان فيك ولا اقتراح ولا سؤال
ما خان عهدك مرة كلا ولا ألِف المطال
احياك من بعد النزا ع وكاد يبلغك الكمال
فهو كبدر عندما لمس الكمال هوى ومال

* * *

لهفي على التاريخ بعد اميره السامي الخلال
كم طالع الاسفار لا يخشى من السهر الهزال
كم غامر الاسفارَ ما بين السواحل والجبال
كم طاف امصاراً وكم درس الطبائع والخصال
لهفي على قلم له فوق الطروس جرى وجال
سلس المقادة فائض سهل الطريقة والمنال
حر المباحث صادق لا مين فيه ولا اختيال
كم وشيت بشياته قطع هي السحر الحلال
ابداً تراه فاصلاً بين الهداية والضلال
ان يدع آيات البيا ن شهدتها لبت عجال
قد افرغت في قالب ما شابه قط ابتزال
فمقاله فصل الخطا ب ورأيه فصل الجدال
قلم فقدنا فيه تا ريخاً تهدده اكتهال
قلم فقدنا فيه مجمو عَ اختبارات طوال
نزل القضاء به وما عرف القصور ولا الكلال
قد حطمت اسلافه جزعاً وماضي العز دال
ومنارة العلماء غا ب ضياؤها بعد اشتعال

ما زال يجهد نفسه متحملاً همماً ثقال
فأنار افق المشرقيـ ـن بما افاض من اللآل
حتى استحال دماغه نوراً تلألأ ثم سال

* * *

صبراً «اميل» ولا تكن جزعاً فغايتنا انفصال
لا الشمس ثابتة ولا ال أجرام دائمة الظلال
لا بد من كسف ومن خسف لها في كل حال
لا تأتمن زمناً وان امسيت فيـه رخيّ بال
فالموت خاتمة الورى واليـه قد شدوا الرحال
اليوم نبكي راحلاً وغداً تشيعنا العيـال
نمضي ويأتي غـيرنا وجميعهم رهن ارتحـال
هـذا ابوك وقد قضى متزوداً حسن المآل
فانسج على منـواله واطلع هلالا في هلال
واحرص على آثاره فهي العزيزة لن تنال
فالشبل يحفظ غابه ان ادلجت اسد الدحال
يا راحلاً عن دارنا دار المكاره والزوال
ما انت الا بيننـا ابداً على رغم انتقال
خلفت عز نفائس في كل صدر لن تزال
وجمعت في اسمى الروا يات الحقائق والجمال
وأبنت طي سطورهـا عبر الحوادث والليـال
ومشت حواليك العظا م تميس في حلل الجـلال
صورتهم وكشفت عن اخلاقهم دون انتحـال
فوصفتهم ببراعة لصريرهـا تعنو الصقال
خطرات فكر ناضج رفعت لنـا وطناً وآل
في مصر في لبنان في ارض العراق لها اتصال
في الهند في ارض المهـا جر ذكرها رحب المجال
لو انصفوك لخلدوا منك الحقيقة بالخيال
واستعرضوا التمثـال في ساحاتهم ذكرى الفعـال

فتمرُّ أعوام بها يفنى الجميع بلا جدال
واللاحقون من البنين يشوقهم مرأى المثال
يتقاطرون من الجنو ب وينسلون من الشمال
يتفيأون بظله يروون امجاد الخوال
ويرددون فضائلاً نالوا بها ادباً ومال
ويعددون مآثراً عربية ذات اكتمال
فيرون فوق رؤوسهم تمثال نابغة الرجال !

قصيدة عيسى افندي اسكندر المعلوف

ايُّ نصر يا دولة الآداب لكبار النفوس والالباب
فرجال العلوم جندك كرُّوا في مجال النهى بكل اعتصاب
جردوا رأيهم حساماً وصالوا بسنان اليراع حول الكتاب
نازلوا دولة الجهالة حتى دحروها بذلة واضطراب
فبمسعاهم ظفرت انتصاراً وغنمت النجاح للاعقاب
وعلى هامهم ضفرت غصو ن الغار غراء مثل عقد الرقاب
ليس يكفي هذا الجزاء لقوم سهلوا للملا سلوك الصعاب
لو ازال المنون عنهم نصير لرأينا في النصر كل الصواب

* * *

دولة الجهل لا ثبُت عروشاً رفعوها لنشر كل خراب
ساءك النصر أن يتم لقومي فطرقت الخداع من كل باب
واستجرت الادواء تثأرُ منهم فرمتهم بشر ظفر وناب
كرّ جيشُ السقام يسطو عليهم فحسبنا لذاك ألف حساب
اشعلتهم نارُ الذكاء انتهاباً فتفانوا بها كشمع مذاب
وفقدنا من دولة العلم رهطا في اكتهال وفي نضير شباب
ان حرباً بها الجهالةُ جارت غير حرب الملوك والاحزاب
تلك لا هدنة بها مثل هذي وهي تصمي بغير طعن حراب

ضرّها لا غرامة فيه ترجى غير فرط الاسى ومر العذاب

* * *

بئس يوم فيه اتى البرق ينعي موت زيدان ... يا لهول المصاب
ناقلاً للشآم أنات مصر وهي ترثي فقيدها باكتئاب
فبكت أربع الشآم فتاها وسقاها المصابُ اكؤس صاب
ورنت نحو مصر وهي تنادي اسمعي لي يا أخت بعض عتابي
كم حضنت السوري حياً وميتاً وابتليت الشآم بالاوصاب
وحرمت البلاد قرب بنيها وفصلت الاراب عن اتراب
كان هذا الفقيد ينوي رجوعاً لبلادي يحتل منها الروابي
فعرا قلبه الكبير سكون اسكن الجسم في مضيق التراب
ليس هذا يا مصر حق جوار بل نراه والله حال اغتصاب
فاجابت مصر بقلب حزين ان هذا يا اخت حال التغابي
فحقوق الجوار عندي ترعى لبنيك الكرام من احقاب
كم غريب في بقعتي قد تسامى بجناح موثق الاسباب
وجرى دائباً ليرقى بكد انهك الجسم منذ عهد التصابي
هو يلقى حفاوتي في حياة ومات وذاك اختي دابي
فامنعي ان قدرت كل اديب عن بلادي وعوديه اجتنابي

* * *

زار جرجي زيدان مصراً فالفى في حماها محجة الآداب
ورأى في السودان حرباً عواناً خاض منها غمار كل عباب
ومصر قد حارب الجهل كدًّا يبراع ما كان بالهياب
فارانا هلاله بدر تمّ ومن الكتب كل ضوء شهاب
جلّ فيها التاريخ يروي حديثاً عن قديم اسناده بانتساب
ان ابحاثه الحسان اماطت عن شؤون الاسلام كل نقاب
« اصمعيٌ » روى الكلام صحيحاً باختصار يشف عن اسهاب
فاق اسلوبهُ الدقيق سواه من اساليب ابلغ الكتاب
هو « دوماس » شرقنا بروايا ت رواها فشيبة الجلباب
ترجموها بالسن الشرق والغر ب فباست بحلية الاعجاب

ان ما الف الفقيد عظيم ومفيد لسائر الطلاب
ان ما حبر الفقيد كثير وقليل مجتاز تلك الشعاب
فارانا البعيد غير بعيد وارانا المحجوب دون حجاب

* * *

ويح ثكلى العلوم بعدك جرجي كيف تحيا بلوعة واكتئاب
ويح ام التاريخ تسأل جرجي وهو لا يستطيع رد الجواب
ويح ام الصحافة اليوم تدعو وهو لاه عن استماع خطاب
ويح ام اللغات ترثي فتاها بلغات الافرنج والاعراب
ويح ام النشاط تندب نجلا بدموع غزيرة التسكاب
ان خطباً يا « ابن الحبيب » دهانا كان بلوى اجانب وصحاب
يا « ابن زيدان » زادنا الخطب حزناً اذ تناءيت عند قرب اياب
فاجأتك المنون فجأة ليث قد رماه الصياد في خدر غاب

* * *

هكذا ينشأ العصامي حراً لا بفخر الانساب ولاحساب
باميلٍ يبقى هلالك بدراً مستنيراً بكل بحث عجاب
فلهذا نم آمناً مطمئناً واترك الكل في أليم عذاب
فبقاء الابناء خير عزاء واغتنام الرضوان خير ثواب

خطبة ابراهيم افندي الراعي

اين انت الآن ايتها الروح العظيمة النازحة من عالم الفناء ؟ . . في اي فضاء من اللانهاية تسبحين ؟ بل في اية جنة من فراديس الجنان تقيمين ؟ اطلي من وراء هذه الحجب الكثيفة على هذه الجموع المقبلة على تكريمك اليوم . . . يا رفيقة الاجيال وعشيرة الدهور اطلي قليلا والقي علينا ولو درساً واحداً في علم ارتقاء الامم ونهضات الشعوب . . .

رحماك يا نفس زيدان المتصاعدة في اعلى سموات الخلود واعطفي بعد باسمى شعائرك الوطنية على هذه الارض الشقية التي رأيت فيها النور . ولا تزال في مسيس الحاجة الى ابناء النور . . ايتها النفس المتشبعة بالعلوم الغزيرة . والاداب الجمة . الى اين ترحلين

بعظمة علومك السامية . وجلال آدابك الصحيحة

. . . أن البلاد التي كان ينير في سمائها الجليلة هلالك المنخسف اليوم لا تزال على كثرة علمائها وادبائها ووفرة ارباب القرائح المشتغلين فيها لا تزال في افتقار كلي الى العالم النافع . الى الاديب الصالح . الى المؤرخ النزيه . الى الكاتب الجريء . الى الصديق الامين . الى الذكي الصافي السريرة . الى الرفيع المتواضع . الى العربي الصميم . الى الصحافي الدائب على نشر اللذيذ المفيد والمفكه المرقي . الى الاجتماعي العامل على نشر الفضائل الاجتماعية وبث الاخلاق الشريفة . الى الوطني الملتهب غيرة على طبع سير نوابغ الامم ومشاهير الوطن في نفوس ابناء جنسه . الى الرجل الذي حينما كان ابناء قومه مستغرقين في سبات الترهات والملاهي كان يحيي ليله ونهاره احياء لمعالم المجد لقومه . الى ذلك الفرد النشيط الذي ارتقى بقوة اعتماده على نفسه الحديدية من حضيض المقام الى اعلى ذرى المجد

باية قوة كنت تشعرين بل بماذا كنت تتحدثين ايتها النفس العصامية الكبيرة حينما كنت ترفلين بذلك الشباب الغض في احدى زوايا بيروت المجهولة الذكر . . . وكيف تمكنت حينئذ من خرق حجب المستقبل الكثيفة حتى رأيت النور اللامع لمستقبلك العظيم ؟ هل كنت تقرأين من صغر سير الرجال العظام حتى دبت فيك قوة الارادة للعلاء فهندست للمسير في آثارهم افضل طرقات الفلاح ام كانت بلاد الوحي والنبوات قد وضعت في ذاتك السامية اقوى الاجسام واذكى العقول ... وحينما اتاحت لك الاحوال السعيدة في بلاد الفراعنة ان تبرزي من مكامن الجمود الى ميادين المباراة برزت لاهل الشرق والغرب بتلك الحلة القشيبة التي يفتخر بها الشرق واهلوه ما ذرت في سمائه الشموس . وتلالأت في افقه السواطع

ايتها الشمس الزكية الاصول حينما كنت تقلبين في صفحات تواريخ الاولين والمحدثين فتجدين الاسلاف الكرام قد شقوا في عصر الظلمة عباب النور وان ابناء هذا الوطن اليوم وهم في ارقى العصور تمدناً ورقيًّا لا يزالون هائمين في مسالك الظلمة كم كنت تجدين من المؤلم الموجع ان تخط انامل اللطيفة الى ابناء الاجيال المقبلة هذه الحقائق المحزنة

احضري الآن من مقرك السامي الى هذا الوادي الضيق الى حيث تحيي الشبيبة الزحلية الراقية مبادىء تكريم الرجال ... اصغي لاناشيد الحزن ورنّات الاسف على مصاب العربية الاليم الذي فتت اكباد الهيئة الراقية في جميع الاقطار ... ثم اصغي

قليلاً لانين هذه النفس الحزينة التي تناجيك الآن وقد طبعت فيها لاول مرة قابلتك في مصر منذ احدى عشرة سنة ابلغ عبارات التشجيع للكفاح في ميدان المبادىء القويمة . اسمعها بعد من سور آدابك السامية . وآيات حكمتك الفائقة ... اسمعيها واسمعي قومي مراراً وتكراراً

ان هذا الوطن المتألم بما هو مبتلي به من جمود وتشتت لا تسكن اوجاعه المبرحة ... الا بمداواة الطب الحديث ألا وهو طب العمل الانعتاق من العبودية تحت راية الاخلاق الراقية ... وتعلق الوطنيين باعظم عظائم الواجب ألا وهو تعذية نفوس الوطنيين بمادة الصدق في الوطنية ومواد الكرم والجود في المحبة القومية وتأصل مبدإ تضحية المصالح الخصوصية على مذابح المصالح العمومية ... وترك السفاسف والصغائر والدناءة والرداءة واللؤم طعاماً لحشرات الارض الدنيئة ...

وحينما تمثلين أمام اله التاريخ العادل . كوني برة بما لطروفنا القاهرة . واشفعي بقصورنا الحاضر أمام جلالة ناموس التقدم ... لا تيأسي من نهوضنا المقبل ومن تاريخ لمستقبلنا المجيد ... والآن وقد حم الفراق وآن ان يسدل الستار على آخر فصول هذه المناجاة الجميلة الذكر . فاستودعك الله يا ابنة الخلود الى اللقاء المزمع الرهيب ... ارتقي بامان في احضان اعمالك الطيبة الى الابد

خطبة راجي افندي الراعي

سيداتي وسادتي

اذا رأيتم النسر يموج في الفضاء ويشق كبد السماء الى ان يصيبه الصياد فيسقط من عرشه السماوي صريعاً على الارض . اذا رأيتم الشمس تتوارى عن الابصار فيسدل الليل عليكم ستاره الكثيف . اذا رأيتم الباخرة الوطيدة الاركان تنزل بها الصواعق الى اعماق البحر — تذكروا الموت

واذا تذكرتموه فلا تجزعوا . بل كونوا كالنسر الذي يسبح في الفضاء ولو لم يكن بمأمن من الصياد . وكونوا كالشمس التي تشرق ولو ألبست العباد ثوب الحداد وكونوا كالباخرة المتينة التي تشق البحر ولو لم تكن بمأمن من الصاعقة

يجب أن نتذكر الموت ولكن يجب ان لا نخاف منه كي لا نموت قبل ان يحل بنا الاجل المحتوم

ان الفائدة من تذكر الموت هي التأهب لتمثيل الدور الكبير قبل الدفن

ان الفائدة من تذكر الموت هي التأهب لشق البحر قبل ان تفاجئنا الصاعقة ولشق الفضاء قبل ان يصيدنا الصياد وللشروق قبل ان تسدل علينا سدول الليل

سيداتي وسادتي

اعلموا انه كما يعقب العاصفة سكون كذلك يعقب السكون عاصفة . وبعبارة أخرى اعلموا جيداً انه كما يعقب الحياة موت كذلك يعقب الموت حياة وبعبارة ثالثة ان وراء الموت شيئاً يقال له الخلود أو الحياة بعد الموت وهو ما احب ان الفت اليه انظاركم على ذكر الفقيد الكبير المرحوم جرجي زيدان الذي نقيم له اليوم هذه الحفلة التكريمية

لقد مات جرجي زيدان ولكن الثمار التي انبتها دماغه الكبير لم تدفن معه في التراب

ستبقى يانعة ما بقي في العالم ناطق بالضاد

واذا ما دعيتم اليوم الى حفلة يؤبن فيها جرجي زيدان فانما تدعون اليها باسم هذه الثمار التي تحمل في قلبها الخلود والتي يجب ان نقابلها برؤوس محنية كاغصانها التي كانت تنؤ تحت حملها الثقيل

لقد مات جرجي زيدان ولكن مؤلفاته قد احيته بعد موته

لقد هدأت العاصفة ولكن بعد السكون عاصفة اخرى اشد من الاولى تهب من وراء القبر ومن بين اعناق الاموات منقضة على ما كان يعترضها في دورها الاول ومقتلعة الجذور الفاسدة التي تفسد الارض

لقد مات جرجي زيدان ولكن هذا النادي غاص بسيدات هذه المدينة وسادتها لتكريمه وسماع التأبين تقال له

لقد مات جرجي زيدان ولكن مصر وسوريا وكل فئة تنطق بالضاد تلهج بذكره الطيب

مات زيدان ولكن فتاة غسان لم تمت

مات زيدان ولكن التاريخ الذي احياه سيحييه

لقد مات ولكنه خالد فكأنه لم يمت

سيداتي وسادتي

اذا قرأتم تاريخ التمدن الاسلامي وتاريخ آداب اللغة العربية وتاريخ العرب قبل الاسلام . اذا قرأتم تاريخ اللغة العربية وعلم الفراسة الحديث والسلالات البشرية . اذا

تصفحتم الهلال وامعنتم النظر في مقالاته التي كتبت باحرف من ذهب — قولوا معي حرام الا يكون في هذه البلاد مدفن للعظام كما في فرنسا وغيرها لكي يدفن فيه صاحب هذه التواريخ ومنشىء هذا « الهلال »

اذا افتخرت اوربا بمؤرخيها العظام فلا تنسوا ان تفتخروا بمؤرخكم العظيم

اذا ذكرت الادمغة الكبيرة التي فنيت ذراتها في سبيل العلم فلا تنسو ابن زيدان

في كل يوم يذهب مليون ضحية في سبيل ربها فلا يعبأ بها غير ذويها وقل ان تجدوا في الناس من تتأثر لموته امة باسرها وبلاد من اقصاها الى اقصاها

ما اعظم الفرق بين الرجل الذي يقتله الادمان على السكر أو الانغماس في حمأة اللذة والرجل الذي يقتله اجهاد نفسه وتضحيته براحتها في سبيل العلم !

ما اعظم الفرق بين الرجل الذي يموت من غير ان يحيي والرجل الذي يحيي قبل أن يموت

يموت العلماء في الغرب فيشيعهم الشعب الى مدفن العظام وتقوم لموتهم البلاد وتقعد لاعتقادها ان العلماء هم الذين يفيدون الكون اكثر من غيرهم . ونحن اليوم ننسج على منوال الغرب لتكريمنا العالم المؤرخ الشهير جرجي زيدان الذي غرق في بحر التاريخ بعد ان كان التاريخ نقطة في بحره

اهم شيء كان في الفقيد تغلب عقله على اهواء نفسه ونحن نرى الالوف المؤلفة من ابناء هذه الدنيا تستعبدهم عواطفهم واهواؤهم

ولكن تأكدوا انه بينما كان ابناء الطرب ينشدون الذ ما اخترعه الشعراء وابتكره العشاق تحت جنح الظلام على ضفاف النيل . بينما كانت قاعات التمثيل غاصة بالالوف من المتشوقين لرؤية ما يتزهون به الخاطر . بينما كانت الحانات غاصة بالناس في كل نهار وفي كل ليلة . بينما كانت المدينة تطرب وتقهقه وترقص وترفل بحلة العروس في ليلة زفاف كان جرجي زيدان سجيناً في غرفته بين مجلداته الضخمة وحيداً في احدى زوايا منزله في القاهرة ينشىء الهلال ويؤلف تاريخ آداب اللغة العربية ويفكر في كيفية اخراج اثمن ما تقوى على اخراجه مخيلة عربي في البلاد التي ينطقون فيها بالضاد ويتساءل عن اسباب عظمة العظام الذين فسح لهم في التاريخ مكاناً فسيحاً ويذيل حوادث التاريخ بفلسفة التاريخ

سيداتي وسادتي

كما حمل نابوليون وحيده ملك رومية الذي نفحته به ماري لويزا واطل به من النافذة على الجماهير الغفيرة التي كانت تنتظر وارث الامبراطور وقال لها وهي لا تعد ولا تحصى « المستقبل لي »

كذلك يحق لنجل جرجي زيدان ان يحمل مؤلفات ابيه ويطل بها على الناطقين بالضاد قائلا لهم « ان مستقبل اللغة العربية لي »

ان هذه المؤلفات كافية لجعل منشئ الهلال من الخالدين . وهي كافية لجعل ابنه مطمح الآمال ومحط الرحال . بل هي كافية لجعل مستقبل اللغة العربية له لانه سيبنيه عليها . وهل امتن من هذا الاساس اساساً لدعامة المستقبل

قصيدة يوسف افندي نعمان البريدي

خسف الهلال فيانجوم تبرقعي ... بسواد ليلك واحذري ان تلمعي
خسف الهلال ولا معاد لنوره ... فتساقطي من افقك المترفع
وتحجبي طي التراب فانه ... أمسى مقراً للضياء الالمع
دفنوا ابن زيدان به ولو انهم ... عدلوا لانزلناه بين الاضلع
دفنوا به الكنز الثمين ففاخر الـ ... ـترب النجوم بضيفه المتربع
لله من يوم تمخض ليله ... عن صبح حزن بالبلاء ملفع
صبح اشاعوا فيه موت امامنا ... يا ليت شمس نهاره لم تطلع
ما كاد سلك البرق يحمل نعيه ... حتى تطاير في الجهات الاربع
نبضت له كل القلوب وصعدت ... زفراتها وتقطرت بالادمع
والعالم الادبي ناح مردداً ... مات ابن زيدان الا فابكوا معي

* * *

يا موت كم روّعتنا ببلية ... وصدعت رأساً لم يصب بتصدع
وفقأت عين الفضل عن عمد فرا ... ح الفضل يضرب في فضاء بلقع
وطعنت صدر المكرمات ودستاء ... ناق الفخار ونلت كل ممنع
وهدمت اركان السعادة عند ما ... فرقت بين الناس كل تجمع
بئس الحياة وانت مرجعها وبئ ... سَ العيش يعقبه دوام توجع
لو خُيّر الانسان في ميلاده ... ما شمت في الارضين من متمتع
واذا سألت اشدّنا حرصاً على ... هذي الحياة اود لو لم يوضع
يسعى ويدأب ليله ونهاره ... ويجد في طلب المقام الارفع
ويكلف النفس المشقة والعنا ... ويحرم الاجفان طيب المهجع

ويذيب جوهر عقله حباً بكسـ ـب العلم او سعياً لنيل المطمع
والموت يأتي حاصداً آماله في منجل ماض وان لم يزرع

* * *

يا للمصيبة اي رزء شامل ابكى الجميع وأي خطب مفجع
يا للبلاء ويا لشدة لوعة الـ تاريخ من بعد الفقيد المبدع
والهف قلب العلم بعدك يا ابن زيـ ـدان ويا اسفي وطول توجعي
خسرت بموتك مصر اكبر عالم وكذاك ارض الشام اكبر المعي
كنت ابنها فغذتك من البانها وحنت عليك حنو ام مرضع
حتى كبرت فاسلمتك لاختها فخلت من مصر باسمى موضع
حرصت على ما استودعت فما رأت ان النزيل لانفس المستودع
ونزلت منها منزل الانسان من عين وكنت لها اعز المرجع
احببتها لما رأيت حنانها حباً طبيعياً بغير تطبع
ووقفت علمك رهن رفعة شأنها وخدمتها عن رغبة وتطوع
افنيت عمرك باحثاً فجمعت اشـ ـتاتاً لتاريخ لنا متضعضع
هذا هلالك وهو اكبر شاهد وبه لنا برهان جد مقنع
وكتاب تاريخ التمدن ناطق عن فضلك العالي بكل تخشع
ومؤلفات لست أحصي عدّهـا هي شاهد عن علمك المتضوع
ان ترث مصر فقدها نظم الرثا بك يا ابن زيدان بدر الادمع
او تبك سوريا عليـك تأسفاً فلانهـا عشقتك عشق مولع
او يعلُ من لبنان صوت تفجع يا مهجتي ذوبي ويا نفس اجزعي
فلان موتك راع منـه قلبه وقبيل موتك لم يكن بمروع
واذا رأيت تهافتاً منـا على اكرام قدرك فهو دون تصنع
قدر الفتى يحيـا بغر فعاله وفعاله تبقى كروض ممرع

* * *

أ اميل يا نجل الفقيد ألا اصطبر فالصبر مرهمُ كل جرح موجع
لست الوحيـد فقدته بل كلنـا شركاء حزنك في ممات اللوذعي
لست الوحيد شكوت يتماً انما الـ تاريخ يُتّم بعد منعى من نعي
فامسح دموعك واحسرن عن ساعدال اقدام واسلك مسلك المتتبع

واحرص على قدر الهلال ولا تدع نور الهلال يغيب تحت البرقع
حتى اذا ما قيل مات الليث قا م الشبلُ يحكيه بقلب اشجع
كنا نود بان نراك بقربنا نتقاسم البلوي بفقد الاروع
لكنما قد حال دون مرامنا امر انحراف جدّ دون توقع
فوقاك ربي يا اميل من الاذى وسلمت مرعياً بعين المبدع
والله نسأل للفقيد مراحماً ولنا العزا والله اكبر من دعي

ooeikandl.com

مختارات من المجلات

تنبيه — لا يسعنا في هذا الباب ان نورد كل ما قالته المجلات عن المرحوم مؤسس الهلال لا سيما وانه يتعذر الحصول على كل ما كتب عنه في الاقطار المختلفة فنكتفي بايراد آراء مختارة في النقيد وآثاره تركين ما قيل في ترجمة حياته مما جاء في اول هذا الكتاب تلافياً للتكرار

جاء في مجلة الهلال

١ — بقلم متري افندي زيدان

بيدٍ ترتعش وعينٍ تذرف دماً وقلبٍ يتمزق لوعةً وأسى انعي الى القراء شقيق الحبيب جرجي زيدان صاحب الهلال — قضى وا اسفاه في ٢١ يوليو الماضي بعد ان كتب آخر كلمة من هذا العدد واتمّ آخر جزء من ملحقاته . فيا له خطباً افقدنا رشدنا واذهل عقلنا اذ افقدنا اخاً محباً وصديقاً وفيًّا واباً شفوقاً ومرشداً اميناً

فبماذا ارثيك ايها الحبيب وانت القائل في رثاء اخينا منذ عشرين سنة وكان لا يزال طالباً في المدرسة الطبية :

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي

فاذا كان هذا قولك في اخيك وهو لا يزال طالباً صغيراً فماذا اقول فيك وقد فقدناك اخاً شفوقاً وعماداً قوياً وسنداً عظيما . فاذا عجز اللسان عن وصف مآثرك فان عديد مؤلفاتك ينطق بجزيل علمك وفضلك . بل انى لهذا القلم ان يجول في مضمار رثائك وقد كان طوع بنانك وترجمان افكارك وآرائك . . . .

٢ — بقلم الدكتور شبلي شميّل

فقدت لغة العرب بفقد جرجي زيدان عاملا من اكابر عمالها ومؤرخاً من اكبر مؤرخيها واديباً روائياً من اشهر روائييها . ولقد كانت الخسارة به على هذه اللغة وآدابها فادحة ولا سيما ان الطريقة التي خدمها بها لبست من الطرق المبتذلة التي يجري عليها

اكثر الكتاب والمؤرخين . فهو مبتدع وطريقته لم يسبقه اليها احد في هذه اللغة فكست كل هذه المباحث القديمة ثوباً جديداً قشيباً لفت النظر اليها وحبب للقارىء مطالعتها

والفقيد الكريم وان كان قد قضى وهو لا يزال ممتلئاً قوة وكنا لا نزال كثيري الامال بتفننه واقتداره وزيادة خبرته لو فسح له بالاجل الا ان حياته القصيرة كانت كثيرة البركة وكلها حياة نشاط وعمل فانجز في اقل من ربع قرن ما يعجز الاقران عن الانيان بمثله في قرن وتمكن من تتميم فكرته في خدمة آداب هذه اللغة فوضع تاريخ التمدن الاسلامي وتاريخ آداب اللغة وغيرهما واوشك ان يختم حلقات روايات التاريخ الاسلامي — في هذا الوقت القصير . فهو بطل من ابطال نهضتنا الحديثة القليلين

على ان الاثر الاعظم لهذا الرجل العظيم ليس ما تقدم بل هو « الهلال » شيخ المجلات الادبية الجامع لكل المباحث العلمية والعمرانية والسائر فيها سير الاجتماع نفسه على قدر ما يحتاج اليه المقام ويسمح به الزمان والمكان متوخياً توسيع العقول «بإسفين» التؤدة واللين خوفاً من عواقب « ديناميت » العنف الذي لا يعمد اليه الا في مواقف معلومة . . . .

---

٣ — بقلم خليل افندي مطران

يوم وفاته :

اتم يومه واستراح
لا تقول الا انه نائم
في محياه نضارة وصفاء
انه لراض عن نفسه وحقيق به ان يرضى عنها

قلب نظرك حوله تجد المئات من الكتب وتجد من هذه الكتب المشقق والمثقب ومسوّد الهوامش بالرموز . كلها عابس وفي الجو شبه انقباض . اما هو الآن فوجهه باسم أيبسم للفراق والفراق ألم وبكاء ؟

اظنه فرحاً بعد جهد العناء بانه لقي الحقيقة
ادركها وضن ببيانها كما ضن النابغون من قبل

ما هي تلك التي تُسلي الرجل الامين اهله وبنيه وتؤنسه حين وحشة المعاهد اهيَ بسطة الراحة بعد انقباض التعب . ام هي الغلبة النهائية للسنّة الطبيعية
الاستاذ لا يجير جواباً ونحن في حيرة وجزع والحقيقة ضالة العاقل حتى يموت

طرف من اخلاقه وآدابه :

ما عرفت رجلا اجمع منه لنقيضين — الكبر والاتضاع

لم اشهده ولم اسمع عنه انه شكا دنياه بمحضر من احد ولا انه تمنى على احد شيئاً باشارة او بصارحة

كما انني لم اجده مرة مستفزًا للاخذ بثاره من متهجم عليه في الصناعة التي هي مدار رزقه ومحور شهرته لاعتقاده شرف غايته وسلامة صنيعه من شبه المشتبهين

فاذا ناقش في محادثة واتفق ان اخذته الحدة علا صوته فاسمعك عثرات الماء الصافي بحصباء العقيق . فاذا دفعته في بحث مما هو عارف به فاندفع اشبع واروى ولم يدع في النفس حاجة

أما اداب فما راعني منها انه وازنها وهيأها بحيث يرضي الامير ويقرب الصديق ويعجب الغريب من غير تكلف حركة خصيصة لموقف من هذه المواقف

وعلى هذا كان يعرض لي ان اقول « في زيدان جمود من جهة الملاقاة لا أحب عليه ليونة غيره مهما رقت وراقت »

كيف اقتنى تلك البشاشة الدائمة :

كان لا يلفى الا باشا وانما كانت بشاشته تلك اشف ظواهره البسيطة الرائعة عن عفته المطوية وشممه الخفي

ذلك انه اختط لحياته خطتين . خطة عين لنفسه منتهاها من طريق العقل وبلغها على ما سأبينه . وخطة رسم لنفسه صراطها في جانب الخلق

الكساء والطعام والرياش اعراض في نظره لا يعتد بها ومن الاعتدال فيها كان يدخر ما يصون ماء وجهه . فايما حالة صار من النعمة نهض الى مستواها ولكن مع ترك فضل للدخل على الخرج

فبذلك الحطام اليسير المتبقي بين يديه كان يتقي ضياع وقته ويصون مادة عفته وجوهر شممه. ومن ذلك الزائد الزهيد كان يقتني تلك البشاشة الدائمة التي لا يحولها اغبرار الحوادث ولا تشوبها كدورة الايام ولا يتخللها اصفرار الطلب

آينه في جده وغايته منه :

كان وهو حر طليق غير مسؤول الا عند نفسه يعمل كان كل دقيقة من وقته محسوبة عليه

يكد بلا انقطاع ويعتقد السعادة كل السعادة في العمل ومن توفيقه انه كان بادناً قوي الجسم فلا يشعر بالتعب ولكن ذلك التعب في النهاية هو الذي قتله صعيقاً

استفاد من ذلك الغناء المتصل ميسرة في رزقه وتطهيراً لنفسه وشرفاً في اخلاقه وكرامة على الله والناس

على ان اجمل ما اصابه من نتائج ذلك الجدّ هو الوصول الى الغاية التي اليها سعى واياها قصد فقد ادرك الاوج في منازل المؤرخين ومراتب الباحثين النافعين

---

٤ — بقلم احمد بك حافظ عوض

ليس الزمان كثير السخاء في الجود على الامم — ولا سيما البادئة في النهوض جديدة ، والمتيقظة بعد رقدة طويلة — بكثير من الرجال المتازين بصفات عالية واخلاق قوية كالصفات التي عرفناها جميعاً في فقيد العلم والادب جرجي بك زيدان منشىء هذه المجلة

واني لا اظن انه وجد في العالم العربي في العصر الاخير من ترك كمية كبيرة من العمل العلمي والادبي الجدّي مثل منشىء الهلال . فان رواياته ومجلدات الهلال ومؤلفاته التاريخية واللغوية والادبية تكوّن في مجموعها موسوعات كبيرة ولولا اننا ونحن المعاصرون له نعلم علماً لا مسرب للظن فيه ، ان الفقيد هو الذي كتب بقلمه كل هاتيك المنشئات ورتب أبوابها ، وابتكر موضوعاتها وراقب بنفسه طبعها ووضعها ، منفرداً لا يملي على محررين مأجورين ، ولا مشتركا مع طائفة من الادباء الكاتبين كما كان يفعل سواه من كتاب الروايات مثل اسكندر ديماس الذي حذا الفقيد حذوه في وضع رواياته التاريخية — اقول لولا ما نعلمه عن يقين صحيح ان كل ما تركه الفقيد هو من عمله وحده لداخلنا الشك او تسربت الينا بعض الظنون بانه لم يكن فيه منفرداً . ذلك لانه عمل كبير مستعظم على كاتب واحد . واني كمشاهد عاش في هذا العصر وعرف الفقيد شخصياً ووقف بنفسه وبخبرة صحيحة على عمله اشهد لاهل هذا الزمن ، واقرر للاجيال الخالفة — حتى لا يتسرب الشك اليها في المستقبل كما تسرب اليوم الى الكثيرين في حكمهم على المتقدمين — ان كل ما وجد في العالم من الكتب التي تحمل اسم جرجي زيدان والتي اعتقد ان الكثير منها سيعيش في صف الآثار الخالدة . تلك الآثار التي هي اشبه بالمنارات يهتدي بها الباحثون والتي تبقى حية مطلوبة لا تطمس معالمها ولا

يغطى على فضلها ولا يحمل على تضاؤلها توسع في المعارف او زيادة في الرقي العقلي الانساني — اقرر للاجيال الخالفة ان كل هاتيك الاثار التي وصفتها وسيجدونها هي من عمل ذلك الرجل القدير الجلود الصبور وحده

عرفت منشىء الهلال طيب الله ثراه بالاسم وانا بادىء حياتي الادبية كثير الشغف كالناشئين بالاطلاع على القصص التاريخية والخيالية فكان اول اتصالي الادبي والروحاني بالفقيد رواية المملوك الشارد ، وهي اول رواياته على ما اظن ثم لا زلت وعود الشباب غض طري وعقل الفتوة وثاب خيالي ، خال من متاعب الحياة ومشاكل هذا الوجود اتابع الفقيد في تلاوة رواياته ومنشئاته اتلذذ بها واتغذى منها واطير معها واصفق لها حتى اشتغلت بالصحافة منذ ستة عشر عاماً فتعارفنا وتصادقنا ودامت بيننا عشرة طويلة لم يؤثر في صفائها انتقاد ادبي نشرته في مجلة الموسوعات على رواية عذراء قريش ولا رسائل من هذا القبيل ظهرت من آن لاخر في جريدتي المؤيد والمقطم لانه كان كجميع العلماء العاملين رحب الصدر محباً للتمحيص والنقد ولقد وجدت من هذه الاخلاق الفاضلة وفي تلك النفس الودودة الطيبة ما حببني اليه وستبقى ذكراه في نفسي من اجمل التذكارات التي اكتنزها من آثار الذين عرفتهم من رجال هذا العصر

---

٥ — بقلم رفيق بك العظم

قضى فقيد العلم والتاريخ فقيد الفضيلة والاخلاق العالية والادب الجم فقيد العرب وركن نهضتهم الحديثة ومظهر دقائق مجدهم الدائر المرحوم المبرور جرجي زيدان مؤسس مجلة الهلال التي استنار بنورها العالم العربي نحو ثلث جيل . . . .

وجاء في مجلة المستقبل تحت عنوان : جرجي زيدان باخلاقه

بقلم سامي افندي الجريديني

للتاريخ ما كتب زيدان في التاريخ والادب فهو أنصف الحاكمين . ولنا نحن معشر قراء الادب ان نحكم حكماً مقصوراً على ما رأينا وقرأنا من مؤلفات زيدان فأقول ولا اخشى في الحق لومة لائم انه كان نبراس المؤلفين في اخراجه للناس ما يفيد وينفع وقدوة الكتاب في الدرس والتنقيب والبحث

على اني لا اقصد ان انتقد الان مؤلفاته فأوفيه حقه فهذا بحث يستغرق ما ليس عندي من الوقت وقد سبق لي ان ذكرت شيئاً عن ذلك في غير هذا المكان ولغير هذه الاحوال

* * *

عرفت جرجي زيدان معرفة صديق فأنا اترك المؤلف والكاتب جانباً واذكره رجلاً على حد قول شكسبير — من قمة رأسه لاخمص قدميه — رجلاً فذاً في اخلاقه والاخلاق اندر ما عند رجالنا في هذا العصر

ابتدأ زيدان يحرر الهلال منذ عشرين سنة ونيف فكان في اول سنة من سني الهلال يقف الى مكتبته وقوفاً يحرر فصلا ادبياً او اجتماعياً ويترجم رجلا مشهوراً ويؤلف رواية تاريخية ثم يراقب الطبع والتصحيح دائباً على العمل نهاراً وليلا ثم توفي وكان قبيل الوفاة ببعض دقائق واقفاً وقفته لم يقلل ساعات العمل ولم يتضجر او يتأفف يوماً من كثرته . والرجل منا اذا كتب مقالا ملأ الارض والسماء من الشكوى من العمل ومن التعب واجهاد الفكر بل قليل منا من يبدأ عملا ويثابر على اتمامه او يشرع في امر وتظل همته تلازمه حتى انتهائه . هذا ما يسمونه داء الشرقيين داء عدم اثبات على الامور . اما زيدان فكان الثبات خلقاً من اخلاقه الظاهرة فحق ان يكون فيه قدوة حسنة لكل الرجال العاملين

* * *

حياة ملؤها الجهاد والعمل ولكنها حياة ما أساء فيها الى أحد قط

كان ينتقده الحاسدون ويحمل عليه الجهلة المتعصبون فاذا ما رأيته رأيت منه صدراً واسعاً ووجهاً بشوشاً غير متكلف او متصنع يسكت عن الاساءة ويمر بها كريماً ويأخذ الحسنة فيشكر عليها وها كتبه وها مجلدات الهلال فهل رأى احد فيها كلمة جارحة او قرأ انتقاداً يشف عن غيظ او حنق وهي لعمرك فضيلة اذا تحلى بها جيد كاتب علا قدره وزادت الفائدة المقصودة من تأليفه لانك قد تنفر من الكاتب الاحمق مهما قال لك من الحقائق ولكنك تلين وتخفض الجناح للكاتب الوديع المسالم . بل اعرف انه تعامل مع بعضهم معاملة بيع وشراء فكانت صفقته خاسرة وكانت خسارته اكثر مما يطيق امثاله عليها صبراً ولا اعرف رجلا علم بخسارته او سمعه يشكو من الغبن الذي اصابه

* * *

المثابرة على العمل . العمل بنشاط وسرور . القيام بالواجب . تحمل الواجب بمحيا طلق وصدر رحب . سعة الصدر . الاغضاء عن الاساءة . لين العريكة تلك اخلاق

جرجي زيدان في اعماله العمومية وحياته الخصوصية

وانك لتعرف رجلا من كتاب ألفه أو مقال صنفه ثم تخبر عوده فتراه رجلا آخر يريك الفضيلة في كتابه والرذيلة في سيرته — الحق في تأليفه والبغي في عمله . أما زيدان فكان هو هو سواء عرفته بالغيب أو خبرته اختبار صديق قريب

* * *

بل سل زوجته وأولاده وأقرباءه هل عبس وتولى اذ جاءه احدهم يشكو مرضاً أو اذ سمع خبراً مكدراً ؟

كان يمرض ابنه فتراه يترك اقلامه وأوراقه ويأتي يسقيه الدواء ويسهر بجانبه ويبعد امه عنه حتى لا تنزعج أو تتكدر ويلاطفه ويمازحه ثم يرجع الى عمله كأن لا مريض عنده في البيت فكأنه رحمه الله كان يحمل كل الاثقال ولا يدع من يحب يشاركه في تحمل همومها

على مثل هذه الاخلاق عرفت جرجي زيدان وكل من عرفه يشهد له بها وها زيدان قد ذهب فمتى نرى له نظيراً

وقالت مجلة المقتطف

رزئت العربية وابناؤها بفقد كاتب من نخبة كتابها عالم بحث في خزائن كتبها وما كتبه الافرنج عنها بحثاً مستفيضاً واستخلص من ذلك كتباً ممتعة في آدابها تشهد له بسعة الاطلاع واصالة الرأي والبراعة في التبويب والتنسيق فكان لهذه الكتب شأن كبير شرقاً وغرباً وترجم بعضها الى كثير من اللغات الشرقية والغربية. وبحث في تواريخ دول الاسلام والف فيها كتاباً جليلاً وبنى على نوادرها سلسلة من الروايات التاريخية الفكاهية جمع فيها زبدة تواريخ تلك الدول على اسلوب لا يمله القارىء فكان لهذه الروايات وقع عظيم لدى الامم الشرقية لانها مبنية على ما الفوه من اسماء الاعلام وما له اشد علاقة بتاريخ اسلافهم الذي يفاخرون به فترجمت هذه الروايات ايضاً الى بعض اللغات الشرقية . هذا عدا اشتغاله بانشاء مجلة الهلال التي مر عليها الآن اثنتان وعشرون سنة وهي تبحث في المواضيع التاريخية والاجتماعية والعلمية والادبية والصحية وعدا التاريخ الذي الفه لهذا القطر وهو باكورة مؤلفاته التاريخية

ولا شبهة في انه كان من النوادر بين ابناء العربية عمل في ربع قرن ما يعجز عنه

ثلاثة أو اربعة من المنقطعين للتحرير والتحبير . ولعل اشتغاله الكثير انهك قواه وعجل في اجله فتوفي فجأة في ٢٢ يوليو الماضي قبيل نصف الليل بعد ان كتب آخر كلمة من المجلد الثاني والعشرين من الهلال واتم آخر جزء من تاريخ آداب اللغة العربية الملحق به توفي بين الدفاتر والمحابر

وكان الفقيد ربعة ممتلىء البدن اسمر اللون انيس المحضر واسع الرواية حسن المحاضرة متفانياً في الاعتناء بذويه والاهتمام بامورهم ترك زوجة فاضلة وابنة وابنين فرزؤهم به ورزء والدته واخوته وكل معارفه ومحبيه اكبر الارزاء لكن لهم من العزاء انه ابقى من المآثر والآثار ما يخلد ذكره

وقالت مجلة الآثار (زحلة)

نبضت اسلاك البرق المصرية . تنعي الى شقيقتها سورية . عماد النهضة العصرية . بل مؤرخ الامة العربية . المشهور في الاقطار الشرقية والغربية . المرحوم جرجي بك زيدان . انسان عين الادب في هذا الزمان . فاندفقت لوميض برق نعيه دموع القطرين اندفاق الغمام . وخسف « هلاله » ولا عجب فهو بدر التمام . فاجأته المنون (أذ كان ينوي اللحاق باسرته للاصطياف في لبنان) في منتصف ليل الاربعاء في ٢٢ تموز الحالي وهو بين الاقلام والمحابر . فشقت عليه الجيوب واستنزف نعيه ينابيع المهج والمحاجر واحمر سواد عيون دواته أسفاً . وتقصف صلب يراعه لهفاً . وتناثرت اوراقه جزعاً على جامع شتاتها . واسودت وجوهها لانطفاء نور مشكاتها . فلطالما كان يضحكها ببكاء اقلامه ويعدها بدقيق افهامه . وختم « التاريخ » صحيفة حياته بحميد آثاره . كيف لا وقد حرص على رفع مناره . واكب على تحقيقه سواد ليله وبياض نهاره . فكانت « رواياته » فيه صحيفة الاسناد . ومباحث « آدابه » رائعة السداد . وانوار « هلاله » عديمة النفاد فلذا افتخر بمباحثه علماء المشرقيات . ونقلت مؤلفاته الى كثير من اللغات . فلا غرو اذا عم الاسى عليه القطرين . وتجاوب صدى نعيه في الخافقين . وعقدت الحفلات لتوفيته حقه من التأبين . لانه مقدام الصحافيين والمؤرخين . وقدوة العاملين المجتهدين . فعليك ايها الصديق الراحل سلام يحكي عرف صفاتك . ولك من خالقك الاجر العظيم جزاء حسناتك . ولاسرتك ومريديك ثواب الصابرين . اذ قد احصيت اليوم في عداد الغابرين على ان آثارك باقية ما طلع « الهلال » وتحققت « باميالك » الآمال . وضريحك ممطور

بشآبيب الغفران . ونفسك محفوفة بملائكة الرضوان

اقيم مأتمه في مصر حافلا مهيباً وقد عرفنا كيف تكرم مصر رجالها . واما عندنا فعقدت له اول حفلة تأبينية مؤثرة في « زحلة » يوم الاحد في ٢ آب باقتراح صاحب مجلة « الآثار » بحضور نخبة الافاضل والادباء من مواطنين ونزلاء فوفاه حقه من التأبين ادباء زحلة وشعراؤها . وسيقام له كثير من مثل هذه الحفلات في مصر وسوريا

وقالت مجلة رعمسيس

عاشت الحضارة العربية بعد ان دالت دولتها لا تعرف احداً ولا يعرفها احد بل عاشت تتوارى من جيل الى جيل تارة وراء الوف من المدنيات القديمة وتارة وراء تيار المدنيات الحديثة حتى ظهرت تحت سماء سوريا شعلة ذكاء اتقد لهيبها في وادي النيل فانارت عقولا واضاءت افكاراً واعادت الى الحياة والظهور تلك المدنية العالية والحضارة المترامية التي امتدت بامتداد سلطان العرب من الشرق الى الغرب وكانت اساس الرقي العصري والتمدن الحديث . ذلك هو الاثر الخالد للطيب الذكر المرحوم جرجي بك زيدان صاحب الهلال اغتالته المنية في الشهر الماضي

وددنا ان نكتب تاريخه فاذا بنا امام التاريخ . امام عقل واسع وعزيمة ماضية امام مؤلفات غزيرة المادة ملأت الشرق علماً وفضلاً وملأت حياة كاتبها جهاداً وعملاً بل امام مصباح اضاء ربع قرن تحت سماء مصر ثم انطفأ ولم تخمد جذوته . ولا غرو فقد ابقى صاحب الهلال مؤلفاته كشعلة من نور بل ابقى هلاله ليستنير على ضوء مشكاته القادمون من الذرية في مستقبل الايام

تلك هي حياة صاحب الهلال من يوم ان عرف مصر وعرفته وكانلها ولداً وكانت له اما

وقالت مجلة المحيط

في اليوم الحادي والعشرين من شهر يوليو الماضي اطفئت منارة علمية شاهقة ظلت زمانا طويلا تضيء على مصر والشام . اطفئت بغتة فكان لانطفائها وقع شديد على النفوس لانها كم انارت من بصائر وكم نقفت من افهام

مات المرحوم جرجي بك زيدان ولم يكن بين انكبابه على العمل ودعوته غير بضع

دقائق فاكبر الناس هذا المصاب وعدوه خسارة فادحة أصابت العلم والتاريخ

وكان رحمه الله ممتازاً برقة الطباع فكان محبوباً من الجميع . لم يدخل مع احد في نزاع صحافي مع كثرة ما يتعرض له الكتاب من هذا القبيل في بلاد الشرق واذا اضطر الى ذلك اضطراراً كان عنوان الادب وسلامة الذوق

وهو بالاجمال معدود من نوابغ الشرق وكبار كتابه فوفاته تعد خسارة لا تعوض. قام باعماله هذه كلها في تلك المدة القليلة من حين بدأ في التأليف والتصنيف . وهي اعمال تنؤ دونها عدة رجال . فاذا كان العمر يقاس بمقدار الفوائد التي تنتج عنه كان عمر الفقيد الحقيقي اضعاف حياته على هذه الارض . وسيظل مذكوراً باعماله ما دامت اثارة الخالدة وفي هذا عزاء للذين اصيبوا بنكبته . فانه اذا كان لذوي الجندي الذي يقتل في ساحة الوغى عزاء في مصابه بانه افاد الاوطان بدمه فحري بكل ذي صلة بهذا الفقيد الكريم ان يجد عزاء في مصابه بأنه افاد بلاده وغير بلاده بحياته كلها . عرفناه شخصياً من نحو خمسة عشر عاماً فكان في كل اقواله واعماله عنوان الصدق والشرف فضلاً عن غزارة المادة ودماثة الاخلاق فاذا خاض في بحث لم يسبر له غور أو سامر لم يمل له حديث

وقالت مجلة المنار

قضى الله — ولا رادّ لقضائه — ان لا نفرغ من رثاء وترجمة رجال العلم الذين فجعت بهم الامة العربية في هذه السنة في مصر والشام ، الا وقد رزىء القطران بفجيعة أخرى ، فقد فاجأت المنية في التاسعة والعشرين من هذا الشهر جرجي بك زيدان صاحب مجلة الهلال ، واحد اركان النهضة العربية الحديثة ، فاجأته كهلاً قد بلغ اشده واستوى ، حسن الصحة تام القوى — وقد أتم في هذه الليلة تصحيح آخر كراسة من آخر جزء من اجزاء السنة الثانية والعشرين للهلال ، وآخر كراسة من كتاب تاريخ آداب اللغة العربية ، وتنفس الصعداء من تعب ليلة شعر بانه القى عن عاتقه في اولها تعب عشرة اشهر ، ثم القى نفسه على سريره ليبدأ فيها باستراحة شهرين كاملين ، ففاضت نفسه فاذا هو قد القى عنها تعب ربع قرن في الجهاد العقلي كان هو القاضي على مادة ذلك الدماغ الذي يشبه معملا من معامل الكهرباء ، في السرعة والنور والحرارة والضياء ، والمقوض لدعائم تلك الحياة الحميدة ، حياة الجد والعمل والعفة والاستقامة

فقدت الامة العربية بهذا الرجل ركناً من اركان نهضتها الحديثة في العلم والادب ،

بعد ان نضج علمه ، واتسعت معارفه ، وكملت تجاربه ، وصار اقدر على اتقان خدمتها ، ومساعدة نهضتها

ان كثيراً من النابغين لم يقيموا في المدارس زمناً طويلا ، ومن الثابت بالاختبار ان طول الاقامة في المدارس تضعف ملكة الاستقلال : فيخرج الطالب بعده مقلداً جامداً على ما أطال درسه ومزاولته . . . .

اما فقيدنا اليوم فقد كانت نفسه العصامية هي الحافزة لهمته والباعثة له على طلب العلم ، وكان يقصد من العلم ان يعمل به فيفيد مالا وجاهاً يكون به في مقدمة امته لا في ساقتها . ولذلك حصل بجده وقوة ارادته في الزمن القليل ، ما مكنه من العمل الذي عجز عن مثله من هم اكثر منه تحصيلا ، واوسع في العلوم والفنون عرفاناً

وكان سلساً نزيه القلم ، يتقي كل ما يثير غضب أصحاب المذاهب الدينية ، والاحزاب السياسية ، ولكنه لم يسلم مع ذلك من اتهام بعض سيئي الظن من المسلمين والنصارى ، فقد اتهمه بعض الاولين بتعمد الطعن في الاسلام بغرية يفتريها ، أو دسيسة يدسها وكانوا يستدلون على ذلك ببعض الاغلاط التي وقع فيها ، أو تصوير بعض المسائل بغير الصورة التي يعرفونها ، لفهمها بغير الصفة التي يفهمونها ، ورد عليه بعض هؤلاء في المؤيد . وطالما رددت على بعضهم مبرئاً له من سوء القصد ، لما لي فيه من حسن الظن . وأشرت الى ذلك في المنار غير مرة

وقد حدثني ان بعض سيئي الظن من النصارى قد اتهمه بضد ما يتهمه به بعض المسلمين : اتهموه بصانعة المسلمين ومحاباتهم ، ومدح الاسلام والمسلمين تقرباً اليهم ، لاجل الكسب منهم . ولا يسلم من السنة الناس احد ، كيف وقد كفروا بالواحد الاحد ، الفرد الصمد ، سبحانه وتعالى

وقالت مجلة المستقبل

توفي جرجي زيدان بك صاحب الهلال في منتصف ليلة الاربعاء الماضي في الثالثة والخمسين من حياة امضى نصفها في خدمة العلم وبسطه سواء في الهلال أو الروايات القصصية أو الكتب التاريخية

فاذا ذكر تاريخ الآداب العربية في القرن العشرين وجب ان يعد صاحب الهلال مؤرخاً وقصصياً وصحافياً . واذا ذكر العاملون في النهضة الادبية الحديثة كان هذا الرجل

في طليعتهم لانه سهل على تلاميذ المدارس ومن لم يدرسوا من العلوم الا مبادئها التوسع في درس اصول التاريخ وسير العظماء ومبادئ علوم الاجتماع والآداب

كان زيدان دوماس الشرق في هذا العصر . فان سلسلة الروايات التي وضعها لا تقل عن مؤلفات دوماس التي سرد فيها تاريخ فرنسا . وبذلك سهل على الناشئين بل العلماء معرفة ما تفرق في الكتب والشروح من تاريخ الدول الاسلامية واوجد فناً لم يجسر احد علماء المسلمين أو المسيحيين الشرقيين على مجاراته فيه

ويكفيه فخراً انه اول شرقي ترجمت كتبه الى اللغات الاجنبية فنقلت رواياته الى الانكليزية والروسية والفرنسوية ونشرت احداها ذيلاً للفيجارو وهي اكبر واشهر جريدة فرنسوية يومية يكتب فيها كبار الاكاديميين . ونقل كتابه تاريخ التمدن الاسلامي الى اللغة الانكليزية

وقالت مجلة المنهل (القدس)

في مثل اليوم الذي وصل الينا فيه نعي هذا النابغة من العام الماضي وصلت الينا رقعة دعوة لحضور حفلة تكريمية بمناسبة زيارته القدس . وفي مثل الساعة التي نخط فيها هذا القول من ذلك العام كنا نجتليه والبشر ملء محياه . ونستجلي احاديثه والدر بين ثناياه . وتطربنا نغمات ذكره والثناء عليه . فلله هذه الطبيعة العمياء التي لا تسأل عن الرجل وما له من الاثر عند اهلاكه ، ولا تختار لطعامها مسيئاً دون نافع ، أو تختص بطول البقاء فاضلا دون وضيع وخامل . ونحن اذا كنا نرجو من العلم طول الحياة او تخفيف آلامها ، فانما نرجو ذلك ليسعد المفضلون على الامم باعمالهم ويزيد افضالهم والنفع بهم . واما الهمج والرعاع فلا شأن لهم في الحياة ولا نفع واذا مات منهم الالوف في كل يوم فلا تلبس عليهم الانسانية سواداً بل يطوى خبرهم مع يومهم . واذا حق عليهم الاسف ، فذلك لما عساه ان يخرج من اصلابهم من النابغين النافعين لو ظلوا أحياء

لقد كان جرجي بك زيدان مثالا لكل متطلب للكمال في اعماله واخلاقه وسعيه وصبره وترتيبه واتقانه وهلاله ومؤلفاته وكل تاريخ حياته

ويرى المطلع في مجمل مؤلفاته ومجلته دليل البحث الطويل والتعب والاتقان الى ان اصبح الهلال قدوة لاكثر اصحاب المجلات يقلدونه في ترتيبه ومواضيعه وأصبح اكثر المجلات العربية انتشاراً ، وأعيد طبع اكثر مؤلفاته غير مرة . وقد ساعده على بلوغ

هذه المنزلة — عدا خصاله الطبيعية كالذكاء والذوق — اطلاعه على أهم اللغات العصرية كالانكليزية والافرنسية وبعض الالمانية والتركية ، وأهم اللغات القديمة كالعبرية والسريانية والمصرية القديمة . وساعده ايضاً ضبطه الاوقات ، فلم يكن يضيعها عبثاً بل اتخذ لنفسه دفاتر منظمة يدون فيها ما يقع عليه اثناء البحث والمطالعة في مختلف العلوم التي يعنى بها . واحتواء مكتبته على معظم المؤلفات القديمة والحديثة والتي تطبع في الغرب والشرق في مسائل التاريخ الاسلامي وآداب اللغة . وقرب المكتبة الخديوية الواسعه منه وسهولة التناول من بعض المكتبات الخصوصية في مصر . ورحلاته المتتابعة في كل عام الى اوربا وعواصم الممالك . ومن يطلع على آخر مؤلفاته « تاريخ آداب اللغة العربية » يتبين تأثير هذه الاسباب وفضلها

وكان منصفاً في احكامه فتظهر في اقواله آثار التروي والتبصر وحسن النية . ولكن لم يسلم مع ذلك من انتقادات المنتقدين وزراية المزرين الذين كانوا يشددون في انتقاداتهم لكتبه عند ظهورها وتشتم رائحة الوقيعة والحسد من اقوالهم ، فكان لا يهتم بهم ولا ينصب نفسه للرد الا على المخلصين منهم شأن الرجل العاقل . اما نحن فلم نرَ في كتبه الا ما يحق ان تشكره عليه الامة العربية عامة والمسلمون خاصة . واذا كانت هناك بضع هفوات فليس لسوء النية دخل فيها . وما قاله في الجزء الاول من كتاب « تاريخ التمدن الاسلامي » عند بحثه في دعوة صاحب الشريعة الاسلامية وهل هي صادقة ، مما لا يقول اكثر منه احد اتباع هذه الشريعة المنصفين لو كان في مثل موقفه

وقالت مجلة فتاة الشرق

ابى القدر الا ان تبدو فتاة الشرق في عامها التاسع متشحة بالسواد حزناً على الصديق العزيز والرصيف الكريم المرحوم جرجي زيدان ، من فقدت لغة العرب بفقده ركناً من اعظم اركانها ومؤرخاً من اكبر مؤرخيها وروائياً من اشهر روائييها . فقد وقع علينا خبر وفاته وقوع الصاعقة او اشد ، وكذلك كان وقعه على سائر الامة العربية التي خدمها بعلمه واختباره وضحى بحياته الثمينة في سبيل فائدتها ولا بدع فقد كان ممتلئاً قوة ونشاطاً وكنا نرجو زيادة الفائدة من معارفه الواسعة واختباراته الجمة واذا بسيف البين قد فاجأنا بقطع تلك الآمال وحرماننا ما كنا نرجوه من الفوائد . فنحن ان رثيناه تعداد ما يملأ مؤلفاته النفيسة من كلمات لا نفيه حقه من الرثاء . وان بكيناه بقدر ما سال من قلمه قطرات لا نفي حق قلوبنا من الحزن عليه

وقالت مجلة الجنس اللطيف

مات جرجي بك زيدان . مات المؤرخ الشهير . مات الصحافي القدير . مات الزوج الصالح . مات الاب الحكيم . مات جميع هؤلاء . فما اهول كارثتنا . ولئن مات فقد مات من قبله المرسلون والنبيون والنوابغ . واضمحلت امم افنى الردى اعزاءها . وأباد عظماءها . واننا نبكي راحلا لا شك في اننا سوف نرحل من بعده تباعاً . وليس الخلود للبشر . فما هي هذه الدموع اذا ؟ أهي ذخر الاسلاف يبذله في سبيلهم الاخلاف . أم وديعتهم أخذت منهم وتعاد اليهم . كلا . وانما هي قطرات النفس التواقة التي توارت مع المتواري . لا . انما نبكي ما كنا نستفيده من اخلاقه وهمته وعزمه وثباته ورأيه وعلمه . نبكي ما خسرناه من عمله . نبكي ما ألفناه في وجوده من الانس . نبكي جميع هذا الذي اجتمع في شخصه الواحد . ولكن حمداً لفضله الذي أبقى لنا آثاراً تخفف آلامنا . آثاراً سوف تكون أبقى على الزمن الباقي من الزمن . آثاراً سوف تزداد جلاء ورسوخاً بمرور الايام وسيذكرها له تاريخ الوجود . آثاراً تعلمنا كيف يظفر القلب الرئباني في معترك الحياة . وكيف تستعصي النفس الكبيرة على الصعائب . وكيف يستخدم الفكر الصحيح والنظر الثاقب والرأي السديد جميع الشدائد والمصاعب ليصيرها من عوامل مجده وعظمته . هذه هي آثاره ترينا صفحة منيرة . برّ بنفسه . برّ بابنائه . برّ بعمله . برّ بامته الشرقية قاطبة . برّ بواجبه وبرّ بالحقيقة . فاحب جميع هاتيك . وثابر على حبه الى آخر لحظة من حياته . مات بعد ان تنفس تنفس الراحة . واذ ختم بكلمته الاخيرة آخر ملزمة في آخر كتبه . . هذه هي حياته تهدينا وترشدنا وتعلمنا الدروس التي يجب ان تغتذي بها حياتنا العقلية فتوجد بها قوة تحثها على طلب اقصى ما يمكن نيله من الكمال الانساني هذه هي الدروس التي يجب ان نعلم ابنائنا الترنم بها ونضع بين شفاههم الصغيرة رنات هيبتها الموسيقية الساحرة ومتى فعلنا ذلك فقدقنا بحق معلمنا العظيم وقمنا بواجب نحو الذي أخلص في واجبه نحونا

وقالت مجلة المفتاح

فقدت مصر الاسيفة نابغة من نوابغ علمائها الاجلاء وخيرة كتابها وصحافييها الفضلاء وهو المرحوم المأسوف عليه جرجي بك زيدان منشىء مجلة الهلال الغراء وصاحب المؤلفات التاريخية النفيسة والروايات الادبية والمباحث الاجتماعية الجليلة

وقد اشتهر الفقيد رحمه الله بدماثة الاخلاق والرقة المتناهية والاخلاق السامية والمبادىء الشريفة . قضى هذه المدة الطويلة في خدمة الصحافة المصرية بلا جلبه ولا صياح كما هو شأن الادعياء والمتهوسين وطالما تصدى له كثيرون ممن لا خلاق لهم فأخذوا يوسعونه انتقاداً وتشهيراً ويتعمدون الحط من كرامته وتقليل قيمة مجهوداته العلمية ومؤلفاته النافعة ولكنه كان لا يبالي بهذه الجعجعة ولا يعيرها جانب الالتفات واذا اراد رد فرية او اظهار حقيقة استعمل منتهى الرزانة والتؤدة في كل كتاباته ونال الغلبة والفوز على خصومه في ميدان المناظرة والجدال وشهد له الخاص والعام بقوة الحجة وشدة العارضة مع التأدب ومراعاة شروط المناظرة وكانت علاقته مع جميع زملائه ورصفائه من الصحافيين لا يشوبها ادنى تعكير ولذلك أسف الكل على فقده واظهروا من الحزن والاسى في رثائه وتأبينه ما هو جدير به

وقالت مجلة العرفان (صيدا)

نعت انباء مصر المؤرخ الكبير العالم العامل جرجي زيدان اعظم رجل عربي في هذا العصر نفع بعلمه ومباحثه وانتفع . اجل مات صاحب الهلال وتاريخ التمدن الاسلامي وتاريخ العرب قبل الاسلام وتاريخ آداب اللغة العربية ومشاهير الشرق وسلسلة الروايات الاسلامية وغيرها فماتت معه الهمة الشماء ومات الجد والاجتهاد والتعقل والسداد فجدير بنا ترديد قول حبيب

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

مات في اواخر شهر شعبان فجأة عن عمر لم يجاوز الثلاثة والخمسين ربيعا عوض الامة العربية جمعاء عن فقده خيرا

وقالت مجلة الكرمة (سان باولو . البرازيل)

نعى الينا البرق بواسطة « اميركا » الغراء وفاة رجل الجد والعمل محيي الاداب الشرقية ومؤرخ الامة العربية الروائي الشهير جرجي بك زيدان

رحمه الله رحمة واسعة وعزّى آله عزاء جميلاً . وقد ارتجل مدير شؤون الكرمة اذ اتاه النعي الابيات التالية : —

مضى لسبيله زيدان مصر فناح النيل واضطرب الفرات
بكى التاريخ من قد كان ركناً تحبّذ قوله القوم الثقات
هلال الشرق اظلم بعد جرجي واهل العلم بالاحزان باتوا

وقالت مجلة البيان (مصر)

وقد كان جرجي بك زيدان بجده ونشاطه قدوة يحتذى بها وبحسبه ان قد سود نفسه بنفسه وان الايام لا تنجب من امثاله كثيراً

---

obeikandl.com

مختارات من الجرائد

نكرر هنا ما قلناه في باب مختارات المجلات من انه لا يسعنا نشر كل ما جاء في الجرائد لا سيما وانه يتعذر علينا الحصول عليها جميعاً فنكتفي بقول مختارة

١ – الجرائد المصرية

نشرت جريدة المؤيد المقالة الآتية

بقلم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي

لا اعلم اين تذهب نفس الانسان بعد موته . ولا اين مكانها الذي تستقر فيه بعد فراق جسدها . ولا ما هي الصلة التي تبقى بين المرء والحياة الدنيا بعد رحيله عنها . فان كان صحيحاً ما يقولون من ان ساكن القبور يستطيع ان يجد ما بين صخورها ورجامها منفذاً يشرف منه على هذه الدار فيسره ما ترك وراءه فيها من ذكر جميل وثناء عاطر وسيرة صالحة ومجد باق فان نصيب جرجي زيدان اليوم من الهناء والغبطة بما ترك في هذه الحياة من جليل الآثار وصالح الاعمال أوفر الأنصبة واوفاها

ما انعم الله على عبده نعمة اسنى قيمة ولا اغلى جوهراً ولا احسن أثراً من نعمة اعتقاد الجزاء الصالح على العمل الطيب . فهو يعتقد انه مجزيٌّ على عمله مكافأ به مؤمناً كان أو ملحداً . معترفاً بنعيم الآخرة أو منكراً اياه . فان كان الاول ساقه الى العمل الصالح شغفه بجنة الخلد وحورها وولدانها . ولؤلؤها ومرجانها . وروحها وريحانها . وان كان الثاني ساقه اليه شغفه بالذكر الجميل . والسيرة الصالحة . والحياة الباقية في ألسنة الاجيال وبطون التواريخ . ولولا هاتان الجنتان جنة المؤمنين وجنة الملحدين . ماجد في هذه الحياة جاد ولا عمل فيها عامل

ان ميدان الحياة الدنيا أضيق من ان يسع بين غايتيه العمل الصالح والجزاء عليه معاً . وكيف يسعهما جميعاً والمرء لا يكاد يفرغ في حياته من عمله الذي يتوقع عليه الجزاء حتى تنطفىء ذبالة حياته . أو تحترق فحمة شبابه . حيث تموت في قلبه لذة العظمة وتنضب في

فؤاده شهوة المجد . فان فرغ منه قبل ذلك لا يترك له حساده ومنافسوه ساعة من ساعات فراغه يستطيع ان يسكن فيها الى نفسه ليستشعر برد الراحة ولذة الجزاء . فلا بد ان يكون للجزاء حياة اخرى غير هذه الحياة . اما حياة الاجر . او حياة الذكر

مات جرجي زيدان فنحن نبكيه جميعاً . أما هو فانه يبتسم لبكائنا ويرى في تفجعنا عليه والتياعنا لفراقه منظراً من اجمل المناظر وابهاها . لانه يعلم ان هذه الدموع التي ترسلها اجفاننا وراء نعشه أو تسكبها فوق ضريحه انما هي السنة ناطقة بحبه واعظامه والاعتراف بفضله والثناء على عمله . وانها المداد الالهي النوراني الذي نكتب به في صفحة تاريخه الابيض آيات مجده الخالد وعظمته الباقية وذلك ما كان يريد ان يكون

مات جرجي زيدان فبكاه صديقه لانه كان يحمد وده واخاءه . وبكاه جليسه لانه كان يجد في جواره لذة الانس وجمال العشرة . وبكاه معتفيه لانه كان غنيا بماله . وبكاه صنيعته لانه كان يعيش بجاهه . وبكاه قارىء كتبه لانه كان يجد فيها من غزارة المادة وجمال الاسلوب وسهولة التناول ما لا يجد في غيرها . وبكاه قارىء رواياته لانه كان يجد في خيالها وجمال تصوراتها عوناً على هموم الحياة وارزائها . اما انا فبكيته لامر فوق هذا كله

تطلع الشمس في كل صباح من مشرقها على هذه الكائنات ناطقها وصامتها . حيها وميتها . جامدها وسائلها . فتستمد منها كل مادة حياتها التي تقومها . أو صورتها التي تتشكل بها . وتأخذ منها النباتات نماءها . والازهار الوانها . والنار حرارتها . والاجسام صورتها . والاجواء طهارتها ونقاءها . والافاق جمالها وبهاءها . وكذلك كان جرجي زيدان في سماء هذا البلد

كان بطلا من ابطال الجد والعمل والهمة والنشاط . يكتب احسن المجلات ويؤلف أفضل الكتب وينشىء اجمل الروايات ويناقش ويناضل ويبحث وينقب ويستنتج ويستنبط ويجيب السائل ويفيد الطالب في آن واحد لا يشغله شأن من تلك الشؤون عن شأن غيره ولا يشكو مللا ولا ضجراً ولا يحس بخور ولا فتور . فكان القدوة الحسنة بين فريق المستنيرين من المصريين يتعلمون منه ان قليلا من العلم يتعهده صاحبه بالتربية والتنمية ثم يقوم على نشره واذاعته بين الناس انفع له ولامته من العلم الكثير والعمل القليل . ولو شئت ان أقول لقلت ان جرجي زيدان كان رئيس البعثة العلمية السورية التي وفدت الى مصر في اواخر القرن الماضي فغيرت وجه العالم المصري تغييراً كلياً وغرست في صحرائه القاحلة المجدبة أغراس الجد والعمل والشجاعة والاقدام والهمة

والاستقلال وعلمت ابناءه كيف يؤلفون ويترجمون وينشئون الجرائد والمجلات وكيف يتخذون من هذا العمل الشريف صناعة يقومون بها حياتهم المادية وحياة امتهم الادبية ويتقون بها مذلة الوقوف على أبواب الدواوين صباح مساء يتكففون رؤساءها ويسألونهم ان يتخذوهم عبيداً لهم يخدمونهم على موائد عزهم وسعادتهم التي يجلسون عليها فاما عطفوا عليهم فالقوا اليهم بالفزر الخسيس من فتات تلك الموائد واما طردوهم عنها طرد الكلاب الجرباء

وكان شريف النفس بعيد الهمة متجملا بصفات المؤرخ الحقيقي الذي لا يتعصب ولا يتحيز ولا يداهن ولا يجامل ولا يترك لعقيدته الشخصية مجالا للعبث بجوهر التاريخ وحقائقه . فكتب وهو المسيحي الارثوذكسي تاريخ الاسلام في كتبه ورواياته كتابة العالم المحقق الذي لا يكتم الحسنة اذا رآها ولا يشمت بالسيئة اذا عثر بها فاجتمع بين يديه في مجلس علمه من ابناء الامة الاسلامية خاصتها وعامتها عربها وعجمها جمع لم يجلس مثله بين يدي عالم من علماء الاسلام ولا مؤرخ من مؤرخيه في هذا العصر . فاقام بهذا العمل العظيم لهذا الدين القويم حجته أمام اولئك الذين لا يثقون في خبر من أخباره ولا في بحث من ابحاثه بحديث شيعته وأبنائه . وكان في تسامحه هذا القدوة الصالحة للمؤرخ يتعلم منه كيف يكتب التاريخ بلسان التاريخ لا بلسان الدين والمثل الاعلى للعالم يتعلم منه كيف يستطيع ان يتجرد من عواطفه وميول نفسه وخواطر قلبه أمام الامانة للعلم والوفاء بحقه

وكان مستقيما في عمله أميناً في علائقه لا يكذب ولا يتلون ولا يخيس بعهده ولا ينكث بوعده ولا يكسو بضاعته لونا غير لونها ليزخرفها على الناس ويجملها في عيونهم فتعلم منه العاملون ان الكذب في المعاملة ليس شرطاً من شروط الربح ولا سبباً من اسباب النجاح

وكان واسع الصدر فسيح رقعة الحلم وقف له في طريق حياته كما وقف لغيره من قبله ومن بعده فريق المقاطعين في هذا البلد الذين لا ينطقون ولا يسكتون عن مقاطعة الناطقين . فلبسوا ثوب الانتقاد ليشتموه . وكمنوا وراء اكمة الدين ليرموه فيصموه . وقالوا انه شوه وجه التاريخ الاسلامي وعبث بحقائقه ولم يسألوه من اين نقل ولا كيف استند بل سألوه لمَ لم يكتب كما كتبوا ولم يستنتج مثل ما استنتجوا . كأنما لم يكفهم منه ان يروه بينهم مسيحياً متسامحاً حتى ارادوا منه ان يكون مسلماً متعصباً يكتب التاريخ بلسان الدين كما يكتبون . ويهيج فيه كما يهيجون . فلم يجدوه حيث ارادوا فرموه

بسوء القصد في عمله . وخبث النية في مذهبه . ولم يستطيعوا ان يروضوا أنفسهم الجامحة على ان يقولوا ان الرجل باحث مستنتج يخطيء مرة ويصيب اخرى او يقولوا ان له في تاريخ الاسلام حسنات تصغر بجانبها سيئاته فيه فلنغتفر هذه لتلك . وعندي ان احداً منهم ما كان يعتقد شيئاً مما يقول ولكنهم كانوا يرون ان الدين سلعة تباع وتشرى وان سلعته ملك لهم ووقف عليهم لا يجب ان تعرض في حانوت غير حوانيتهم وظنوا ان الرجل تاجر مثلهم يريد ان يفتح بجانب حوانيتهم الحانوت التي يخافونها فاستوحشوا منه وانكروا مكانه واستثقلوا ظله . وقالوا مرة انه مسيحي لا يؤمن على الاسلام ولا على تاريخه كانما ظنوا انه ينقل حوادث التاريخ ووقائعه عن العهد القديم أو العهد الجديد . وقالوا اخرى انه سوري دخيل وفد هذا البلد مسترزقاً أو متجراً فما هو بمخلص ولا بامين . وفاتهم عفا الله عنهم انه ان كان ضيفاً فليس من أدب الضيافة ولا من خلال المروءة والكرم ان يمن المضيف على ضيفه بيده عنده وان يعد عليه لقيماته التي يطعمها على مائدته كلما جلس معه عليها . وان كان تاجراً فقد باعهم بهذا النزر الخسيس من متاع الدنيا وزخرفها جوهر عقله وينبوع ذكائه ومادة حياته فما كانوا من الخاسرين . ولا كان من الرابحين

ووالله ما أدري كيف تتسع صدورهم للخمار واللص والقواد الاجانب ان يفتح كل منهم في كل موطئ قدم من مدنهم وقراهم حانة يسلب فيها عقولهم أو مقمراً يسرق فيه أموالهم أو ماخوراً يهتك فيه أعراضهم فلا يطاردونه ولا يحاربونه ولا يسمونه دخيلا ولا واغلا . ثم يضيقون ذرعاً بالعالم المهاجر ينزل بارضهم نزول الديمة الوطفاء بالصحراء المحرقة فيعلمهم العلم ويهذب نفوس ابنائهم ويثقف عقول نابتتهم ويبعث في نفوس ضعاف العزائم منهم روح الهمة والنشاط والشجاعة والاقدام

ذلك هو شقاء الامم وهذا جواب السائلين عن اسباب سقوطها وانحطاطها

لم يضق الرجل ذرعاً بهذا كله بل كان شأنه معهم ان كان يعتب عليهم ولا يشتمهم . وينبههم الى أدب المناظرة وواجباتها ولا يؤنبهم . ويدعوهم الى اتخاذ كلمة الحق سواء بينه وبينهم ولا يمكر بهم . حتى انقلب عنهم يحمل في يده لواء الفضيلة والحلم وان كان مخطئاً . وانقلبوا عنه يحملون فوق رؤوسهم رذيلة التعصب والجهل وسوء الخلق وضيق العطن وان كانوا مصيبين

ولقد وضع بخطته هذه في مناظرة خصومه ومجادلتهم أول حجر في بناء الاخلاق الفاضلة في هذه الامة فتعلم منه كثير من ادباء هذا البلد وعلمائه كيف يستطيعون ان يتناظروا ولا يتشاتموا . وان يتعاونوا على الحقيقة المبهمة فيكشفوا الغطاء عن وجهها دون

ان يريقوا في معاركهم قطرة واحدة من دم الفضيلة والشرف . فان تم لهذه الامة في مستقبل حياتها حظها من شرف الاخلاق وعلو الهمة ونبالة المقصد في جميع شؤونها واغراضها فلتذكر دائماً ان جرجي زيدان احد الذين اسسوا في ارضها هذه الدولة الفاضلة دولة الاداب والاخلاق

نحن لا نعوزنا المؤلفات ولا المترجمات فالمؤلفون والمترجمون والحمد لله كثير وانما الذي يعوزنا روح عالية تحفق في سماء هذه الامة خفوق النجم الزاهر في سمائه وتشرق في نفوس ابنائها اشراق الشمس في دارتها فتبعث العزيمة في نفس الضعيف والهمة في قلب العاجز والشجاعة في فؤاد الجبان . وتقوم من الاخلاق معوجها وتصلح من الاداب فاسدها وتثبت من العقول مضطربها . وتعلم كل صغير وكبير وقوى وضعيف ان قيمة المرء في حياته أداء واجبه للانسانية أولا ولامته ثانياً ولنفسه اخيراً. وان الحب سعادة الانسان والبغض شقاؤه وبلاؤه . وان الفرق بين الدين الخالص والدين المشوب ان الاول يتسع صدره لكل شيء حتى لمخالفيه ومحاربيه . والثاني يضيق صدره بكل شيء حتى بنفسه . وان الله تعالى اوسع رحمة واعلى حكمة من ان يسد في وجوه عباده كل طريق للوصول اليه الا طريق السيف والنار . وان هذه الاضغان الدينية التي تلتهب في صدور الناس التهاباً لا تؤججها في صدورهم الاديان بل رؤساء الاديان الذين يتجرون بها في اسواق الغباوة والجهل . وان الذين يقدسون هذه الاحقاد ويباركونها ويعتبرونها جزءاً من ماهية الدين ومقوماً من مقوماته انما يقولون من حيث لا يشعرون — ان الالحاد في العالم والفوضى الدينية فيه وعبادة الشمس والقمر والتراب والحجر أنفع للمجتمع الانساني وأحسن عليه عائدة من عبادة الاله المعبود

ولقد كان جرجي زيدان روحاً من تلك الارواح العالية تمنيناها برهة من الزمان حتى وجدناها فلم ننعم بها الا قليلا ثم فقدناها احوج ما كنا اليها . فذلك ما يبكينا عليه ويحزننا على فراقه

وقالت جريدة الاهرام

استيقظت العاصمة يوم امس على نبأ مروع ، وخبر مفجع ، دوى دوي الرعد في جوانبها فوجفت النفوس لهوله . وأبى الناس لاول وهلة تصديق هذا النعي قائلين هل هوى حقيقة ، ذلك الطود الراسخ ، وهل مات جرجي زيدان ، هذا الرجل الذي كان امس مساء ممتلئاً صحة وعافية وعزماً ونشاطاً

نعم مات صاحب الهلال ، وانقصف ذلك القلم الحديدي الذي ملأ الطروس علماً ، وبحثاً ، وتدقيقاً وتنقيباً ، وجفت تلك الدواة التي سيبيض التاريخ صحيفة صاحبها كما بيض صاحبها صحائف التاريخ بقطرات مدادها السود

رقد صاحب الهلال اول الليلة البارحة على احسن ما يكون من الصحة والعافية . رقد وهو لا يعلم انه سوف لا يفتح تينك الباصرتين النيرتين ولا يطلع نور الصباح على نور ذكائه وبعد ان استسلمت عيناه للكرى دقائق معدودة غط في نومه غطيطاً شديداً فاستيقظ مذعوراً ثم عاد فاستسلم لنعاسه فغط غطيطاً اشد من الاول واسلم الروح . فاستيقظ اهله على هذا الصوت الشديد غير انهم ادركوه جثة باردة لا حراك بها وكان صاحب الهلال قد دخل في صفحات التاريخ

لا نود كتابة تاريخ هذا الرجل في هذه السطور وهو اكبر كاتب عانى المواضيع التاريخية ولكنا نقول لو قاس المؤرخون غداً عمره على آثاره لاعتقدوا ان صاحب الهلال بلغ المائة سنة من سنيه وهو لم يتجاوز نصف هذه المرحلة من العمر . فاذا عد العاملون غداً وجب ان يكون فقيد اللغة اليوم في مقدمتهم ذكراً . واذا فاخرت الامم بالمبدعين من رجالها وجب ان يكون هذا الفقيد العزيز ارفعهم قدراً . فهو ان لم يترك اسلوباً انشائياً خاصاً به فقد ترك اسلوباً روائياً تاريخياً لم يسبقه اليه سابق ولم يلحق غباره فيه الى اليوم لاحق . فصاحب الهلال كان ولا يزال وسيظل الى زمن بعيد وحيداً في مثاله

عاش الفقيد خمساً وثلاثين سنة في مصر قريباً الى القلوب بعيداً عن الشحناء ، صديقاً اذا ذكر الصديق بالوفاء ، مخلصاً ، صادقاً ، وضيعاً ، لطيف المعشر ، حلو الحديث ، برصعه بالنكات ، وقد رحل اليوم عن دنياه مشيعاً باحسن ما يشيع به الراحل ، بدموع الاهل والابناء ، وحسرات الاخوة والاصدقاء ، وثناء الكاتب الفاضل

وقالت جريدة المقطم

فوجئنا امس صباحاً بنعي العالم الفاضل والكاتب النحرير المرحوم جرجي بك زيدان صاحب مجلة الهلال الغراء ومؤسسها ومنشئها واقاه القدر المحتوم بغتة في الليل ولم يكن يشكو علة ولا اصيب بمرض واسرع الاطباء اليه فما دفعوا مقدوراً ففاضت روحه الى خالقها وانتقل من دار الفناء الى دار البقاء مبكياً عليه مذكوراً بجميل اعماله وجليل مناقبه

وما ذاع نعيه في العاصمة حتى عم الاسف على فقده واقبل الاصدقاء والمحبون

والفضلاء والاعيان والعلماء والادباء على منزله يشاطرون نجليه الاديبين واشقاءه الفضلاء الحزن والاسى على فقده ويرحمون عليه ويذكرون آثاره الادبية والعلمية واخلاقه الحميدة وخدمه الجليلة للعلم والادب والتاريخ وجده ونشاطه وهمته الماضية التي لم تعرف الملل والكلل

كان الفقيد عصامياً اكب على تحصيل العلوم والمعارف والتبحر في الاداب اللغوية ولا سيما تاريخ العرب وآداب لغتهم فاصاب من ذلك حظاً وافراً وله علاوة على مجلته كتب ورسائل وروايات لو اردنا حصرها ما وسعه هذا النعي فقد فجع به هذا القطر وسائر الاقطار العربية وكل مكان انتشرت فيه مجلته وتآليفه فطارت بذلك شهرته وارتفع قدره بين العلماء وانصار الادب ومحبي ارتقاء الشرق وتقدمه

وكان الفقيد عضواً في عدة جمعيات علمية وتاريخية وجغرافية في اوربا وقد ترجم بعض تآليفه الى اللغات الاوربية وكان معروفاً عند العلماء المستشرقين وله عندهم منزلة رفيعة

وقالت جريدة المحروسة

قد قضى جرجي زيدان في ميدان العمل والواجب كما يقضي القائد في ميدان الجهاد ولقد اهتزت اعصاب عالم العلم والادب في مصر لنبأ وفاته . فتكريماً واجلالاً للعامل العامل الذي لا ينكر له فضل على قراء اللغة العربية بما ابرز من آثار علمه وادبه وفضله

سيذكر جرجي زيدان بهلاله الاغر الذي عمم به العلم والادب والتاريخ بين طبقات الشعب وساعد على انارة اذهان قرائه في كل قطر يتكلم اهله اللغة العربية

وسيذكر ايضاً بمؤلفاته العديدة في التاريخ الاسلامي والتاريخ العام والادب والروايات التي الفها وهي تعد بالعشرات ولو اراد كاتب أن ينسخها نسخاً لقطع فيها عمره

وسيذكر ايضاً باخلاقه الرضية وسجاياه الحسان ومعيشته الجدية وصبره العظيم ومثابرته على جمع الفوائد والمعلومات والآثار التي جمعها في مجلته وفي مؤلفاته . وكان صبره وثباته ومثابرته فضيلته الكبرى وسره الاعظم الذي بنى به منزلته العليا في عالم الادب العربي

وسيذكر ايضاً بعصاميته التي يجوز ان تضرب مثلا للناس وتكون قدوة يقتدي بها

الجيل الحاضر ومن يليه . فقد ابتدأ جرجي زيدان من اصغر درجة في سلم الهيئة الاجتماعية وانتهى الى صدر هذه الهيئة - ان كان بعد دست العلم والادب في الشرق صدراً كما في البلاد الاخرى — ولقد نهض باعباء امره منفردا وحده الامساعدة حضرات اشقائه له . واصبح اسمه ملء الافواه في اطراف الكرة الارضية التي يسكنها قراء العربية وكل قارىء منهم تلميذ له بما استفاده من آثاره

يحق للشرق والشرقيين ان يفخروا بقيام رجال منهم يكون هذا تاريخهم وهذا أثرهم ولذلك ينحني كل من كان له حظ معرفة الفقيد الجليل او الاستفادة من علمه وادبه يوم وفاته اكراما واجلالا لنابغة ذهب من بيننا قبل اوانه

وقالت جريدة الشعب

سطت المنية مساء اول امس بعصامي رفعته عصاميته الى مستوى يشرف منه على الناطقين بالضاد وهو المأسوف عليه جرجي زيدان بك صاحب الهلال

وافته منيته على غرة فكان لنعيه رنة اسى في صدور آله وعارفي خلاله وسائر المستفيدين من حياته العلمية الحافلة بالآثار الطيبة واخذوا يتوافدون على منزله زرافات مواسين آله مشاركين اياهم في هذا المصاب الاليم

ولا عجب اذا كان الاسى لفقد فقيد اليوم شاملا لعارفيه فان عهدهم به كاتباً صحافياً ثم مصنفاً روائياً ثم مؤرخاً فمؤلفاً عصريا

كذلك كان جرجي زيدان بك فقد مضى عن عشرين مجلداً من الهلال ونيف وعن نحو هذا العدد من الروايات وما يقرب من مثله من المؤلفات وليس ذلك بالأثر القليل

نشأ زيدان بك نشأة تجعله حقيقاً بالفخر . اذ شب وترعرع وبنفسه نزعة الى العلم وكان واسع الامل ضيق ذات اليد . فأبت عليه عزيمته الا ان يبلغ الغاية التي حدثته بها نفسه فمشى يقطع اليها عقبات كاداء

وكانت حياة الفقيد حياة جد وتنقيب واجتهاد . بدأها مثابراً . وتوسطها مثابراً . وكان في جميع حياته العلمية مثالا للصبر والثبات

وقالت جريدة الافكار

سمعنا اول امس نعي جرجي زيدان فعلت وجوهنا كآبة الحزن والاسى وتحدرت

من عيوننا عبرات ساخنة وعقد الهم السنتنا فكدنا لا نطق لهول ذلك المصاب الاليم

ما سمع بموت ذلك الرجل عارفو فضله ومقدرو قدره الا وقد عرتهم دهشة . دهشة من لا يريد التصديق او من يكبر الرجل عن الموت — نستغفر الله — بل من يرى في اجله فسحة وفي حياته حياة عقول وافكار

كان جرجي زيدان من رجال العلم الذين لا يعرفون غير العمل اكبرته همته واجله علمه حتى ارتفع قدره وعلا ذكره واصبحت مؤلفاته التي هي ضياء ونور لعقول كثيرين من الناطقين بالضاد تربو على المائة

لبث الرجل يعمل بعيداً عن معترك السياسة لم يلق بنفسه في مزدحمها ولم ينتصر لفريق دون فريق فكان محبباً الى الجميع مرموقاً بعين الاكبار والاجلال سواء من عرفه ومن لم يعرفه فمن لم يشهد خلقه الرضي وادبه الجم ومحاضرته الحلوة اللذيذة شهد علمه وفضله وادبه في مؤلفاته القيمة ومن لم يشهد هذا ولا ذاك فقد سمع بفضله وادبه وجده وكده

وقالت جريدة المؤيد

اغتالت يد المنون ليلة امس فقيد الادب الطيب الاثر جرجي بك زيدان على حين فجأة ، فكان لنعيه رنة حزن واسى في نفوس كل الذين فوجئوا بهذا الخبر ، واخذ الناس يتوافدون على منزله ليواسوا آله ويشاركوهم في مصابهم العظيم . ولا غرو اذا كان الحزن على فقد صاحب مجلة الهلال عاماً وهو الذي انتشر اسمه مع مؤلفاته الكثيرة في كل بلد يقطنها فريق من قراء العربية ، فملأ بها فراغاً كان قراؤنا يتألمون له . وكان بذلك مثال الجد والنشاط من ايام صباه الى ان بلغ الحلقة السادسة من حياته الحافلة بالسعي والعمل . زد على ذلك انه كان عصامياً ، ولم يكن في نبوغه واشتهاره فضل الا لجده الذي كان سنده وعضده الوحيد ، فهو اختار سلوك طريق العلم مندفعاً الى ذلك بسائق فطري من نفسه مع تجرده من كل الوسائل المادية التي كان طلب العلم يستلزمها ، واقدم على انشاء الهلال وليس لديه من وسائله الا العزيمة والنشاط ، وكوّن مركزه الادبي بهذه العدة الادبية وحدها

وقالت جريدة الوطن

تعي الى قراء الوطن رجلاً كبيراً والرجال قليل . وعالماً قديراً . ومؤرخاً محققاً

دقيقاً . وصحافياً كريماً . وكاتباً معدودا شهيرا . خلا من فحول الادب . نعني به الطيب الذكر المغفور له جرجي بك زيدان منشىء ومحرر مجلة الهلال الغراء وصاحب المؤلفات التاريخية التي يخطئها العد الان . جاءنا خبر انتقاله هذا الصباح فاكبرنا الرزء فيه واستعظمنا المصيبة وأجللنا الفاجعة به . وسيكون وقع هذا الخبر -- ليس في مصر فقط — بل في كل بلاد المشرق . وبين جميع الاقوام الشرقية اسلامية كانت أو مسيحية أو وثنية او اسرائيلية . فان الرجل خدم الشرق بنوع عام والاسلام بنوع خاص خدمة لو عرف الشرقيون قدرها لاقاموا له في كل بلد تمثالاً

وقالت جريدة مصر

فوجئنا صباح اليوم بنعي صاحب الهلال العالم المؤرخ الكبير جرجي بك زيدان اغتاله الردى اغتيالا ففجع فيه الادب والعلم ومكارم الاخلاق وانتشر خبر وفاته في اطراف المدينة فكانت له رنة اسى ترددت في كل مكان لان الرجل نابغة وقف حياته على خدمة الهيئة الاجتماعية بما وهبه الله من ذكاء وسعة الاطلاع وقدرته على البحث واستخلاص الحقائق من مظانها بصبر جميل وتودة . فوفاته مصاب الم بجميع الطوائف على اختلاف المذاهب والاديان

مات جرجي بك زيدان فانقطعت سلسلة مؤلفاته الجليلة وفقد طلاب علم التاريخ اعذب منهل يبل الاوام وانهدم ركن المعارف المكين

فليس المصاب بفقد هذا العالم مصاب اسرة او بلد او امة بل مصاب العلم في جميع الاقطار عند جميع الامم التي ترجمت كتبه الى لغاتها

رحم الله الفقيد رحمة واسعة والهم ولده الفاضل واسرته الكريمة وجميع المستفيدين من فيض علمه الواسع في انحاء الشرق الصبر والعزاء

وقالت جريدة البصير

فوجئنا صباح اليوم بخبر تصدعت له القلوب وعز علينا سماعه كما شق علينا وقعه . فقد ورد نبأ برقي من القاهرة ينعي رجل الادب الكبير والعالم التاريخي المدقق المرحوم جرجي بك زيدان صاحب مجلة الهلال المعروفة في مشارق الارض ومغاربها

توفاه الله فجأة في صبيحة اليوم وهو لم يشعر من قبل باقل مرض او توعك مزاج فاجاب دعوة ربه مبكياً عليه

أجل ان الصحافة فجعت بموته فاجعة عظيمة وخسرت قطباً من اقطابها المعدودة وفقدت الاداب ركناً من اركانها المتينة واضاع التاريخ بحاثاً دقيقاً ومؤرخاً ضليعاً جدد للتاريخ القديم عهداً حتى بات ثقة المؤرخين والباحثين . اشهر رحمه الله بنشاطه وجده واجتهاده واستقامته فبلغ بها شأواً قل ان يجاريه فيه غيره وعرف بدماثة اخلاقه ولين عريكته وحسن سريرته وطيب سجاياه وعلو همته وعلمه ورحابة صدره في المناظرات وسعة معارفه في المباحث وبعد نظره في الامور والمشكلات وتفوقه بعلم التاريخ فاصبح مصدراً يرجع اليه في الخلاف وموردا عذباً يقصده طلاب الحقيقة من كل صوب

هذا فقيدنا اليوم وهو عزيز رفيع تبكيه العلوم والآداب وترثيه الفضائل والاخلاق وتنعيه الصحافة العربية الى الشرق كله ولا ريب في ان وفاته احدثت بيننا فراغاً يعسر سده واثارت في نفوس عارفيه كوامن حزن يصعب تلافيها رحمه الله رحمة واسعة وتغمده برضوانه

وقالت جريدة المشرق (مصر)

مات جرجي زيدان ، فوارحمتاه . فلو كان لآثار المرء النافعة شفاعة لدى القضاء المحتوم لكان الهلال وحده نعم الشفيع لخلوده فكيف وآثار جرجي بك غير الهلال تعد بالعشرات

أنشأ الفقيد نفسه وكان لاسرته عماداً فهو عصامي ان لم يكن اكبر من عصامي ولو كتب تاريخ حياته مفصلا لكان نعم الدرس لمن يريد ان يكون رجلا

وكما ان حياته كانت مملوءة بالعجائب فكذلك كان موته فلقد مات على صحة تامة وهو في نومه

فني ذمة الله ايها الفقيد . ولاسرتك والمعجبين بك العزاء

وقالت جريدة العمران

بلى فوجىء المصريون في صباح الاربعاء ٢٢ يوليو بوفاة حجة التاريخ العلامة المفرد الاستاذ المرحوم جرجي بك زيدان صاحب مجلة الهلال والمؤلفات العظيمة التي جعلته

رحمه الله بمصاف اكبر العلماء ليس في الشرق وحده بل في العالم اجمع . باغته المنية بغير سابق مرض فقضى رحمه الله تعالى مبقياً بعده فراغاً لا يملا بزمان قصير ويضيق المقام دون استيعاب فضله والجولان في تبيان المنزلة العالية من العلم والمجد التي اوجدها لنفسه بنفسه على ضيق يد وعوادي الزمان فهو عصامي بكل المعنى ويجب ان يكون خير مثال لمن يريد ان يبلغ مرتبة المجد بالجهد والاعتماد على النفس . وانا لواثقون ان منعاه سينتقض انقضاض الصاعقة في العالم العربي كما انقض في مصر فيشترك العرب عموماً بالحزن عليه اشتراكهم بالاقرار بفضله

وقالت الجريدة

نعي الينا والجريدة ماثلة للطبع العالم المؤرخ الشهير المأسوف عليه جرجي بك زيدان منشىء مجلة الهلال وصاحب المؤلفات العديدة في الادب والتاريخ . فشق نعيه على كل عارف بفضله وعلمه واكبر هذا المصاب الذي حل بالادب وآله قبل ان حل بآل الفقيد الكريم

وقالت جريدة وادي النيل

ان هذا النجم الساطع الذي قدم من سوريا قد انارنا نحو ربع قرن وذلك القلم الذي لم يعرف الراحة يستريح اليوم الى الابد فقد كان جرجي زيدان خادماً اميناً للغة العربية والمدنية الاسلامية عزى الله مصر التي استفادت من قلمه وسوريا التي انجبته عن فقده

وقالت جريدة السودان

نعت اخبار مصر وفاة العالم الفذ والتاريخي المحقق والاديب الفاضل الذي رفع مقام امته في عيون الغربيين وكشف للمتأخرين من ابناء وطنه فضل آبائهم المتقدمين وماوصلوا اليه من المدنية والعلم والعرفان الا وهو المرحوم جرجي بك زيدان صاحب مجلة الهلال الغراء والتآليف العديدة التي عني بها مستشرقو الغرب قبل ادباء الشرق

قالت الجورنال دوكير

علمنا هذا الصباح بمزيد الاسف خبر وفاة جرجي بك زيدان الذي اغتالته المنية فجأة من بين ايدي اهله ومحبيه العديدين فخسر السوريون احد اكابر كتابهم وخسرت اللغة العربية كاتباً كبيراً وخادماً اميناً

توفي زيدان وقد ترك وراءه آثاراً تاريخية وادبية عديدة جعلته في مقدمة الكتاب الحاضرين واكثرهم نشاطاً وانتاجاً . . .

وقالت البورص اجبسيان

نعي الينا أمس بمزيد الاسف جرجي بك زيدان صاحب مجلة الهلال الذي احرز شهرة واسعة في جميع الاقطار بصفة كونه عالماً واديباً. وله ما عدا مجلته الواسعة الانتشار كتب وروايات عديدة منها رواية العباسة اخت الرشيد التي ترجمت الى الفرنسوية ونشرت في جريدة الفيغارو الشهيرة . . . .

وقالت البروجره

علمنا بملء الاسف وفاة العالم والكاتب الفاضل جرجي بك زيدان منشىء الهلال وصاحب المؤلفات الكثيرة ومنها ما ترجم الى عدة لغات شرقية وغربية نخص بالذكر منها العباسة اخت الرشيد التي ترجمت الى الفرنسوية . توفي في الثالثة والخمسين من عمره وقد حاز شهرة واسعة وقام باعمال عظيمة لم يسبقه اليها احد . . .

وقالت الاجبشن غازت

. . . وهو الكاتب العربي الوحيد الذي حاز شهرة اوربية

وقالت الاجبشن مايل

يسؤنا ان ننعي الى القراء جرجي زيدان بك الذي قدم الى هذه الديار منذ اكثر من ربع قرن فانشأ مجلته الشهيرة التي حازت انتشاراً عظيماً واصدر فضلاً عن مجلته

كتباً عديدة مختلفة . وقد كان معروفاً بانه اكبر ثقة بين المعاصرين فيما يختص باداب العرب ومدنيتهم وقد ترجمت بعض كتبه الى اللغات الاوربية

توفي في الثالثة والخمسين من عمره ولكن الذي يطالع كتبه لا يقدر له الا ضعف هذا العمر

وقد كان له مركز فريد بين كتاب العربية فانه تبحر في آداب العرب وتاريخهم تبحراً جعله في مقام ممتاز عند جميع المشتغلين في هذه المواضيع في الشرق والغرب

وقالت جريدة جهره نما الفارسية (مصر)

حكم المنية في البرية جار ما هذه الدنيا بدار قرار

قد ضاءت شمس العلم والادب في سماء الفضل والعرفان ضوءاً يتلألأ شعاعه على مشارق الارض ومغاربها مدة خمس وعشرين سنة خفايا الغمام . وذلك النور الساطع قد غاب عن الاعين بمغادرة العالم العامل والمؤرخ الشهير والصديق الصدوق والاديب الاريب الكامل الفاضل جرجي بك زيدان صاحب مجلة الهلال في ليلة ٢٨ شعبان سنة ١٣٣٢ الموافق ٢٢ يوليو سنة ١٩١٤

حقاً ان سماء العلوم والمعارف قد تلبدت بالسحب وضعف بدر الفضل والادب وقل ان ترى الدنيا رجلاً كهذا كاملاً فاضلاً اديباً جمع بين العلم والادب والفضل والنزاهة والجد والاجتهاد

الله اكبر . ما هذا الحادث الغم والكرب فقد تزلزلت اركان العلم والادب . وانهدم ركن ركين من اركان قصر العلم الشاهق بمفاجأة (اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)

٢ــ الجرائد السورية

جاء في جريدة الحارس

بقلم امين افندي الغريّب

مات اصغر شيء في صاحب الهلال

وكما يقف المحرّك في المعمل الحديدي عند ما ينقطع عنه مجرى الكهرباء ، فتبقى مع ذلك دواليب المحل جارية بقوة الاستمرار ، هكذا الحركة المندفعة من صدر هذا الرجل ، في جميع دوائر النهضة الادبية في العالم العربي ، ستبقى جارية الى زمن طويل. ان القوة التي مدَّ بها جرجي بك زيدان آلات هذه النهضة كانت عظيمة الى حد ان وقوفه الان عن العمل لا يستطيع توقيفها معه . والزيت النقي الذي ملأ به قنديل الهلال كاف ليجعل حتى الموت نفسه عاجزاً عن اطفاء نوره الساطع

ان مصيبة العلم بفقده اكبر من ان تقاس بحدود . ان الفراغ الذي يتركه على ذلك الكرسي الصغير في مصر لا يملأه عشرات الرجال من اقطاب الفضل والمعرفة . ان شدة الروع العمومي باختفاء هذا الرجل من بيننا ، بعد ما كان ظاهراً في كل ناد ، تعجزنا الان عن تقدير هول المصاب وضبط مقدار الخسارة . ولكن لم يكن ممكناً بحسب نواميس الكيان ان تطول اكثر من هذا الحد حياةٌ كهذه الحياة ، انتجت كل ساعة منها من الخيرات ، ما تضيق بحصره السنوات

لا لعمري . ان الطمع وحده في ما كان يترتب على بقائه حياً من الفوائد الجمة للعقول يجعلنا نستصغر السن التي مات فيها الان ، استاذنا جرجي بك زيدان

ومع انني في هذه العزلة التامة عن موارد التفتيش لا اجد سبيلاً الى تقرير حقيقة عمره بتمامها الا انني لا ارى في الامر حاجة الى ذلك . فقياس الاعوام التي نحن نعرفها ونتداولها لا ينطبق على الاعوام التي عاشها ذلك البحر الزاخر والجبار العظيم . وكل من قارب هذا الرجل العجيب في اوقات شغله الدائم وجهاده المستمر عاد في كل حين مدهوشاً من كثرة النتائج التي يستطيع الاتيان بها انسان واحد في مثل هذا الوقت القصير

وبعد هذا ما هي قيمة الساعات ، التي تتألف منها ايام هذه الحياة ؟ أهي في العدد

المجرد ، ولا فرق فيه بين ساعات العاقل والجاهل . ام هي في الاعمال والنتائج وعندئذ رب ساعة تقل بجانبها السنون ، وتصغر دونها قيمة الاجيال والقرون

فكم عاش يا ترى جرجي بك زيدان من عشرين عاماً هل فيها الهلال حتى الان ؟

ان التآليف الضخمة التي اكسبته لقب دوماس الشرق . والمواضيع الجمة التي طرقها في كل ما هو تحت الشمس وفوق الشمس . والاراء السديدة التي قوَّم بها في كل منهاج ما رآه من اعوجاج . تدل على ان هذا النابغة قبل بلوغ المرحلة الخامسة من عمره قد مات شبعان من الايام ، باثاره الفخام ، واعماله العظام

على ان الخسارة واقعة لا محال على اهله واصدقائه الخصوصيين المنتشرين في كل نواحي الارض وله بهم علاقة الحبو بالنبات والشمس بالكائنات

فقدوا به صدراً رحيباً كان يسع مصابيهم وهمومهم كلها ويحللها ويعيدها اليهم ظاهرة الفوائد جزيلة المنافع

فقدوا به صدراً رحيباً كان معملاً كيماوياً لا تدخله من افواه المسترشدين غيمةٌ سوداء حتى تعود مشعشعة ببطانة من ذهب

فقدوا به قلباً كبيراً يحيط بالدنيا ويبقى واسعا للمستزيد

فقدوا به تهنئة مجسمة لكل فائز . وسلوة معزية لكل حزين . ومحبا مخلصا لكل قاصد . ورواقا لطيفا لكل مستظل

فعليه السلام من كل هؤلاء يوم عاش ويوم مات ويوم يبعث حيا

وجاء في جريدة المهذب

بقلم خليل افندي سعد

قرأت نعيك ايها الاخ جرجي فلم يصدق قلبي ما قرأته عيني . أعدت القراءة مراراً وكان الرجاء يتبع نظري محدقاً بالكلمات . واخيراً تحققت ان عشير الصبا قد مات . مات فجأة . فاحدث موته رجة رنّت في الاندية والقلوب . اما انا فطارت من روحك شرارة كهربائية بلغت حبة قلبي واذهلت لبي . فقد كنت لي عشيراً فصديقاً فاخاً . فجئت الى القرطاس اسكب عليه لهفي وألمي

اذا كانت روحك ترفرف حولي الآن فاني ازودها قبلة روحية اذ البعد أحرمني القبلة الاخيرة الجسدية

يشق عليَّ يا ساكن الفؤاد ان أمسك القلم مؤبناً بعد ان كان مهنئاً . ولكن من أولى مني ببيان صفاتك الفائقة ، وآدابك الرائعة ، وهمتك الشماء ، وعصاميتك العلياء ، وعلمك الغزير ومعشرك الذي لا تشبع النفس منه ، ولا يرغب القلب عنه

مت يا صديقي الحميم ولكن ذكرك وحبك حياً يرافقاني حتى نلتقي في عالم الارواح . اذكر بموتك حياتك وكيف احييتها بجدك وتوقد ذهنك فافتخر مثلك بعصاميتك . فانت القائد الباسل ارتقيت من بين افراد الجند وسبقت وارثي المجد التالد . ان اسمك بين مشاهير الرجال لخالد

الناس يتباهون بالعظمة والتصدر والدهاء وافتخر انا بسذاجتك في الكلام وباخلاصك في القول . وبصدقك في المعاملة . وبجدك في العمل

اذكرك صديقاً صفياً واخاً وفياً . وكاتباً بارعاً . وروائياً ماهراً . وفي التاريخ بحراً زاخراً

أما آدابك فاين لقلمي المصدوع كقلبي ان يوفيك من الوصف حقك ؟ فيا ليت يدي يراعك الذي اسمعت العالم صريره فملأت الاندية بذكرك والمكاتب بكتبك . وهوذا أصدقاؤك وعارفوك وجلساؤك وقارئوك يعدون جميعاً بالمئات والالوف وجميعهم مثلي يجهرون بكونك قضيت العمر محسناً وما اسأت الى احد . فكنت خير مثال تحتذاه في العمران . فخططت بحياتك آية ذهبية ملخصها — هكذا يجب ان يكون الانسان

ليس هنا محل الاسهاب في بيان تآليفك العديدة ، وتفصيل صفاتك الحميدة ، لان الفاجعة بك ، قد انضبت فيَّ مورد الافكار فلم يبقَ الا ما أملاه قلبي الكليم

مات جرجي زيدان . فهدم بموته ركن عظيم من اركان العمران . وخلف الحسرة لجميع المعارف والخلان فأسأله تعالى ان يسكب العزاء على قلب الزوجة الفاضلة ، والانجال الكرام ويمتعهم بالسلامة والسلام . وفي الختام تقبل انت ايها الراحل الكريم والصديق الحميم قبلة الوداع الروحية من صديقك الحزين

وقالت جريدة لسان الحال

حق لنا في اليوم ان تبكي جرجي زيدان ، حق للصحافة العربية ان ترثي صاحب الهلال ، حق للتاريخ واللغة والفضل ان يلبس السواد حداداً على فقيد عزيز ولوذعي كريم نشأ عصامياً فرفعه حبه لبلاده ونفسه الكبيرة الى مستوى رفيع . فمن من قراء

العربية يجهل اسم صاحب الهلال من العرب الى الهند الى كل بلاد فيها عربي

ان خسارة العربية بفقد صديق البلاد النابغة لاكبر من ان توصف

فاجأتنا اليوم برقية خاصة من القاهرة تنقل الينا الكلمات الاتية :

توفي فجأة في هذه الليلة جرجي زيدان

فاكبرنا الخطب باصابة العربيـة في كبدها بفقد صاحب الهلال ، بفقد مؤلف فتاة غسان و . . . و . . . وغيرها كثير

كل هذه التواريخ جزيلة الفائدة جليلة القدر لو لم يقم جرجي بك زيدان الى اظهارها للعالم العربي لبقيت المكاتب الشرقية خالية منها وليس من يجهل ان وجودها من اكبر اللزوميات

نشأ فقيد سوريا والسوريين بل فقيد مصر والمصريين والعرب والعربية في بيروت ولم تمكنه احواله المالية بادئة بدء من الذهاب الى المدرسة فكان يشتغل نهاره للارتزاق وفي الوقت عينه يكب على الدرس والمطالعة حتى انه لم يدع دقيقة تمر دون ان يستفيد منها فائدة علمية الى ان احرز من العلم جانباً كبيراً فهجر الوطن الى القاهرة حيث انشأ مجلة الهلال وبدأ باعماله المجيدة ثم انشأ مكتبة ومطبعة وواصل ليله مع نهاره بهمة لا تعرف الكلل . ولطالما زاره اصدقاؤه في منتصف الليل وهو مكب على منضدته بين كتبه واوراقه

هذا الذي قبض الموت ليلة امس نفسه المجاهدة التي قضت اعواماً هذا عديدها في خدمة العرب والعربية واسكت قلباً كبيراً طالما خفق حباً بالوطن والوطنية وشل يميناً كانت العضد الاكبر في النهضة الادبية . فاراح الموت ذلك الجسم المضنوك من عناء الاشغال ومشقات التحبير والاعمال

فلا غرو اذا بكى الادباء فقد محي الذين درست آثارهم من مشاهير العرب وباعث شعرائهم وعلمائهم من لحود النسيان

وجاء فيها تحت عنوان : ضحية الاجتهاد

بقلم وديع افندي ابو رزق

لم تتأثر الامة العربية في هذه الاونة الاخيرة بموت احد افرادها كتأثرها لفقد مؤرخها الشهير المرحوم جرجي بك زيدان ويحق لها ان ترثيه وتبكيه لان الفراغ الذي

احدثه بموته سوف يبقى فراغاً الى ان يقوم فينا من يحيي الليالي ساهراً بين المحابر والاقلام مكباً على المطالعة والتأليف مفضلاً الصالح العام على الخاص توصلاً الى غاية شريفة هي النهوض بالامة العربية الى مستوى المدنية الحقة وذرى المجد والفخار

يحق للامة ان تندب وطنياً طالما جد واجتهد في اعلاء شأنها وخدمها عن اخلاص اراه احسن صفة يتصف بها المرء

فاهنأ في قبرك يا جرجي واعلم ان مآثرك تبقى شاهدة على فضلك العظيم ما دامت هذه الدنيا صالحة لسكنى الانسان . وهي في نظري اعظم من الاهرام — مآثر الفراعنة التي تنم عن استبداد مقيميها واما مآثرك فانها انشئت لتهذيب الامة ورقيها

والله لو في هذه الدنيا ما يقال له انصاف لانصفتك الرزايا وتركتك تحيا الى ان تتم عملاً بدأت به عظيماً ولكن هي الطبيعة ما وجد الانسان ليفقه سرها بل ليطيع اوامرها صاغراً

هذه كلماتي ازفها اليك وانت نائم نومتك الابدية في ارض تباهي بوجودك فيها ميتاً كما باهت بوجودك عليها حياً . واني اؤكد لك بان الامة التي خدمتها مدة حياتك لا تضيع لك حقا هو واجب عليها

وقالت جريدة الكرمل

فجع العرب والعربية بفقد جرجي زيدان صاحب مجلة الهلال المشهورة

توفي رحمه الله ليلة الاربعاء الفائت فجأة في مصر عن ثلاثة وخمسين عاماً قضى سني العمل منها منقطعاً على خدمة الامة العربية فشرع منذ ٢٢ عاماً في انشاء مجلة الهلال التاريخية الاجتماعية العلمية الادبية وهي تعد في مصاف ارقى المجلات الاوربية وألف كتباً وروايات عديدة تعد من اجل التآليف العصرية النافعة فخدم العلم والادب واحيا تاريخ أمة العرب . وجميع عارفي فضله يلقبونه بابي التاريخ وهو حري بان يلقب بركن النهضة العربية لان نهوض الامم اول ما يحتاج لاحياء تواريخها وآداب لغاتها

كان فقيدنا عضواً في عدة جمعيات علمية وكان علماء اوربا المستشرقين يقدرونه قدره ويجلون مقامه وقد احتفلوا بتأليفه وترجموا بعضها الى اللغات الافرنجية

ليست الفائدة منحصرة في تآليف فقيدنا العزيز ففي اجتهاده في صبوته وفي حياته العملية خير مثال للشبيبة التي تريد ان تخدم الوطن والامة وتنال شهرة واسعة خالدة

اننا نجد في حياة زيدان خير مثال للرجولية الصحيحة فقد تعلم وعمل كل مدة حياته

لخدمة أمته ولم يلاحظ قط انه استعمل علمه وشهرته ليخدع قومه ويتخذ خديعتهم سلماً لنيل مطامع دنيئة شأن بعض العلماء وكثيرين من الاغنياء والوجهاء فقد عاش الى آخر نسمة من حياته عاملاً شريفاً كريماً فحق لشبيبة العرب ان تقتدي به وتسير في اثره

امثال صاحب الهلال الذين ينكرون ذواتهم في خدمة اوطانهم واقوامهم قليلون حتى في امم الغرب ولذلك يجب على الذين يقدرون العلم والتضحية حق قدرهما في كل مدينة وبلد ان يحيوا حفلات تكريمية لذكر فقيد الامة ويليق بالعرب كلهم ان يقيموا نصباً لهذا العامل الراحل ليس لاحياء ذكره فالنصب الصامت لا يحيي ذكره بقدر ما تحييها تآليفه الحية ولكن حتى يرى الناس ان الامة تعترف بفضل بنيها العاملين فيتشبه بهم المجدون فان تكريم الرجال يوقظ النفوس ويولد رجالا

وقالت جريدة زحلة الفتاة

مات الرجل الذي كانت داره محط رحال الناطقين بالضاد . مات الرجل الذي اقال التاريخ من عثاره . مات الرجل الذي اخرج من على ضفاف النيل الى العالم العربي انفس ما تقوى على اخراجه مخيلة عربي . مات الرجل الذي يقرأ رواياته ومؤلفاته كل ناطق بالضاد . مات صاحب « الهلال » . مات جرجي زيدان

ليس في جزيرة العرب ، وفي كل مكان ينطقون فيه بالضاد من لا يعرف هذا الرجل الكبير

لقد غرق جرجي زيدان في بحر التاريخ بعد ان كان التاريخ نقطة من بحره !

مات جرجي زيدان ولكن الثمار التي انبتها دماغه الكبير لم تدفن معه في التراب . ستبقى يانعة ما بقي في العالم ناطقٌ بالضاد . واذ ما دعيتم ايها الزحليون الى حفلة يُؤبن فيها جرجي زيدان فانما تدعون اليها باسم هذه الثمار التي تحمل في قلبها الخلود ، والتي يجب ان تقابلها برؤوس محنية كاغصانها التي كانت تنوء تحت حملها الثقيل

لقد قضى الفقيد العزيز حياته مكباً على المجلدات الضخمة ، مؤلفاً الروايات التي لا مثيل لها ، مجاهداً في سبيل احياء التاريخ ليل نهار ولم يعبأ بغير الواجب

لقد فقدت به اللغة العربية ركناً قل ان تجد له مثيلا . فمن اين لنا برجل كجرجي زيدان يأتينا بالذي تطيب له النفس ويتغذى به الراس ، ويرتاح اليه الغيور على اللغة . من اين لنا بعد صاحب « الهلال » بمؤرخ كبير ينسج على منواله ! !

وقالت جريدة الحارس

فلئن بكيناه لحق لنا ولئن تركنا ذاك للصبر
فلمثله جرت العيون دماً ولمثله جمدت ولم تجر

العالم الذي يبكيه العلم ، والمؤرخ الذي يندبه التاريخ ، واللغوي الذي تنوح عليه اللغات ، والعصامي الذي ترثيه الهمم الشماء ، ورجل العمل الذي حرمت المحابر جده في النهار وسهره في الليل ، هو ذلك الفرد الكبير الذي فقد الشرق بفقده نابغة من نوابغه وفقدت النهضة العلمية الحديثة في القطرين الشقيقين مؤسساً من اعظم اركانها . هو جرجي زيدان صاحب الهلال وكفى

اذا كانت التماثيل تنصب للرجال العظام فمن احق بها من مؤلف سلسلة روايات تاريخ الاسلام ، وتاريخ التمدن الاسلامي ، وتاريخ مصر الحديث ، وتاريخ الماسونية ، وتاريخ آداب اللغة العربية ، وتاريخ العرب قبل الاسلام ، وتاريخ اللغة العربية ، وعلم الفراسة الحديث ، والسلالات البشرية ، ومجلدات ضخمة عديدة من الهلال حاوية على ألوف من المقالات التي ضن بها غير الهلال

في ليل الثلثاء الماضي عرف الشرق انه خسر رجلاً كبيراً من رجاله نشأ في طبقة تحتاج قبل كل شيء الى الخبز واصبح قبلما تجاوز الثانية والخمسين علماً يشار اليه بالبنان. فليبكه الشرق لانه كان عصامياً علّم الشرق وابناءه كيف تنشأ الازهار بين الاشواك

وقالت جريدة الرأي العام

لم تكن سوريا منتظرة ان يفاجئها نبأ موت أحد ابنائها العاملين وهي في ابان الحاجة الى قوى أولئك الابناء

عالم يموت اثر عالم وهذه البلاد لا تستطيع ان تملأ الفراغ الذي يحل بها

ويبقى الجهلة والقتلة واصحاب الضمائر المائتة يعيثون في البلاد فساداً ويزرعون أرضها ويلاً وشؤماً ، فما اشقانا بين هاتين الحالتين . ترثي اليوم بدماء القلوب عالماً كبيراً ومورخاً عظيما وروائياً جليلا وصحافياً قديراً خدم سوريا وهو بعيد عنها وخدم العرب اجل خدمة . مات جرجي زيدان صاحب الهلال ، فماذا اعدت سوريا من الدموع لذرفها على ضريحه ؟ بل ماذا يعد السوريون من المراثي لهذا الفقيد العظيم ؟

اننا على يقين من ان الوطن السوري باسره قد اهتز لهذه الفاجعة التي لم تكن في الحسبان

رحم الله فقيدنا العلامة واجزل له الثواب يوم الحساب واتاح لهذه الامة رجالا عصاميين يخدمون فينفعون

وقالت جريدة البرق

كبرت مصيبة الادب بفقد اميره ، وذوت غصون التاريخ بعد مجيبه ، ومحق هلال العلم فهو بعد الآن في ظلمة ابدية

ما اعظم الفاجعة بموت جرجي زيدان

عندنا كثير من المنشئين وكثير من المجلات ولكن مثل جرجي زيدان وهلاله نادر الوجود

ما كان أملنا ان نفجع برب الهلال في فوضى التآليف التي نحن فيها ولا خطر لنا في بال ان نفقد محجة التاريخ في زمن نحن فيه احوج الامم الى المدقق المحقق ، العالم العامل ولكنها ارادة الله ولا مرد لحكم الله

لا يحزننا مثل مكاتب الادب قطعت فيها سلسلة معارفه وحرمت من شقيقات تاريخ التمدن الاسلامي ومشاهير الشرق وتاريخ مصر الحديث وآداب اللغة العربية وطبقات الامم الى عشرات الروايات الى مجلدات الهلال وكلها طافحة بالفوائد مزدانة بالحقائق

قليل على سوريا مهما بكت فهو نبتتها ، بل قليل على مصر مهما ندبت فهو نشأتها ، وخليق بالامة العربية ان تلبس الحداد على محيي معالمها وناشر فضائلها

يا رحمة الله على الدفين المكفن بالرضوان الممطور بالمدامع ، المشيَّع باللهف . ففي ذمة الله ورحمة الله

وقالت جريدة المهذب

فقدنا بموت جرجي زيدان خزانة علم وادب وحكمة

فقدنا فيه دماغاً خميراً جمع في طيانه خلاصة ما طواه الدهر من عبر الايام وتواريخ العالم . فجدير بعشاق ادبه وقادري فضله ان يفكروا باقامة تمثال له فلمثله اقام العالم التماثيل ولمثله يجب ان تقام

وجاء فيها من مقالة

بقلم نقولا افندي شحاده

لا اكون مغاليا اذا قلت ان جرجي بك زيدان لم يخاصم احدا قط واذا سعى لمخاصمته كان يقابله بالسعي لمصالحته ومصادقته فاذا توفق لذلك كان غاية متمناه والا فانه يتركه وشأنه — فقد كتب كثيرون ما بين مناظر ومنتقد وكان الفقيد يجيب على نفس الموضوع ويقيم الادلة على ان الصواب بجانبه واذا كان مخطئا في جهة يعترف بغلطه ويصلحه شاكرا فضل الذي نبهه اليه . واما اذا كان المناظر او المنتقد يقصد المماحكة أو المشاتمة كما هي حال اكثر المتناظرين في الشرق فكان الفقيد يبحث في الموضوع فقط مرة واحدة ويعتذر عن الرجوع اليه صيانة لكرامته وضنًّا بوقته عن ان يشغله بما لا فائدة منه

وجاء فيها من رسالة

بقلم داود افندي قربان

ستتمخض اللغة العربية السنين الطوال قبل ان تلد رجلا يملأ الفراغ الذي احدثه موت نابغة الشرق المرحوم جرجي زيدان الذي خدمها اجل الخدم بما وضعه فيها من التاليف الجليلة في العلم والادب والتاريخ . خدم يذكرها له الناطقون بالضاد مدى الزمان فهو وان مات حي بآثاره الكثيرة ومآثره الجليلة . واذا قسنا حياته بعدد السنين التي عاشها حسبناها حياة قصيرة ولكن الحياة لا تقاس بعدد السنين بل بالاعمال الجسيمة والخدم الجلى التي قام بها صاحبها وعلى هذا القياس تكون حياة فقيد العلم والفضل حياة طويلة لانها ملأى بالمفاخر والمآثر وجليل الاعمال

وقالت جريدة الاحوال

كل اديب عربي يعرف الرجل فهو صاحب المؤلفات الضافية المفيدة في اللغة العربية هو محيي التاريخ العربي وآدابه فلا بدع اذا بكى الادب اليوم لفقده
هذا رجل يستحق التمثال والتخليد

وقالت جريدة البلاغ

حمل الينا البرق نبأ وفاة العلامة المؤرخ الشهير جرجي بك زيدان صاحب مجلة الهلال في مصر. وصاحب المؤلفات الشهيرة في العلم والادب والتاريخ والاجتماع وقد عزّ نعيه على اولي الفضل فنعزّي الامة الشرقية بفقده

وقالت جريدة لبنان

لا مشاحة في ان الحزن قد ادرك قلب كل واحد من الناطقين بالضاد على فقد هذا النابغة لانهم قد ادركوا مكانته المكينة في العلم فقد ادى به جهاده في اللغة العربية والتاريخ الى بلوغ ما لا يمكن لغيره منها فهو من اللغة اساسها ومن التاريخ حجته

وقالت جريدة الاصلاح

نشأ بجده واجتهاده فاصبح بعد سهر الليالي بين الاوراق والمحابر معدوداً بين اركان النهضة العلمية والادبية في الشرق العربي بما الفه من الكتب العديدة والروايات العصرية وبما وضعه من المجلدات الضخمة في الفروع اللغوية والعلمية والاجتماعية والتاريخية وما نشره على صفحات هلاله الاغر من المباحث الجليلة في جميع المواضيع التي بارى فيها المجلات الاوربية الراقية فقضى فجأة وهو في الثالثة والخمسين بدء طور الكهولة والجد

وقالت جريدة البشير

فجعت اللغة العربية بعالم من علمائها ... فوقع منعاه في عالم الاداب العربية اشد وقع . وقد كنا من الذين يقدرون الرجل قدره ويثنون على جده ونشاطه

وقالت جريدة الخواطر

وخليق بمن كان مثل جرجي زيدان ان تتبرقع عليه العربية بالسواد ويستعظم الخطب فيه كل اديب

وقالت جريدة التقدم

وان من ينظر الى كثرة المؤلفات الكبيرة التي كتبها هذا العالم العظيم ويتأمل فيما يقتضي تأليفها من المطالعة والمراجعة والدرس والبحث والتحقيق لا يسعه الا ان يعترف بان هذا النابغة الذي فقدناه كان من خوارق الطبيعة ولا سيما طبيعة بلادنا التي قلما انجبت في هذا الزمن الاخير امثال هذا الرجل من العلماء العاملين

وقالت جريدة طرابلس

هو المؤرخ الشهير صاحب الهلال واحد اركان النهضة العلمية الحاضرة في الشرق قضى معظم حياته بين المحابر والدفاتر يفيد امته ويخدم بلاده

وقالت جريدة فلسطين

عاش الرجل — والرجال قليل — معتمداً على نفسه في جميع اعماله

وقد احيى الروح العربية في كل قطر نطق فيه بالضاد ونشر من المدنية الاسلامية ما ظهرت آثاره في الهند والصين وفارس والمغرب الاقصى وتردد صداه في اوربا واميركا فاعلى شأن الشرق الادنى بما له من الايادي البيضاء على العالم اجمع

وقالت جريدة الاخاء العثماني

لقد نظر هذا الفقيد الكريم في التاريخ قديمه وحديثه فاصاب حظاً وافراً منه فازدهى القطر المصري بنفثات اقلامه ونال من تاليفه العديدة جاهاً عريضا . فحق للعلوم اذاً ان تبكيه وللمعارف ان ترثيه

وقالت جريدة حمص

توفاه الله فجأة بعلة قلبية فكان لنعيه رنة اسف في عالم اهل العلم والادب اذ خسروا به امام علم اثار العالم الشرقي بهلاله ودراري مؤلفاته واقواله . رحمه الله عداد ما له من نفائس الآثار وعرائس الافكار

وقالت جريدة الصفاء

اصيبت الصحافة بفاضل يعد من خيرة رجالها والتاريخ بركن من امنع اركانه نعني المؤرخ المحقق المشهور جرجي بك زيدان

قضى حياته يخدم العربية والعرب بتآليفه المفيدة ومباحثه التاريخية الشائقة فضلا عما عرف به من طيب الصفات كالاستقامة والصدق والوفاء

وقالت جريدة النشرة الاسبوعية

ومن حسناته ومميزاته في الكتابة بساطة التعبير وسلاسة الانشاء والاحاطة بالموضوع من كل جهاته مفصلاً ومبوبا بطريقة لا تترك باباً لسائل مع ادب رائع فاذا انتقدته اقرّ بما هو صواب ودافع عن نفسه برقة وتواضع مع بعد غوره وعلو كعبه . فموته خسارة فادحة على كل الناطقين بالضاد وفقده ضربة مؤلمة على الصحافة ومحبي التاريخ

وقالت جريدة البرهان

آلمنا خبر نعي صديقنا المؤرخ الكبير جرجي بك زيدان منشىء مجلة الهلال وصاحب التاليف المشهورة والمصنفات المبتكرة — ولعمري ان وفاته ثلمة في العلم العربي العصري عامة والتاريخ وفن الروايات خاصة قد يمر هذا القرن ولا يوجد من يسد مسده فيها وان للفقيد من الصيت الذائع ما يغنينا عن الاسهاب في ترجمته وسرد فضائله

وقالت جريدة الاقبال

صرف هذا الفقيد العظيم حياته في التحرير والتحبير وبين كتب العلم والتأليف حتى ابرز من مؤلفاته العشرات من كتب ادبية وعلمية وادبية وتاريخية واجتماعية ولغوية وروائية فضلا عما كان ينشره على صفحات مجلته الهلال من المقالات التاريخية والاجتماعية حتى كادت تضاهي المجلات الاوربية وقصارى ما يقال ان الفقيد الموما اليه ترك ذكراً عطيما بين ارباب العلم والادب ولهذا كان الاسف عليه عاما بين جميع الطبقات

---

٣ ـ الجرائد العربية الاميركية

جاء في جريدة مرآة الغرب

بقلم جبران افندي خليل جبران

لقد مات زيدان ومات زيدان عظيم كحياته جليل كاعماله

لقد رقدت تلك الفكرة الكبيرة وحول مضجعها تحوم الآن سكينة توحي الهيبة والوقار وتترفع عن الحزن والبكاء

قد تملصت تلك الروح الطيبة ورحلت الى عالم نشعر به ولا ندركه وفي رحيلها عظة للباقين في قبضة الايام والليالي

قد تحرّر ذلك الوجدان النبيل من متاعب العمل ومشاقه وسار ملتفاً برداء مجده الى حيث يتسامى العمل عن المشاق والمتاعب — قد ذهب زيدان الى حيث لا تراه العين ولا تسمعه الاذن — ولكن اذا كان زيدان قد انتقل الى احدى السيارات السابحة في بحر اللانهاية فهو الآن مشغول بنفع سكانها . منهمك بجمع معارفها . مأخوذ بجمال تاريخها . منصب على درس لغاتها

هذا هو زيدان — فكرة متحمسة لا ترتاح الا الى العمل وروح ظامئة لا تنام الا على منكبي اليقظه وقلب كبير مفعم بالرقة والغيرة . فاذا كانت تلك الفكرة لم تزل كائنة بكيان العقل العام فهي تشتغل الآن مع العقل العام . واذا كانت تلك الروح موجودة بوجود النواميس فهي الآن تعمل مع النواميس . واذا كان ذلك القلب باقياً ببقاء الله فهو الآن ملتهب بشعلة الله

هذه هي حياة زيدان — ينبوع تدفق من صدر الوجود وسار نهراً صافياً يروي ما على جانبي الوادي من النبات والانصاب

وها قد بلغ النهر شاطىء البحر فايّ متطفل يا ترى يجسر ان يندبه او يرثيه

أوَليس الندب والنواح خليقين بالذين يقفون أمام عرش الحياة ثم ينصرفون قبل ان يسكبوا في راحتيها قطرة من عرق جبينهم أو دم قلوبهم ؟

أوَلم يصرف زيدان ثلاثين سنة مذيباً قلبه مستقطراً جبينه . وهل بيننا من لم يستقِ من تلك المجاري البلورية العذبة ؟

اذاً فمن شاء ان يكرم زيدان فليرفع نحو روحه ترنيمة الشكر وعرفان الجميل بدلا من ندبات الحزن والاسى

من شاء ان يكرم ذكر زيدان فليطلب قسمته من خزائن المعارف والمدارك التي جمعها زيدان وتركها ارثاً للعالم العربي

لا تعطوا الرجل الكبير بل خذوا منه وهكذا تكرمونه

لا تعطوا زيدان ندباً ورثاء بل خذوا من مواهبه وعطاياه وهكذا تخلدون ذكره

وقالت في عدد آخر

ليت الذي حمل الاثير مكذّبٌ فالخطبُ لو علم الاثير ثقيلُ
فيه تقاسم مصر سوريا الاسى حيث الفرات مدامع والنيلُ
لولا الهلال يتيح اسباب العزا لاعتل محزون ومات عليلُ
ان الهلال على اليتيم ضامنٌ حسن الخلود لربه وكفيلُ

الى ابناء الشرق في بلاد الغرب تنعي اليوم بلسان المرآة رجلاً من رجاله وشهيراً من كبار كتابه ومشاهيره وعصامياً لم يعرف في حياته الا الجد والعمل وخدمة اللغة العربية وابنائها خدمة النصوح المتفاني في حب بلاده وأمته

الى ابناء الشرق في بلاد الغرب تنعي اليوم دومنس الشرق ومحيي آثار التاريخ العربي وخادم العلم الشريف والوطن المفدى ومهذب العقول ومروض الالباب

الى ابناء الشرق في بلاد الغرب تنعي اليوم ركناً من اركان النهضة العلمية الاخيرة فقد خفت صوته الجهوري ووقف قلمه عن التحبير والتسطير فيا ليت لنا براعاً كيراعه ليقوم بواجب رثائه وذهناً كشعلة نار مثل ذهنه يسرد تاريخ حياته وروحاً من فصاحته تفصح عن حقيقة اعماله الكبار وروحه الكبيرة ونفسه الابية واعماله المأثورة المشكورة

لقد افل بدر « الهلال » واصبح صاحب الهلال جثة باردة وامسى زيدان في عداد ساكني الاجداث . اظلم نور الهلال يوم غربت شمس منشئ الهلال الفيلسوف الكبير والرجل العالم العامل فالهمّ صبراً على هذا المصاب الذي اصاب الامة العربية جمعاء فادمى افئدتها

عاش كريم الخلال — سخياً بافادة ابناء امته . اذاب جسمه لينفع سواه . اضنى حياته ليخدم اخوانه بالانسانية . فيا روحه سلام الله عليكِ . ويا نفسه رحمة الله

عليكِ ويا نجله وآله الهمكم الله صبراً ويا صحبه اذكروه بالغدوّ والاصال ويا أمة ذهب جرجي زيدان شهيداً في خدمتها ووقف يراعته لافادتها قومي بالواجب عليكِ نحو محيي تاريخكِ المجيد واحيي تاريخ حياته المملوء بالفضائل والجد والعمل الشريف وانصبي تمثاله في مصر وسوريا وفي كل بلاد وصلت اليها مؤلفاته العديدة النفيدة — رحمة الله تروي ثراك فان غاب محياك عن نواظر ابناء هذه الامة فهو على الواح الافئدة مطبوع وان خبا مصباح علمك وفضلك واختفى تحت الثرى فاننا لا ننسى زيدان كما رأينا مؤلفات زيدان وطالعنا كتب زيدان فنم هنيئاً يا صاحب الهلال انك حي الى الابد

وجاء فيها

بقلم ملحم افندي ابراهيم بشعلاني

اليوم وقد اغمض جرجي زيدان عينيه المتقدتين بالذكاء ونام نوم اهل الكهف في الكهف واخلد اخلاد سكينة المقابر بالمقابر . اليوم وقد فصل الموت جرجي زيدان عن موائد العلم التي كم غذى من خيراتها عقولاً وانضج ادمغة وانعش ارواحاً ونفوساً — حال ستار المنية بينه وبين اسفاره العديدة ومجلداته الضخمة

اليوم وقد حولت الابدية الى دارها روح ذاك الذي زار المعاهد الكثيرة وأم المعالم العديدة باحثاً ومنقباً حول قبور الاجيال القديمة دارساً مفسراً رموز الايام الخالية محللا تقاليد المجد الغابر مظهراً للايام ما انته الايام معلناً لامة اليوم ما انته امة الامس

اليوم وقد سار صاحب « الهلال » ولكن الى حيث لا يظهر الا بالوهم ومشى ولكن الى حيث لا يعود الا بالتصور والخيال

اليوم وقد امسى جرجي زيدان حكاية الايام وقصة الدهور وهو الذي كان يحكي لنا حكايات الايام ويقص علينا اقاصيص الدهور

اليوم وقد امسى صاحب الهلال حصاة ملقاة في القبر بعد ان كان كتلة على رابية الحياة مملوءة بالحركة والقوة والخبرة والمعرفة

اليوم وقد طوى القبر ذلك الذي طوى الصفحات الكثيرة في المجلدات الكبيرة وتشربت السكينة اعماق ذاك الذي رددت صدى صوته اعماق الثلاثين سنة — لم يبقَ الا ان نبكيه بدموع استمددناها من بحر علمه الغزير وان نثر على ضريحه ازهاراً تناولناها من رياض خبرته الواسعة . اليبوع الزلال الذي طالما استقت من روحه أمة

الشرق الظمأة تغلغل اليوم في اعماق الهاوية الحرساء السائرة بسرعة الى البحر الكبير الممتلئ

السفينة التي مخرت عباب العلم وزارت عواصم البحث وطافت جزائر التنقيب ثابتة امام عواصف الايام مزقت اليوم عواصف الايام شراعها وساقها كما تشاء الى ساحل الموت . النسمة التي طالما رافقت الفجر معتلة النسيم ملطفة العبير ابتلعتها الهاجرة واصعدتها الى الفضاء حيث تتبدد النسمات وتضمحل الابتسامات

القلب الذي كان يضرب بصدر الامة الشرقية سحقته يد القضاء وأذابته حرارة الشمس . الابتسامة التي كانت عزاء في ليل المشكلات تلاشت بين دموع الحقيقة مثلما تتلاشى ابتسامة المحب بين دموع اللقاء

العين التي كانت تنظر الى ما وراء ستائر الاجيال وتحدق بما في باطن الارض وتحيط بما يحيط بحلقة الكيان انطفأ نورها وتلاشت اشعتها في محاجر الموت مثلما تتلاشى حلاوة الربيع في حرارة الصيف

القبس الذي كان ينير ربعة الاجتماع اخفته فجأة لجة الموت مثلما تخفي اليقظة عروس الاحلام . اجل مات زيدان — مات زيدان — وكذلك تتسارع الايام الى الانقراض وهكذا يسرع الدهر الى الانقضاء — كذلك تشرق الشمس وهكذا تسرع الى الزوال — كذلك تهب الريح وهكذا تعود الى حيث هبت — هكذا تأتي الينابيع من البحر ثم الى البحر تعود — هكذا تسترد الحفرة الزهرة التي انبتتها وهكذا يسترجع التراب الجوهر الذي اخرجه ؟

مات زيدان كما يموت كل حي ومشى الى القبر كما يمشي الموج الى الشاطىء . على انه خلف المكتبة كما يخلف الجائع المائدة قبل ان يشبع وترك التاريخ كما يترك البناء ركنا اسسه ولم يتم بناؤه وترك يراعه كما يترك الجندي حسامه ولم تزل بصدره حركة . هجر الصحافة كما يهجر الظبي المرجة الخضراء مرغما بمطاردة الصياد . مات كالزارع قبل ان يشاهد غلة بيادره وكالراعي قبل ان يجمع الى الحظيرة شتات قطعانه . مات زيدان — يا من حرمتم زيدان — وليس بحاجة الى من يكتب تاريخ حياته او يصف مآثر يديه فاعماله الغر الكبار فائدة في صدر التاريخ لمن يطالعها من الباقين على ممر الاجيال وهي لم تمت بموته ولن تموت وليس زيدان بحاجة الى من يطير بشهرته او يبشر بمآتي واعمال يديه فهلاله الخالد بين ابناء العصور والاجيال الحاضرة صبوح للايام وغبوقها وهو يطير بشهرته الى ما وراء الاجيال القصوى ويبشر بمآثر يديه مخترقا طبقات الدهور والجاً

باحات العصور . ولكنه بحاجة الى من يغمر قبره بالدموع لتنبت على جوانبه الازهار . وبحاجة الى من يصنع فوق رمسه تمثالا يكتب على قطره « هذا ابن سوريا ورجل الكنانة » فليبك زيدان الان كل غزير الدموع من ابناء الامة وليضع له معاصروه تمثالا يعجنونه بالذهب ويطلونه بالتبر

وقالت جريدة الافكار

لا نحاول في هذه المقالة ترجمة جرجي زيدان ولا سرد اعماله فسوف نعود الى ذلك في الحين المناسب ولكننا نرانا مدفوعين بعامل خفي يدفعنا الى تبيان فضائله كما عرفناها نحن لا كما سمعناها من الغير فقط . لان الحظ اتاح لنا بالاستمرار على مكاتبة هذا النابغة الفاضل من خمس عشرة سنة ونيّف — مراسلة مستمرة بحث في كثير من الشؤون العلمية والسياسية والاجتماعية وحوت اقوالاً فلسفية ونصائح وعظات وافادات وحكماً كانت لنا نبراساً استضأنا به ونحن نعمل في هذا العالم في مهنة عامة شاقة من دون شريك ولا مسعف ولا مرشد ولا نصير

وبجملة اوضح نقول ان رسائل الدكتور يوحنا ورتبات ورسائل جرجي زيدان كانت افضل مرشد لنا . وكما تفطر القلب حزناً على موت الاول نرى العين الان ملأى بالدموع على وفاة الثاني — هذا هو العامل الخفي الذي المعنا اليه فيما مضى ، عامل الاعتبار والمحبة مع عرفان الجميل

ولا نريد الان سرد عبارات مألوفة او تنسيق جمل معروفة او انشاء مقالة تأبينية بالمعنى المعتاد ، كلاّ ، فان ذلك وغيره من الامور المبتذلة ليس مما تصبو اليه نفسنا ولا سيما في موقف محزن وازاء فاجعة عظمى وامام خسارة علمية جسيمة لخسارتنا جرجي زيدان العلامة العصامي النابغة المفضال ، لكننا نحاول تدوين افادة وايفاء واجب . فاما ايفاء الواجب فلا نقوى عليه تماماً لان الواجب الذي علينا نحو فقيدنا العظيم كبيرٌ لا يقدر الكلام على القيام به ، ومتى كان الكلام كافياً لنقل عواطف المرء ولا سيما في مواقف الحزن العميق ؟

اننا مدينون لجرجي زيدان بامور عديدة منها ما هو مشهور عن « الافكار » من انها تجتنب المناظرات العقيمة وتترفع عن الردود على المطاعن الشخصية . ولدينا الان ثلاث رسائل شخصية من المرحوم كتبها الينا سنة ١٩٠٢ لا نزال حافظينها بين مجموعة

من الرسائل الثمينة لانها تتضمن اقوالاً حكمية تدل على عقل كبير وفضل غزير وادب سامٍ واخلاق متينة وصدر رحيب وعلم صحيح — في تلك الرسائل الثلاث الطويلة كلام مسهب عن الصحافة العربية والكتاب والمحررين والاحوال السياسية والاجتماعية المحيطة بهم التي تجعل البعض منهم عرضة الوقوع في المهاحكات تارةً كرهاً وطوراً عمداً واخرى اطاعة لاحوال قاهرة حكم بها الزمان القاسي ولا مرد لاحكام الزمان

القدوة كما قال صمبلز مؤلف كتاب سر النجاح هي واعظ صامت . بل هي ابلغ واعظ فكم وكم من المحررين والمنشئين الفوا الكتب وحبروا المقالات وانشأوا الصحف لكنهم كانوا في احيان عديدة يخضعون لحكم العاطفة (والضعف البشري) فيحيدون عن جادة النزاهة والعفة ويحشون كتاباتهم ببذيء الكلام او التهكم الجارح والمطاعن الشخصية التي يترفع عنها كل قلم عفيف وكل عقل كبير . ورغماً من تفوق كثيرين من علمائنا وكتابنا في الخطابة والعلم والسياسة والانشاء ونبوغ معظمهم في النظم والنثر كنا ولا نزال نسمع من الجمهور عبارات النفور من سيرة بعضهم الادبية ونقداً جارحا — لكنه صحيح عادل — بسبب تصرفاتهم وافعالهم المخالفة اقوالهم . لذلك كانت كتاباتهم ناقصة ونتيجتها او فاعليتها غير ثابتة ولا نظنا مخطئين اذا قلنا انها كانت ضارة في بعض الاحيان — وكفاها ضرراً انها كانت قدوة سيئة للضعفاء الذين نسجوا على منوالها واتخذوا سيرة منشئيها نموذجا لهم فسقطوا لان الضعيف سريع التشبه بالقوي

اما حياة جرجي زيدان فهي افضل قدوة وخير مثال وابلغ واعظ . حياة فضيلة وعفة وطهارة وغيرة وعمل وحزم وثبات وتدبير ودرس وتدقيق . حياة ثمينة جعلت ذلك العصامي مصباحاً انار العالم العربي ليس بمؤلفاته العديدة فقط بل بقدوته الصالحة ايضاً وهذه القدوة الصالحة هي بعرفنا اجمل درة واثمن حلية تزين بها فقيدنا العظيم

عمل بلا قدوة صالحة لايجدي نفعا ولكنه قد ينتج ضرراً . أما العمل المقرون بالمثال الحسن - أي بدليل محسوس على فضل العامل وعلى طهارة حياته واستقامة سيرته — عمل كهذا لا يموت ولو مات فاعله . ولذلك لن يموت جرجي زيدان ولو مات جسده وفني لان حياته الطاهرة ومؤلفاته العميمة الفائد وسيرته الشريفة سوف تبقى خير مرشد وافضل مثال للناطقين بالضاد

رضوان الله عليك ايها الراحل العظيم . لقد احسنت الينا في قلمك وفي سيرتك فكنت خير سوري نفع اخوانه السوريين . وخير الناس من نفع الناس . فرحمة الله على روحك الطاهرة وجميل العزاء لاالك ولسائر مريديك آمين

وقالت جريدة ابو الهول

مات جرجي زيدان فابكوه ايها السوريون . مات من طارت شهرته في الآفاق وشعر بفضله الشرق والغرب . مات رجل الفضيلة والصدق والاخلاص والجد والاجتهاد . فاندبوا حظ التاريخ وترحموا على الرجل الذي قضى كل حياته في خدمة العلم والتاريخ والادب والفلسفة

في الثالث والعشرين من الشهر الماضي ورد على رصيفتنا اميركا رسالة برقية من حضرة سليم افندي سركيس يقول فيها : مات زيدان فوقع علينا الخبر وقوع الصاعقة

وقد اتت جرائد مصر في هذا الاسبوع وهي تعدد مآثر زيدان وتكبر المصاب فتضاعفت احزاننا وتصدعت منا الاكباد

انظروا ايها الناس ماذا ترك زيدان من الآثار انظروا وتحسروا على عماد العلم الذي هوى

انشأ الفقيد الهلال سنة ١٨٩٢ ففي ايدينا الان منه ٢١ مجلداً وآخر ما قرأنا له العدد التاسع من المجلد ٢٢ تاريخه آخر حزيران الماضي وهو العدد الذي كان خاتمة جهاده

فلو كان زيدان فرنسوياً أو انكليزياً وألف مثل هذا العدد الكبير من الكتب لاقام له اليوم مواطنوه في كل مدينة تمثالاً وعرفوا فضله وبذلوا في سبيل اكرامه الغالي والرخيص

عسى ان تقدرنا الايام على اقامة اثر لفقيدنا العزيز لنقوم ببعض الواجب من نحوه تخليداً لذكره الطيب واظهاراً لفضله العميم

وقالت جريدة السائح

ان هذه الفاجعة لشديدة الوقع على قلب سوريا فان الفقيد كان فرداً من افرادها علماً واجتهاداً وغيرة فوالله ان الاسف ليذخر لمثل هذه الفاجعة والحزن ان جاز كان على رجل كصاحب الهلال فقده يوجد فراغاً في الامة ويحدث خسارة لا تقدر بأثمن مثمنات العالم

هذا الفقيد احيى كثيراً من دوارس التاريخ وكشف النقاب عما تناسي منه واضاعته الاجيال وقد جاهد منقباً وباحثاً جهاد الابطال الذين لا يقطعون طريق حياتهم الا ويملأون العالم فوائد ويخدمون امتهم افادات جمة. وقد كان علما يشار اليه بالبنان و حكماً

يرجع اليه في كل مشكلة يعيي حلها حتى اصبح اذا قال شيئاً يكون قوله فصل الخطاب

يبكى على رجل كانت حياته منارا للمستنيرين فسوريا تلبس اليوم بفقد زيدان ثوباً اسود حدادا على كنز علوم خسرته وبدر معارف فقدته ولا بدع ان يكون الحزن شاملا سائر الناطقين بالضاد لان الفاجعة سورية على وجه العموم وعربية بوجه اعم ولهذا ما كنت تجد من الذين طالعوا الخبر المؤلم الا الاسفين والخافقي القلوب فكأن السوريين اجمع يعرفون زيدان الفقيد ان لم يكن معرفة العين فمعرفة اعظم واقوى أي معرفة ادبية واذا عد رجال الادب بين الشرقيين كان زيدان في الطليعة ولهذا ما من يجهله بين ابناء الشرق

وعسى ان السوريين يقدرون قدر هذا النابغة بغير الحزن عليه والاسف وذلك بان يرفعوا له التماثيل في سوريا ومصر تخليداً لذكره وتقديرا لخدماته الادبية فلمثل الفقيد ترفع الانصاب وحق لمثله ان يخلد ذكره على ممر الاحقاب

وقالت جريدة الجديد

حمل الينا بريد الشرق في هذا الاسبوع نعي رجل العلم والفضل جرجي زيدان منشىء الهلال وصاحب التاليف العديدة التي وضعته في مقدمة المحسنين الى الادب العربي

وعبثاً يحاول قلم الكاتب وصف حياة زيدان والاحاطة بعلمه الادبي الكبير فقد كان احد اولئك الرجال الذين يبلغ بهم الفضل الاوج الذي يتقاصر عنه الطرف وتتضائل عنده الالفاظ . وكفى الرجل وصفاً ما تردد به ذكره من اطراف سوريا ومصر والعراق الى اقاصي الهند ومهاجر العرب وما اغنى به المكاتب العربية من حقائق العلم والادب والتاريخ

« والجديد » يحني الرأس احتراماً لهذا الراحل الكبير ويحيي بالاجلال تلك الصورة الزائلة الخالدة التي جمعت في ذاتها وصفاتها خير ما اوتيه المرء من مواهب العقل والقلب ومزايا الفضيلة والاخلاق

وقالت جريدة فتى لبنان

نعى البرق من القاهرة العلامة الكبير والمؤرخ المدقق المرحوم جرجي زيدان

صاحب مجلة الهلال الشهيرة . قضى هذا الفقيد الكريم مراحل عمره في التأليف والتصنيف واخرج للعرب كتباً نفيسة لم يسبقه اليها المتقدمون ولا المعاصرون . فقد الف مجلدات ضخمة في تاريخ العرب وآدابهم وتمدنهم ووضع سلسلة روايات شائقة تتضمن تاريخ الاسلام فضلاً عن مجلة الهلال التي كانت كسبها هلالا في سماء العلم والادب . وعلى الجملة فان للفقيد من غرر المآثر على اللغة وبنيها ما يجعله في مقدمة ارباب النهضة العلمية الحديثة ويوجب على المتأدبين احياء ذكره باقامة نصب له اقرارا بفضله

وكان رحمه الله لطيف المحاضرة لين العريكة رقيق الحديث كريم الاخلاق نقي السريرة بعيداً عن الاغتياب وله بين العلماء في الشرق والغرب منزلة سامية

رحم الله هذا الفقيد الكريم عداد حسناته واحسن اليه في مماته كما احسن الى العلم والادب في حياته

وقالت جريدة الزمان

نعينا بعدد الامس من الزمان الى قرائنا وفاة العالم التاريخي الكبير الذي قضى معظم حياته يخدم اللغة العربية وابناءها خدمة جليلة سواء كان في مؤلفاته الجليلة او في مجلته « الهلال » الشهيرة

ويعز علينا خسارة مثل هذا العالم الذي كان ركناً قوياً من اركان اللغة العربية واماماً لدارسي التاريخ وآدابه

فليكن اذن ابناء اللغة العربية اذ يندر ان يقوم منهم من يسد الفراغ الذي احدثه فقيدنا الجليل في عالم الادب والتاريخ

وقبل ان نمسح القلم من رثاء هذا العالم الكبير نقترح على الجالية السورية في الارجنتين ان لا تترك شقيقتها جالية البرازيل اكرم منها فتقيم لهذا الفقيد الكريم تمثالاً يخلد اسمه الى ابد الدهر

وقالت جريدة البريد

بوفاة صاحب الهلال الذي نعاه البرق في الاسبوع الماضي تنتهي حياة كبير من عمال الادب العربي في هذا العصر

نشأ الرجل بين متاعب الحياة فلم ترهبه عبوستها وقاوم التقاليد الشرقية بما اوتيه من مضاء العزيمة والجد والاربة فذلت لديه المصاعب التي أوجدتها أوهام القائلين ان بين الاديب العربي وكفاف العيش مرحلة لا يسهل قطعها وكان له فوق الكفاف ما يعد ثروة بين أهل العلم في الشرق

وكل من عاشر زيدان ورافق حياته الادبية عرف فيه خلتين ميزتاه عن اكثر أدباء السوريين وهما تجافيه عن المهاترة في مناظرة خصومه وهمة لا تعرف الملل

وقالت جريدة السعادة (مراكش)

ننعي لقرائنا اليوم فقيد العلم والادب جرجي زيدان صاحب مجلة الهلال

لم يبق في الاقطار الناطقة بالضاد من لا يعرف مجلة الهلال وتاليف زيدان فجميع الاقطار الناطقة بالضاد تبكي اليوم هذا الفقيد وتتحسر عليه

ولولا ضيق المقام لوفينا الفقيد حقه من التأبين والرثاء لكن الحوادث التي نحن في تيارها تحول دون ذلك فعسى ان تساعدنا الاقدار بالوقوف يوماً على قبره او قرب تمثاله ونقوم بواجبنا نحو صديق كريم وعالم عظيم

وجاءتنا الرسالة الآتية بقلم عبد الفتاح افندي عباده :

روايات تاريخ الاسلام

والروايات التاريخية

من مآثر الفقيد العظيمة وخدماته الجليلة للغة العربية وتاريخها ادخاله الى البلاد الشرقية هذا النوع الجميل من الفنون الانشائية بعدة روايات مأخوذة من تاريخ الاسلام تفصل حوادثه وتوضح خفاياه باسلوب يشوق للمطالعة مما لم يسبق له مثيل في عالم الروايات . ولا يختلف اثنان في انه هو اول من عني بهذا الفن في اللغة العربية . بل هو اول من اقدم على وضع تاريخ امة أو امم عظيمة كالتاريخ الاسلامي وهو تاريخ الشرق واكثر العالم في القرون الوسطى في سلسلة روايات على هذا الشكل . ولا يعرف بين كتبة العالم من اقدم على هذا قبله

والروايات التاريخية ترسم التاريخ وعصوره في صورة مكبرة تجمع ابهى مناظره وأهم مظاهره . والغرض منها تشويق القراء لمطالعة التاريخ وشرح احوال الاعصر وبسط شؤون الامم الاجتماعية والسياسية والادبية المحدقة بالوقائع مع تمثيل عوائد الامم واخلاقهم وادابهم تمثيلا لا تتسع له كتب التاريخ ولا يتيسر الوقوف عليه الا في المجلدات الضخمة . بل لا يستطيع القارىء ان يتصوره على مثال ما يمثل في الرواية الا بعد المشقة واعمال الفكرة . ولذلك كان وضع الروايات التاريخية اكثر وعورة من تأليف التاريخ ولا سيما لمن يتوخى التحقيق وضبط الوقائع والمحافظة على الاصل التاريخي مع تطبيقه على حديث الغرام كما كان يفعل فقيدنا . فان سلسلة رواياته فضلا عن انها تولد عند مطالعها حب التاريخ الاسلامي والشغف بآثار العرب وآدابهم فهي ترقي المشاعر وتوسع دائرة الخيال وتجمع بين اللذة والفائدة . وقد انتبه الافرنج الى فائدة الروايات التاريخية في ابتداء نهضتهم فسبقونا اليها واشهرهم اسكندر دوماس الروائي الفرنسوي الشهير الذي يُظن ان الفقيد حذا حذوه الا ان دوماس كان غرضه الاول تأليف الروايات وانما جاء بحوادث التاريخ في كثير من رواياته لالباسها ثوب الحقيقة فجره ذلك الى التساهل في سرد الحقائق التاريخية وعدم الاهتمام بالمحافظة عليها . اما روائينا العربي فكانت العمدة في رواياته على التاريخ وانما يأتي بحوادث الرواية تشويقاً للمطالعين فيُبقي الحوادث التاريخية على حالها ويدمج في خلالها قصة غرامية تشوق المطالع الى استتمام قراءتها فكان كما قال عن نفسه

يتوخى جهده ان يكون التاريخ حاكما على الرواية لا هي عليه وهو بهذا الاعتبار يهيء اذهان الناس لمطالعة التاريخ

وفن الروايات التاريخية لا يعد من قبيل الفكاهات بل هو باب من ابواب التاريخ وفلسفته وهو نتيجة ايضاً لرواج العلوم التاريخية وميل الجمهور الى احياء ذكر الازمان الخالية ومعرفة احوال السالفين وعاداتهم فكان الفقيد في الشرق كالسر ولتر سكوت Walter Scott الكاتب الانجليزي المشهور الذي ابتدع هذا الفن سنة ١٨١٤ في الغرب. وكما تأفقت شهرة ولتر سكوت سريعاً كذلك ذاعت شهرة روايات الفقيد في جميع انحاء البلدان العربية واقبلت عليها الامم الشرقية والغربية من اهل الالسنة الاخرى تترجمها الى لغاتها لعلاقتها بتاريخها

﴿ ترجمات رواياته ﴾ فترجمت سلسلة رواياته الى اللغة الفارسية بقلم سمو البرنس عبد الحسين مرزا القاجار ابن عم شاه العجم وصور بعضها بالرسوم وقد اقدم على ذلك بايعاز السيدة عزة الدولة بنت محمد شاه عمة شاه الفرس. والى اللغة الهندستانية الاوردية بقلم المولوي محمد حليم الانصاري بايعاز الشيخ غلام محمد منشئ جريدة وكيل الهندية في امرتسار من اعمال بنجاب في الهند وقد ظهر منها عدة حلقات مطبوعة في مطبعة وكيل المشار اليها. والى اللغة التركية الآذربيجانية بقلم السيد محمد كريم قاضي المسلمين في باكو من القوقاز وقد ارسل الى الفقيد كتاباً في ذلك الحين يقول فيه « كنت عازماً على تأليف تاريخ الاسلام في اللغة التركية الآذربيجانية التي هي لغة ابناء وطني خدمة لهم. فلما اطلعت على رواياتكم الغرامية في تاريخ الاسلام عزمت على نقلها الى اللغة المذكورة واكتفيت بها عن التاليف الخصوصية. فشرعت بعذراء قريش وسأنقل بعدها ١٧ رمضان فغادة كربلاء اما ارمانوسة فهي تحت الترجمة. ولما اطلع على حسن اسلوب الروايات وكثرة فائدتها رجل القوقاس محيي المعارف والعلوم الحاج زين العابدين تقي اوف قبل ان يطبع هذه السلسلة على نفقته . . . » وترجمت بعض رواياته الى اللغة الاوريدية الشائعة في سيلان وسنغافوره وتسمى ايضاً لغة التاميل بقلم الشيخ احمد غني مريكر. وفي الصفحة التالية بيان هذه الترجمات بالتفصيل. ولن تزال هذه الروايات تترجم الى ما شاء الله

﴿ اعجاب القراء بها وشوقهم لمطالعتها ﴾ فترى من ذلك ان هذه الروايات البديعة قد لاقت اقبالاً كثيراً من الامم الشرقية والغربية كما وقعت وقعاً حسناً عند قراء العربية فطبع بعضها عدة مرات واخذ الادباء في سبكها في قالب التمثيل وتسابقوا الى نقدها

اسم الرواية	اللغة التي نقلت اليها	اسم المترجم	بلده	
المملوك الشارد	الروسية	خليل بيدس	دمشق	
« «		وفلادمير دانيلوف	موسكو	
« «	لغة التاميل	احمد غني مريكر	نلقور	طبعت
اسير المتمهدي	الالمانية	القس تيلو	ليكرفلد (المانيا)	استأذن في طبعها قريبا
« «	الفرنساوية	فرنس شهاب	مرسين (سوريا)	
فتاة غسان	الروسية ولغة التاميل			
« «	الفارسية	البرنس عبدالحسين مرزا	طهران	
« «	الهندستانية	محمد حليم الانصاري	لكنو (الهند)	طبعت في الهند
« «	الانكليزية	قسطنطين ثابت	بيروت	
« «	لغة التاميل	احمد غني مريكر	نلقور	طبعت
« «	البرتغالية	مخائيل دحروج	سان باولو (برازيل) شهرية	
ارمانوسة المصرية	الهندستانية	محمد حليم الانصاري	لكنو	وطبعت في الهند
« «	الفارسية	البرنس عبدالحسين مرزا	طهران	« في طهران
عذراء قريش	الانكليزية	مس هكس	الناصرة	
« «	التركية الاذربيجانية	السيد محمد كريم	باكو	« في باكو
١٧ رمضان	الفارسية	البرنس عبدالحسين مرزا	طهران	« في طهران
غادة كربلاء	«	« « «	«	« «
الحجاج بن يوسف	«	« « «	«	« «
فتح الاندلس	«	« « «	«	« «
« «	الهندستانية			
ابو مسلم الخراساني	الفارسية	البرنس عبدالحسين وجعفر بن علي اكبر	تبريز	
« « «	الهندستانية			
« « «	التركية العثمانية			
العباسة اخت الرشيد	الفرنساوية	ميشيل بيطار وشارل موليه	باريس	نشرت تباعا في جريدة اقدام
الانقلاب العثماني	الفارسية	ع . قوام السلطنة	«	« الفيغارو وطبعت على حدة
				طبعت في الاستانة

book.qo.com

وتقريظها والثناء على مؤلفها . وقد دهش بعض القراء من روايات الهلال هذه فقال بعضهم انها مأخوذة من كتب العرب القدماء وقال البعض الآخر انها منقولة عن كتب فارسية وقال غيرهم انها مترجمة عن بعض اللغات الافرنجية ! الى غير ذلك من الاقوال التي يستغرب لها . بل مما يبين اعجابهم بها واكبارهم ان يكون بين كتاب العصر من يقدر على مثلها انهم نسبوا اليه انتحالها وقالوا انها وردت اليه من دير طورسينا . فاجابهم بقوله : لم يدر في خلدنا هذا القول « الا اذا ارادوا انها هبطت علينا من وراء ذلك الجبل المقدس كما هبطت الشريعة على موسى منذ بضعة وثلاثين قرناً (نستغفر الله) » وهم يمثلون باعجابهم هذا حال كل القراء

ومما يدل على شدة تأثير هـذه الروايات في قراء الهلال ختام رواية عذراء قريش على تلك الصورة المحزنة فانه ماكاد ينشر جزأها الاخير وفيه كيفية موتها حتى تواردت على المؤلف الرسائل البرقية وغير البرقية من جميع الانحاء وقد اجمع مراسلوها على مشاركة أسماء في ما اصابها من البلاء حتى بكوها وتفطرت مرائرهم على موتها بعد ما قاسته من العناء وبذلته من الحمية في سبيل الاصلاح فعاتبه بعضهم عتاباً لطيفاً وهو مقرٌّ بان ختام الرواية على هذه الصورة ضرب من ضروب الروايات المحزنة وبالغ آخرون في عدم رضاهم عن قتلها حتى ان احدهم اعتبر ختام الرواية على هذه الصورة ذنباً للهلال يستوجب عليه القصاص فامر بحجبه عنه ! ! واقترح عليه بعض الظرفاء ان يذيل الرواية بفصل يبعث فيه اسماء حية تسكيناً لما هاج من عواطف القراء وتخفيفاً لاحزانهم كما فعل السر والتر سكوت في احدى رواياته

ولا يخفى ان هذه الروايات كانت تنشر في الهلال تباعاً فكان كل عدد منه يصدر مذيلاً بملزمة او اكثر منهـا حتى تنتهي الرواية بانتهاء السنة وهذه هي الخطة التي سار عليها في الهلال منذ اصدر هذه الروايات فكان القراء يتشوقون الى بقية الرواية وخصوصاً اذا قرأوا اوائلها في الاعداد الاولى من كل سنة وربما يكتبون اليـه يطلبون الرواية لانهم لا يصبرون على تلاوتها متقطعة في اعداد السنة لما فيها من التشويق كما حدث له في رواية فتاة غسان وعذراء قريش فان بعضهم كتب اليـه يقول « ارسلوها لنا خطاً نقرأها ونرجعها اذ لاصبر لنا على انتظار صدور الهلال » وقال غيرهم غير ذلك وممن كتب اليه في هذا الشأن مولاي حمود بن محمد بن سعيد سلطان زنجبار السابق من كتاب نشر بعضه في السنة السابعة من الهلال ومنه قوله : « ولا تظن اظهارها (اي الرواية) فما قصدنا الا الاطلاع عليها وما هي الا كالشعرة البيضاء من الثور الاسود لا تحاذر ان

يطلع عليها اهل العالم . . . » فهذا يدل على شدة شغف من القراء وكلهم يجمعون على التشوق لمطالعة الرواية قبل ان تنشر في الهلال كانهم يحسبونها قد تم تأليفها او طبعها والامر بالعكس فانه لم يكن يكتب من الرواية عند كل هلال الا ما يحتاج الى نشره في ذلك العدد كما سترى فيما يأتي

﴿ كيف كان يكتب رواياته ﴾ كان الفقيد ينتهز عطلة الهلال الصيفية لوضع اساس الرواية التي يريد الحاقها بالسنة التالية . فيعمل اولا على انتخاب موضوعها من بين حوادث التاريخ الاسلامي التي تلي موضوع سالفتها ثم يستوفي النظر بعد ذلك في ما كتبه المؤرخون عن هذا الموضوع الذي اختاره ويظل في البحث عن حوادث التاريخ وتمحيصها والتفكير في حوادث الرواية وقصتها الغرامية حتى يوفق الى مزجهما وادماج الاولى في الثانية بقدرة فائقة ومهارة عجيبة فيستخرج منها زبدة هي جوهر الرواية ومادتها وحينئذ يأخذ في وضع نقطها وربط اجزائها بعد ان تمر حوادثها في ذهنه فيخرج من ذلك برنامج الرواية وهو خلاصة الموضوع بالاجمال ويسمى هذا البرنامج « هيكل الرواية » تشبيها له بهيكل عظام الحيوان الذي يكسى باللحم وهو دعامة الجسم . ولا يزال هذا الهيكل مرسوماً عنده طول السنة ينسج عليه الرواية ويكسوه بلحمها حتى يتم خلقها وقد كان يطرأ عليه في بحر السنة بعض التغيير والتبديل تبعاً لمقتضى الحال

فحين صدور كل هلال يأخذ في اعداد جزء من هذا الهيكل ويكتبه ثم يلحقه بذلك العدد وما بقي من حوادث الرواية بالتفصيل لا يزال في عالم التصور ويظل على ذلك في كل اعداد السنة حتى تنتهي الرواية . قال « ومن غريب ما يتفق لنا من هذا القبيل اننا ننشر الفصل من الرواية ونحن على غير بينة من الفصل التالي . أي اننا نصنع حوادث كل فصل أو بضعة فصول في حينها ويبقى سائر القصة في عالم الغيب فلو سئلنا ان نقص ما بقي منها ما استطعنا الى ذلك سبيلا . الا اذا سئلنا عن غرض الرواية بوجه الاجمال (اي عن هيكلها) . فلا نظن القارىء اكثر تشوقاً الى مطالعة الرواية منا الى كتابتها فاننا نفرغ من كتابة الفصل ونحن نتشوق الى كتابة ما يليه تطلعاً الى ما سيكون بعده . فنحن والقارىء في ذلك سواء »

وبالاجمال انه لم يكن يكتب الرواية كاملة ثم يبدأ بنشرها تباعاً في الهلال كما يظن الاكثرون وكما يفعل اكثر المؤلفين بل كان يتبع الطريقة التي شرحناها في هذا الفصل وهو لم يتعداها الا في رواية « ارمانوسة المصرية » وذلك انه كتبها في اول الامر سنة ١٨٩٥ على ان ينشرها في كتاب على حدة فحسن له بعض الادباء ان يدرجها في

الهلال تباعاً فنشرها في السنة الرابعة وهو في ريب من رضاء القراء. قال : « ولبثنا نترقب ما يكون من وقعها عند المطالعين فرأينا من اقبالهم على الهلال في تلك السنة ما لم نعهده من قبل ولم تبلغ منتصف تلك السنة حتى تضاعف عدد المشتركين ونفد ما كنا أذخرناه من اعداد الهلال للمجموعات في المستقبل — ولا تزال السنة الرابعة نادرة الوجود دون سائر سني الهلال الى الان — ناهيك بما جاءنا من كتب الادباء يستحسنون هذه الخطة ويحرضوننا على نشر الروايات التاريخية الاسلامية في الهلال . واقترح علينا أحد الاصدقاء ان نجعل تلك الروايات متسلسلة من اول ظهور الاسلام . . . »

﴿ نقص السلسلة ﴾ فاستحسن الفقيد هذا الرأي وعمل به حتى قارب الفراغ منه وكاد يوفق الى اتمامه ولكن المنية فاجأته قبل ان تتم هذه السلسلة وتتصل حلقاتها المتتابعة من صدر الاسلام الى اواسط القرن السابع للهجرة بما بعدها من رواياته الاخرى في تاريخ الاسلام وهي استبداد المماليك والمملوك الشارد وأسير المتمهدي والانقلاب العثماني اي من اواسط القرن الحادي عشر الى اعلان الدستور العثماني

والحلقات الموصلة بين هاتين المدتين لا تجاوز على ما ارى الاربع حلقات تشمل أهم حوادث التاريخ الاسلامي في هذه الاربعة القرون :

(فالحلقة الاولى) تشرح أحوال مصر في أيام الظاهر برقوق (٧٨٤ — ٨٠١ هـ) وانتقال الملك فيها على يده من المماليك البحرية الى المماليك البرجية وصده تيمورلنك القائد التتري الشهير عن سوريا ومصر وما كان من الحوادث حتى وفاة تيمورلنك . وهي الحلقة الثامنة عشرة من السلسلة

و (الثانية) تتضمن تفصيل فتح الترك للقسطنطينية (٨٥٧ هـ) مع بسط تاريخهم وقيام دولتهم وفتوحاتهم وسائر احوالهم . وهي الحلقة ١٩ من السلسلة

و (الثالثة) تشتمل على خروج العرب من الاندلس (٨٩٧ هـ) وما كان من تاريخهم الاخير فيها واختلال دولتهم ومماليكهم وتفرق كلمتهم ووصف اخلاقهم وعاداتهم وهي الحلقة ٢٠ من السلسلة والرابعة في تاريخ الاندلس

و (الرابعة) تتضمن دخول السلطان سليم مصر (٩٢٣ هـ) ومحاربته السلطان الغوري في سوريا والملك الاشرف طومان باي في مصر وقضائه على استقلالها ونقله الخلافة الى الاستانة واحوال مصر في ذلك العهد . وهي الحلقة ٢١ من السلسلة وتأتي بعدها رواية « استبداد المماليك » ثم « المملوك الشارد » وان كنا في حاجة الى رواية بينهما تفصل حوادث الحملة الفرنسية في مصر بقيادة نابليون وحملته على سوريا الى

خروج الفرنسيين من مصر . فهذه هي الحلقات الناقصة للسلسلة فمن لنا بروائي مثله يعمل على سد هذا النقص ويقدر على اتمام هذا العمل العظيم بعده فيضع هذه الحلقات حتى نرى السلسلة كلها كاملة كما يتمنى كل محب للتاريخ وهيهات ان يتم لنا ذلك بل

هيهات ان يأتي الزمان بمثله ان الزمان بمثله لبخيل

﴿ الخلاصة ﴾ فيتضح من ذلك كله فضل الفقيد العظيم في ادخاله فن الروايات التاريخية الى البلاد الشرقية ووضعه رواياته هذه على شكل سلسلة مما لم يسبق اليه فاحيا بها وبمؤلفاته العديدة تاريخ الاسلام وسد بها فراغاً عظيماً وثلمة كبيرة كانت اللغة العربية بل لغات الشرق في شدة الافتقار اليها . فما كادت تظهر حتى قدرها العالم حق قدرها . وقد بينا من اقبال القراء عليها واهتمام العلماء والعظماء بها وتشوقهم اليها مما لم يصادف مثله كاتب شرقي في نهضتنا هذه فقد انتشرت رواياته انتشاراً عظيما وتسارع الادباء الى ترجمتها الى لغاتهم ومن بينهم الامير والقاضي والعالم والمستشرق الخ . ونقلت الى اكثر من عشر لغات من اشهر لغات العالم ونشرت تباعاً في اهم جرائدها كالفيغارو بفرنسا واقدام بتركيا

فمن كل ما تقدم يظهر لنا جلياً ان فقيدنا المأسوف عليه جرجي بك زيدان كان روائياً كبيراً كما كان مؤرخاً عظيماً ادهش برواياته الشرق وحاز بها رضاء قراء العربية واعجابهم على اختلاف مشاربهم وتباين ارائهم مما دلَّ على ان هذا الفن كان ناضجاً عنده كما تشهد له بذلك رواياته البديعة ويشهد بذلك عمله فان سبك التاريخ في قالب الرواية مع المحافظة على حقائقه يلتزم مقدرة خاصة ومهارة عظيمة في هذا الفن

مراثي الشعراء

قصيدة اسعد افندي داغر

بلاغ راحل

جد بيني فبي قفوا يا رفاقي نقض فرض الوداع قبل الفراق
لا تقولوا « يا جرحي مهلا » وداعي ال موت يعدو اليَّ عدو البراق
انظروه مفاجئاً لي واني شاعر ببلوغ روحي التراقي
ليس في طاقتي التخلص منه بعدما غلني وشد وثاقي
جاءني مزهقا لروحي فتغدو عن قليل في قبضة الازهاق
ادركوني واحدقوا بي واصغوا لبلاغي الاخير قبل انطلاقي
اين اهلي ؟ فتشت عنهم لألقي واحداً منهم ولست بلاق
لست ألقى من سامع لندائي منقذ لي من الردى او واق
اين ايديهم تمد سريعاً وبعنقي تحيط كالاطواق
اين امي تقول « ها انا يا ابني » وتليني عند لف الساق
اين عرسي تقول « تفديك نفسي يا رفيق الحياة خير الرفاق »
اين اسما ترى اباها عليه اطبق الموت ايمَّا اطباق
اين باقي الاولاد يا قوم والاخو ة والاقرباء اين الباقي ؟
كلهم غائبون عني ومنهم لا ارى واحداً على الاطلاق
بعضهم سمهم سقام فاموا طود لبنان لابتغا الترياق
ودّعوني وهم يرجون مثلي عن قريب يتلو الفراق تلاق
خاب منا هذا الرجا والمساعي في التلاقي صارت الى اخفاق
فافترنا وما دروا قط اني سوف اقضي من لوعة الافتراق
ما دروا انهم صلوني سعيراً من نواهم فكان فيها احتراقي
ذبت من لوعتي وشدة وجدي وحنيني اليكم واشتياقي
وسيبدو منعايَ فيكم منقو لا بسلك الإرعاد والابراق
وسيغدو عليَّ فرط أساكم مضرباً للامثال في الآفاق

وستبكوني بدمع غوادي ال سحب تروي عنه حديث المآقي
وتعاطون من اكف الرزايا صاب يبني بكأس بثٍّ دهاق
وسيرثي الراثون فقدي وإما ينصفوا يأتوا ما به استحقاقي
يذكروا خدمتي الجليلة للعلم وعزمي الماضي وجدّي الراقي
يذكروا همتي التي ما درت في ال صعب معنى للبهظ والارهاق
يذكروا انني جعلت حياتي وقف امّ اللغى بلا اغراق
يذكروا نهضتي لها واجتهادي في بلوغي بها لاعلى المراقي
خضت منها عباب بحر خضم غصت فيه حتى الى الاعماق
وباغلى جمانها زنت كتبي مالئاً بكنوزها اورافي
لم ادع مجهلاً من البحث الا ردت اقصاه مبدعاً في السياق
فاحصاً عن اوضاعها والمباني باحثا في التصريف والاشتقاق
فاتحا في آدابها باب بحث كان من قبل محكم الاغلاق
وبتاريخ اهلها حزت سبقاً لم يحزه سواي يوم سباق
وبنو مصر والحجاز شهودي كبني الشام مع اهالي العراق
كلهم يذكرون فضلي باجماع ويطرون خدمتي باتفاق
يذكروني ما لاح نور هلالي في سما الشرق ساطع الاشراق
منذ ما هل صار بدراً وهذا ال بدر باق ما شابهُ من محاق
وسيبقى بعدي كما كان نجلى بسناهُ بقية الاغساق
ذا رجائي يا ابني اميل فعدني حافظاً في تحقيقه ميثاقي
صنه بعدي وارمقه دوماً بعين ال حرص والاعتناء والاشفاق
هذه خطتي لديك اتبعها وتعمد في ذا السبيل لحاقي
وتأسلي في العلا وترسم خطواتي ممثلاً اخلاقي
وانح نحوي في ما تخط ووافق فيه بين الامال والاذواق
واجعلن الهلال مطلع انوا ر اتحاد وألفةٍ ووفاق
لا تجز نشر كلمة فيه تغري قارئيها بنفرة أو شقاق
وسلام اليك مني فاني عنك ماض سبحان ربي الباقي

قصيدة عبد المسيح انطاكي بك

خسف الهلال بفادح الاهوال فابكوا معي صحبي خسوف هلال
وابكوا كسوف الشمس وهي تمده من نورها المتوقد المتلالي
وانعوا الى العرب الكرام مؤرخاً ومحققاً لهمو عديم مثال
جرجي بن زيدان قضى ومضى وابـ ـقى في « الهلال » زواهر الاعمال
مات ابن زيدان ومن في الناس يجـ ـهل ما له من واسع الافضال
اذ كان أفضل كاتب ومؤرخ في الشرق اجمعه بغير جدال
ثقة والتاريخ ابلغ حجة ما قد رواه في بليغ مقال
يبكيه اهل العلم والاداب اذ ففدوا به ركن الذكاء العالي
علامة علماً وسيع الفضل رحـ ـب الصدر مفضالا حميد خلال
خدم الاعارب خدمة محمودة مذكورة بالشكر والاجلال
ولهم لقد نبش التواريخ الكثيـ ـرة مظهراً لهمو سنيَّ خلال
ابدى فخارهم العظيم بزهوه الـ أسنى فاضحى في «الهلال» يلالي
وتمدناً لهمو به بلغوا المدى الـ اعلى من الاسعاد والاقبال
واكم له فيهم من الكتب التي قد صاغها فغدت عقود لآلي
وله روايات حكى فيها وقا ئعهم بحسن تصرف وخيال
عرف الاعارب فضله وعليه قد أثنوا سوى الحساد والجهال
فضل له لا ينتمى وعلى الاعا رب شكره في اطيب الاقوال
رب الهلال وان رحلت الى الخلو دفذكر فضلك دائماً متلالي
نم في جوار الصالحين الخالدي ن منعماً في رحمة المتعال

قصيدة نصر افندي لوزا الاسيوطي

يا من نعيت لعجم الارض والعرب ركن المعارف والتاريخ والادب
بلغ سماء العلوم اليوم قاطبة خطب الهلال الى الافلاك والشهب
حتى اذا ما استطاعت ان تعزيه قدت لها مثله ثوباً من الحرب
قل للتواريخ في نعي تخص به زيدان نوحي على زيدان واكتئبي

يا منصف الناس في تاريخ سيرتهم ... ستنصف اليوم في الاشعار والخطب
خلدت تاريخ قوم كاد يطمسه ... من صفحة الدهر احداث من النوب
وزدت بالحق عن عرب تفند ما ... اذاع اعداؤهم عنهم من الكذب
رفعت ذكرهم للغرب فالتفتت ... ترنو الاعاجم للاعراب بالعجب
الضاد تبكي على ابن لا يضارعه ... ند يفاخر من ابنائها النجب
في مصر والشام كم باك عليه وكم ... في الفرس والهند من عان ومنتحب
زيدان حسبك فخراً بعد موتك ما ... ألفت للعلم والتاريخ من كتب
نعاك ناعي الاسى للمشرقين وما ... شكوت من علة يوماً ولا وصب
زيدان قل للالى راموا خلودهم ... كم جندل الموت من غاف ومرتقب
ان يجحد البعض فضلاً لا كفاء له ... فسوف يطربك من يأتي على العقب
أفنيت عمرك في التأليف مقتحماً ... صعب المفاوز لم تحجم ولم تهب
لو جمعوا لك ما ألفت من كتب ... في العد زادت على اعوامك الشهب
دخلت في صفحة التاريخ فارضَ بما ... أدخلت في صفحة التاريخ من ادب
مشوا بنعشك محزونين أحسبهم ... غرقى بدمع كماء السحب منسكب
حتى اذا تايت آي الصلاة له ... وبات من رمسه المنشق عن كثب
نادى اخوه رويد القوم أن به ... بعض الحياة وان الروح لم تغب
اني ارى ثغره يا قوم منطبقاً ... على ابتسام وبعض الجد كاللعب
لا تدفنوه عساه ان يقوم اذا ... اراح بالنوم هذا الجسم من تعب
والله يأبى سوى ما كان كاتبه ... في غيبه لابن زيدان فلم يؤب
وليس ينساه منا الدهر مرتقب ... هذا الهلال طويل السير والدأب
هذا الهلال الذي انواره سطعت ... وسوف تسطع حتى آخر الحقب
هلال جورج الذي قد كان مطلعه ... علماً وفضلاً وحلماً غير مقتضب
صلى الاله على جورج واسكنه ... جنانه بين قديس له ونبي

قصيدة ايليا افندي ابوماضي (اميركا)

تكل الشرق فتاه ... ليتني كنت فداه
ليتني كنت أصماً ... عند ما الناعي نعاه

قد نعى الناعون « زيداناً » الى البـدر سناه
والى التاريخ والعـلـم اباه واخـــاه

* * *

سرى نعيه فالدمع في كل محجرٍ كأن قلوب الناس خلف المحاجر
وللطير في الجنـات ارنان ثاكلٍ وللماء انّات الغريب المسافر
وللنجم وهو النجم مشية طالعٍ وللارض وهي الارض وقفة حائر
وما كامنٌ فيـه الاسى غير كامنٍ ولا ظاهر فيـه الاسى غير ظاهر
فمن لم يرَ الباكين في كل منزلٍ فما ابصرت عيناه شق المرائر
وهى « البرق » مما حمّلوه فلم يطق يحدثنا عنـه بغير الاشائر
فيـا خبراً القى الفجيعة بيننا لأنت علينا اليـوم اشأم طائر
ويا ناقل الانبـاء يجهل كنهها كرهناك حتى قادماً بالبشائر
اقام الاسى بين العزاء ومهجتي وباعد ما بين القريض وخاطري
فامسيت لا ادري أسترٌ من الدجى على الشمس ام ضيعت اسود ناظري
وبات فؤادي يتقي نزواته كما يتقي العصفور بأس الكواسر
كأن بقلبي شاعراً ينظم الاسى كأني تولى مدمعي كل ناثر
ألا ليت شعري بعـد ما طار نعيه أفي ارض مصر نائم غـير ساهر
وهل في سماء النيل غـير دياجرٍ وهل في مياه النيل غـير مجامر
وهل في ضفاف النيل بين نخيـله مغرّدة او آنس غير نافر
بمَ سمر الاخوان في كل ليلةٍ وصاحبهم في اللحد غـير مسامر
ليبكِ عليـه المسلمون فانهم اضاعوا به محيي العصور الدوائر
وتبكِ النصارى فخرها وعميـدها فما بعده من حجةٍ لمفاخر
فما جادت الدنيا عليهم بمثله وغير يسيرٍ ان تجود بآخر
أيا جبلاً للعـلم مادت به الثرى عزيز علينا ان نُرى في الحفائر
عليك يود الغرب لو كان مشرقاً وفيـك يحب الحي اهل المقابر
ويغبط تبرُ الارض فيك ترابهـا ويحسد ماء الجفن ماء المحـابر
وما عادة خفض الرجال رؤوسها ولـكنها في الارض كنز الجواهر
لتفخر على الشهب الجنادل والحصى ففيها هلال العـلم شمس المحاضر
شأوت الأوالي جامعاً ومؤلفاً وزدت بأن احرزت فضل الاواخر

تخيرُ احداث الليالي كبارنا كأن المنايا صبة بالاكابر
ونضحك للآمال ضحكة واثقٍ فيضحك منا الدهر ضحكة ساخر
رضينا بان تغشى الغزاة بلادنا وننا وما نامت عيون المعاثر
لها كل يوم بيننا حكم جائرٍ واقدام موتور وفتكة ثائر
على انها تقتص من غير مذنب وتأخذ بالاوتار من غير واتر
فيا ويح هذا الشرق كيف اغتباطه وامضى مواضيه كليل الاظافر

* * *

جلالٌ في مصر لكن في العراقين صداه
ماد لبنان وماد الشام لما سمعاه
كاد ان يخذل فيه كل طود منكباه
ايها الراحل عنا بلغ الحزن مداه
قد بكاك الافق حتى فرقداه وسهاه
يا خليليَّ اعينا من عصاه مسعداه
خانت النفس قواها خانت البين قواه
قد مضى من تتمنى كل عين ان تراه
فتمنى كل قبر حين اودى لو حواه
مات « زيدان » ابو التاريخ فليجيَ فتاه

قصيدة ميخائيل افندي رستم (اميركا)

زيدان لست ازيدكم تعريفاً عنه وقد ملأ الملا تأليفا
قد كان بالتاريخ مشتهراً كما بالشعر كان اليازجي نصيفا
فمن الاعالي يستحق ترحماً ومن المراثي يستحق ألوفا

* * *

ان المنية لا تحابي في وجو ه القوم ممن كان من أعيانه
لم ينج من فتكاتها ناجٍ ولا ذو الشأن تشفع فيه رفعة شانه
فتناله ايدي المنون وان يكن كسرى انوشروان في ايوانه
كلا ولا ذو المال يعطي فدية عنه بمال زين في ميزانه

أقدامنا وطئت على اجسامنا وانترب جارى المـاء في جريانه
هذا الذي قد حار فيه ابو العلا ولقد ازال الشك في برهانه
والان ليس يهمنا الا الذي منه عزا ذي الحزن في احزانه
لقرينة المرحوم من رب السما ولنجله السلوى على فقدانه
خسر الهلال حيـاة منشئه كما يتأسف القراء من خسرانه
ان الوجود لشاهد عدل على ايفاء حق النفع من وجدانه
لو شاء يملأ هذه الدنيـا الو ف مؤلفات كان في امكانه
فدوائر العمران تندبه وقد كان الفقيد يعـد من اركانه
قد كان سباقاً بمضمار النهى والمكرمات وكان من فرسانه
هيهات ممن يدعون اصالة في رأيهـم من جال في ميدانه
أسفي على رجل الجهاد بعلمه أسفي على من كان قطب زمانه
فبمنة المولى وفطنة نجله يبقى الهلال يسير في دورانه
يا مصر انت لدى الشوام عزيزة ولدى الفقيد اعز من لبنانه
فاستنزفي العبرات من آماقها حتى تزيد النيـل في فيضانه
ابناء سوريا تعزوا بالذي أبقى من الاثار في بنيانه
هيا انصبوا تمثاله من مرمر ليظل تذكاراً لدى اعوانه
لفقيدنا زيدان نسأل رحمة عليا وغيث رضى على جثمانه
والله يجزي المرء في ملكوته خيراً ويملي النفس من رضوانه
ويعدُّ للمرحوم في عرش السما حظاً ويسكنه فسيح جنانه

لرمزي افندي نظيم (مصر)

أزيدان بالامس كنت فكيـ ف خلت منك اندية وبيوت
وعمرت موحش هذي القبو ر وأمسيت فيها اسير الصموت
واصبح ذاك الفؤاد الخفو ق صريعاً رهين البلى في خفوت
أيسعى الفتى في الدنى مصبحاً فيمسي لدود المقابر قوت ؟
اذا كان هذا مآل الانا م وللذكر يحيي الفتى ويموت
فعمرك بالذكر لا ينتهي وتقصر عمـا صنعت النعوت

وما الناس الا ظلال تغيـ ب وذكر يدوم وعمر يفوت
وشطران هذا نصيب الثرى سيبلى وذاك نصيب السموت

من قصيدة لايليا افندي قسطة زريق (اميركا)

قف بنا نبكي طروساً ألبست من مداد الحزن ثوباً واكتست
ويراعاً شق حزناً عنـد ما عبرات الطرف منا حبست
وربوعاً صادها سهم القضا ناشباً في القلب حتى اندرست
وجيوباً شققت لمـا نما خبر السوء ولسناً خرست
كم شـدت آمالنا في فضـله انمـا تلك الاماني انطمست
يا أبا التاريخ هـل ارخت مو تك والايام كيف انعكست
ان خسفتم ايها البدر فلي شعلة اذ من هلال قبست
ليت اقلام الورى قد كسرت قبلما الاقلام منكم دهست
كيف تمضي دون ان نفديك من مهج اعلامهـا قد نكست
نكست اعلام علم وكذا في رماد الذل ها قد جلست
ادباء الشرق والغرب به اعـ ترفت والجد عنه اقتبست
ايقظ الاداب في الشرق بفضـ ـل انصباب بعـد ما قد نعست
آل زيدان فقدتم درّة في ظلام القبر ويحي غمست
كم هوى من حسّد ما ناله لـكن الاسنان منهـم ضرست
انني ابكي يداً ما فترت تنقش القرطاس حتى يبست
فلتروّ السحب ذياك الثرى ما صحا جفنٌ وعين نعست

من قصيدة لحسن افندي حسونه (يافا)

غابت بروق علاك يا قمر ومن العيون لها بدا مطر
قد كنت ما بين الملا علماً للعـلم حتى جاءك القدر
ما انت اول جهبذ حضنت بعـد المنظر ذاته الحفر
ان المنية لم تدع احداً حياً ومنهـا لم يفد حذر

تردي ولا تجزى بما فعلت في العالمين فكلهم هدر
اوحشت يا جرجيُّ زمرتنا والانس بعدك ما له اثر
يا ايها الشهم الجليل ومن قد حاز فضلاً ليس يحصر
لو كنت ذا جهل فلا اسف لكن لفضلك يأسف البشر
اوكان يقبل في رداك فدىً بالمال كانت تدفع البدر
لكنه حتم فلا هرب يحمي الورى منه ولا وزر
كم صفت من حلي البديع لنا ملحاً تضيق بمثلها الفكر
وحويت آداباً يلذ بها لذوي النهى من بعدك السمر
حتى الشجاعة حزت غايتها وبها لدينا انت مشتهر
من يرث مثلك يغتنم شرفاً وبه مدى الايام يفتخر
فكأنني لما رثيتك قد القيت دراً عنك يدَّخر
لا كان يوم بنت فيه ولا في جنح ليلته بدا قمر
حزنا به الاحزان وانتشرت بوفاتك الزفرات والعبر
وتجنبت عنا مسرتنا وسرى الينا الهم والكدر
لولا التأسي بالذين مضوا كنا فلا نبقي ولا نذر
علماً بأنك من يضن به لا من يجاد به فيحتقر
من يبك حولاً لا يكون له عذر لدينا حين يعتذر
والعذر في شرع الوداد لمن يبكيك حتى ينقضي العمر
يا وحشة التاريخ بعدك لا يرجى له احد و ينتظر
فاقبل من القطرين ندب اسى منه لمن يشكو الضنا عذر

من قصيدة لالياس افندي بندى (غزة)

بدر هوى في رفعة وثناء فهوت بدور من سما الجوزاء
وكواكب الافلاك خرت لوعة وتبددت اعلامنا بشقاء
وغدت رزايا الدهر واثبة على اقطابنا كضراغم البيداء
زأرت فكان لها الهلال فريسة مع انها تخشاه بالايماء
فتكت به لما رأته نائماً متغافلا في ليلة سوداء

ويلاه من يوم الخميس وقبله يومان يوم جوى ويوم بلاء
قبحاً لوعدك يا زمان فانه لا يخلف الميعاد في الضراء
يا بين كم من راسخ زلزلته وحرمته من لذة وهناء
يا بين كم من كوكب رافقته متيامنا في خلوة البطحاء
واحسرتي غاب الهلال ولا نرى الا ظلاماً حل في الغبراء
واحسرتي خسف الهلال ولا نرى الا فراغاً حلّ في العلياء
اركان علم هدمت فتحطمت اركانها ببلية دهماء
من للعلوم وقد تغيب بدرها من للضيا في الليلة الظلماء
من للمعالي والمراتب بعده من للهدى ولفرحة الابناء
من للاقارب والاباعد عندنا من للورى ولنصرة الادباء
يا نيل كم قد حزت من علمائنا مجداً وفخراً فائق الآلاء
يا نيل قد دفنت بارضك درّة بالروح نفديها بكل رضاء
رفقاً بنا يا نيلنا رفقاً بنا وارحم بكا لبنان والشهباء
اين المعزي في مصيبتنا التي نقشت حروف السقم في الاعضاء
وفّى الهلال وعوده متكرّماً بزيادة في الليلة الليلاء
قد مات لكن ذكره حيٌّ غدا في العالمين معطر الارجاء
فكانه باق على عهد الوفا في عالم الاموات والاحياء
طوبى لقبر ضم زيدان الورى لما غدا في الجنة العلياء
يبكيك ما قد صغته وجلوته ونشرته بالهمة الشماء
نبكيك ما دمنا على ألم النوى ندمي عليك برحمة وثناء

من قصيدة لسمعان افندي بطرس اللاذقاني

مات جرجي زيدان يا للبرية مات ركن الصحافة العربية
مات منشي الهلال نابغة النا ريخ محي الاداب والمدنية
مات رب التأليف علماً وفناً فهوى طود النهضة الادبية
مات زيدات وا خسارة مصر وحداد الاوطان والوطنية
مات فاهتزت البلاد من الشر ق الى الغرب تكبرن الرزية

ايها الموت هل قضيت بذي الضر بة حتى تجازي البشرية
ان هذا لفادح وعظيم يبلين العرفان أسوا بلية

* * *

اي فقيد التاريخ يتمت هذا الفن يتمت العرب والعربية
ما دهى روحك الكبيرة حتى سكتت هذي النكتة الابدية
انما هذا امر نفسك ضاق الجسم عنها فسامت الحرية
فسلام الله الرحيم عليها وصلاة الملائك السموية

من قصيدة لحنا افندي دهده فرح (غزة)

سكب اليراع مدامع الشعراء وتأوه القرطاس عند رثائي
وتحركت (هالي) على نور الهلال فبدلته بظلمة سوداء
وتقصف التاريخ قبل ينبوعه والنيل شاب دموعه بدماء
وتقطعت مهج الهلال تأسفاً وبكت تودع ربهن الناءي
ورثت دموع الشعر فقد عزيزها زيدان محيي العلم والشعراء
واصفر نور العلم عند وفاته فرنا بطرف سجوفه الصفراء
هذا الذي للعلم كان منارة بعلومه وسخائه وذكاء
هذا الذي التاريخ يندبه اسىً لفضائل ومحاسن وابكاء
يامصر قد فجعت بارضك مهجة بالنفس تفدى لو يصح فدائي
يامصر هدت من ديارك غرة واندك صرح مكارم وسخاء
صبراً أيا اهل الفقيد فانتم من خير من صبروا على البلواء
وادعوا الاله بان يحيط ثراه بال ازهار والرحمات والعلياء

من قصيدة لحنا افندي عبد الله نصر (اميركا)

مسير الاسى بين الضلوع ثقيل فمن وطئه مزن الدموع تسيل
ينازع صفو العيش مني ومهجتي تذوب بنار الوجد ثم تزول
فقدت عزيزاً جسم الخطب فقده وخطب بفقد المخلصين جليل

وقفت له حب الفؤاد تودداً لان ماله في المشرقين مثيل
ولما نعاه البرق في كل بقعة تعالى صراخ في الورى وعويل
ولما سرى من تربة النيل نعيه ألمَّ بلبنان اسى وتحول
واذ قد علا الاهرام حزن مفجع ففي بعلبك النائحات نزول

لعزيز افندي عبد الهادي (نابلس)

اميل صبراً على صبر لفقد اب قد كان يختال في آدابه تيها
اني اعزيك والدنيا وساكنها لكن نفسي تعصى من يعزيها

---

obeikandl.com